

فُقَهَاءُ الْمَالِكِيَّةِ وَأَنَارُهُمْ فِي مَجْمَعِ السُّودَانِ الْغَرْبِيِّ



فِي عَهْدِ مَالِي وَصُنْعِي

(٦٢٨ - ١٠٠٠ هـ / ١٢٣٠ - ١٥٩١ م)

تأليف

الأستاذة / سحر عنتر محمد أحمد مرجان

المكتبة المالكية

فُقَهَاءُ الْمَالِكِيَّةِ

وَأَنَا هُمْ فِي مَجْمَعِ السُّودَانِ الْغُرَبَاءِ

فِي عَهْدِي مَالِي وَصُنْعِي

(٦٢٨ - ١٠٠٠ هـ / ١٢٣٠ - ١٥٩١ م)

تأليف

الأستاذة / سحر عنتر محمد أحمد مرجان

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
1432هـ-2011
حقوق الطبع محفوظة للناسر
الناسر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد - القاهرة
25922620-25938411 / فاكس: 25936277
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

مرجان ، سحر عنتر محمد احمد
فقهاء المالكية واثريهم في مجتمع السودان الغربي في عهدى ملئ وصنفى
(1000-628 هـ / 1230-1591 م) / تأليف : سحر عنتر محمد احمد مرجان
ط1 القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2010
362 ص ، 24 سم
تكمك : 8-512-341-977-978
1- الفقهاء المالكية
أ- العنوان

ديوى: 922,582

رقم الايداع: 23982

شكرو وتقدير

للأستاذ الدكتور حسين سيد عبد الله مراد

على تعاونة ونصائحه الغالية، التي أثرت فكر الباحثة، وأفادتها، ومواقفة التشجيعية، التي ساهمت في صبر الباحثة من أجل تقديم البحث بالشكل اللائق، فأفادها بخبراته العلمية والعملية، وأثرا فكريا بأفكاره، والتي أرجو من الله أن تكون قد وفقت في العمل بهذه النصائح الغالية، المفيدة.

ولا يسعني إلا أن أقر بالفضل لأهلي، وأن أتوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور / حسين سيد عبد الله مراد، فقد لمست فيه شموخ العلماء، وصبر الفقهاء على توصيل المعلومة، فعلى يديه درست ومن علمه الغزير نهلت، ولكم كان يوجهني بصدر رحب، فله مني الشكر الجزيل، وجزاه الله عني خير الجزاء.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على رسولك محمد خير الأنام والذي بعثته
رحمة وهدى للعالمين .

تأتي هذه الدراسة لإبراز دور فقهاء المالكية السياسي والحضاري في دولتي
مالي وُصْنُغِي (١٠٠٠-٦٢٨هـ / ١٢٣٠-١٥٩١م) حيث كان هؤلاء الفقهاء دور مهم
في بلاد السودان الغربي ، وقد بدأ هذا الدور في زمن دولة مالي واستمر في دولة
صُغْنِي ، لا سيما في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية . فقد كان هؤلاء الفقهاء
جهود عظيمة في مجال نشر الإسلام والثقافة والعلوم الدينية واللغة العربية ، كما كان
لهم و على مدي أربعة قرون في دولتي مالي وُصْنُغِي الإسلاميتين أثر كبير في التطور
الحضاري والاجتماعي الذي طرأ على هذه البلاد ، إلي جانب جهودهم في المجال
السياسي إذ شاركوا في إدارة البلاد من خلال تولي الخطط الدينية.

أسباب اختيار الموضوع :

يرجع اختيار موضوع الدراسة إلى عدة أسباب أولها قيام فقهاء المالكية بدور
مهم في حضارة بلاد السودان الغربي في العصر الإسلامي وقد استمر هذا الدور
لهؤلاء الفقهاء في تلك البلاد حتى بعد سقوط دولة صُغْنِي علي يد السعديين في ٢٠
رجب ١٠٠٠هـ / ١٣ مايو ١٥٩١م ، ومن أجل إبراز هذا الدور لفقهاء المالكية في
بلاد السودان الغربي ، كانت أهمية هذه الدراسة . وثاني هذه الأسباب هو أن المذهب
المالكي يُعد من المحاور الرئيسية التي قام عليها مجتمع بلاد السودان الغربي في عهد
دولتي مالي وُصْنُغِي ، وكان لهذا المذهب من خلال فقهاء دور في مناحي الحياة كافة
في هذا المجتمع . فكان على الباحثة إبراز هذا الدور . أما السبب الثالث والأخير هو
أن فقهاء المالكية قد حظوا بدراسات في بلاد المغرب والأندلس ، لكن لم يتطرق

الباحثون إليهم بدراسة متكاملة تبرز دورهم في مناحي الحياة كافة في بلاد السودان الغربي .

ولأهمية هذا الموضوع أفردت الباحثة هذه الدراسة لتكون مكملة للدراسات التي قدمت عن دولتي مالي وُصنفي في التاريخ الإسلامي .

الفترة الزمنية للدراسة :

بدأت الدراسة بقيام دولة مالي الإسلامية عام (٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) حيث شهد المذهب المالكي في عهد هذه الدولة الانتشار والذيع ، وأصبح المذهب الرسمي لهذه الدولة . وامتدت الفترة الزمنية للدراسة إلى فترة سيطرةُ صنفي الإسلامية علي السودان الغربي حتى سقوط هذه الدولة عام (١٠٠٠هـ / ١٥٩١م) وذلك لان المذهب المالكي تحققت له السيادة خلال عهد هذه الدولة .

وقد قسمت الباحثة الدراسة إلى تمهيد وخمسة فصول وخاتمة .

في التمهيد والذي عرض لبدائيات ظهور المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي . عرضت الباحثة للمذاهب والفرق الإسلامية التي كان لأصحابها جهود في نشر الإسلام ، وكيف انتهى الأمر في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي بانتصار المذهب المالكي حتى أصبح المذهب الوحيد لأهل هذه البلاد .

ثم جاء الفصل الأول بعنوان : مراحل انتشار المذهب المالكي في السودان الغربي ، وقد بدأت الباحثة بعرض مرحلة ذيع وانتشار المذهب المالكي في دولة مالي، ثم تطرقت إلي عرض مرحلة سيادة هذا المذهب في دولةُ صنفي .

أما الفصل الثاني والذي كان عنوانه: عوامل انتشار المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي فقد تناول العوامل الداخلية ، والتي تمثلت أولاً في تغلب المذهب

المالكي علي غيره من المذاهب والنحل الإسلامية الأخرى وثانياً ملاءمة هذا المذهب لطبيعة أهل السودان الغربي ، وثالث هذه العوامل الداخلية ما يتمثل في دعم السلطة الحاكمة للمذهب المالكي . ثم عرضت الدراسة العوامل الخارجية وتحديداً منها ما يرجع إلي سيرة الإمام مالك إمام دار الهجرة ، والتأثير المغربي ، ورحلات الحج ، والرحلات العلمية .

وفي الفصل الثالث وعنوانه : فقهاء المالكية والحياة السياسية في بلاد السودان الغربي تناولت الدراسة علاقة هؤلاء الفقهاء بالسلطة والتي تأرجحت بين علاقة صداقة تارة ، وعلاقة عداء تارة أخرى ، وذلك من خلال عرض علاقة فقهاء المالكية والعرش في دولة مالي ، ثم علاقة فقهاء المالكية والعرش في دولة صُنغي . وتناول هذا الفصل أيضاً الدور الذي قام به فقهاء المالكية في إدارة الدولة من خلال الخطط الدينية التي تولوها مثل خطة الكتابة ، وخطة القضاء والفتيا ووظيفتي الإمامة والخطابة .

وجاء الفصل الرابع وعنوانه : فقهاء المالكية والحياة الاجتماعية في بلاد السودان الغربي ، وفيه تناولت الباحثة الجذور الإثنية لفقهاء المالكية ، ومكانة هؤلاء الفقهاء الاجتماعية بين طبقات المجتمع ، ثم دور فقهاء المالكية تجاه العادات والتقاليد ذات الأصول الوثنية ، وأخيراً فقهاء المالكية والاحتفالات الدينية .

وفي الفصل الخامس والأخير والذي كان عنوانه : فقهاء المالكية والحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي عرض هذا الفصل للتكوين العلمي والثقافي ، ثم الدور التعليمي لهؤلاء الفقهاء وإنتاجهم العلمي والثقافي ، وأخيراً الصلات العلمية والثقافية بين فقهاء مالكية بلاد السودان الغربي وفقهاء مالكية المغرب ومصر والحجاز .

وجاءت خاتمة الدراسة التي عرضت لأهم النتائج التي توصلت إليها.

وقد اعتمدت الباحثة في إعداد هذه الدراسة علي العديد من المصادر الأصلية والتي تتصل بموضوع الرسالة منها المخطوطات ، والمصادر المطبوعة ، والتي تمثلت في مصادر تاريخية ، ومصادر جغرافية ، ورحلات ، ومصادر تراجم وطبقات ، ومصادر فقه ونوازل ، بالإضافة إلي المراجع الحديثة العربية والمعرية ، وأيضا المراجع الأجنبية .

أولاً الوثائق والمخطوطات:

اعتمدت الباحثة علي عدد من المخطوطات والوثائق لعلامة صُنفي أحمد بابا التنبكتي المتوفي عام (١٠٣٦هـ / ١٦٢٧م): منها "إجازة منه للإمام أبي الفضل بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي" وهي وثيقة بالخزانة العامة بالرباط ، مجموع رقم ٣٦٩٣. (وهي إجازة من أحمد بابا بن أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت، كتبها للشيخ عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم (الحاحي)، بتاريخ ١٣ ذي القعدة عام ١٠٠٨ / ١٦٠٠). وتبرز هذه الإجازة حرص فقهاء المالكية علي نشر العلم ، كما تبين المقررات والكتب المعتمدة في الدراسة .

كما اعتمدت علي "إجازة للخطيب أبي زيد الوقاد التلمساني" وهي وثيقة بالخزانة العامة بالرباط ، مجموع ٣٦٩٣. وهي إجازة من أحمد بابا إلي القاضي ابن الوقاد عبد الرحمن بن محمد التلمساني نزيل تارودانت بالمغرب الأقصى بتاريخ يوم الاثنين ١٣ ربيع الآخر عام ١٠٠٧هـ / ١٥٩٨م وهي مطولة وعامة. ولأحمد بابا إجازة أخرى للمجاز ابن الوقاد، وهي خاصة بكتاب الشفا للقاضي عياض.

كما أفادت الباحثة أيضا من مخطوطة أحمد بابا بعنوان "أسئلة إلى علماء مصر" وهي مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس ، مع مجموعة رقم . ARABe:٥٣٨٢. وكان قد أرسلها أحمد بابا إلي علماء مصر في بعض الأمور التي أشكلت عليه ، وكان قد كتبها عام (١٠١٤هـ / ١٦٠٥م) ، وبلغت واحدا وعشرين سؤالاً تدور حول أمور

متعددة . وتبين هذه المخطوطة عمق الصلات التي ربطت فقهاء مالكية مصر بفقهائ مالكية صُنْغِي .

وأفادت الباحثة أيضا من مخطوطة " أسئلة في المشكلات " وهي مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط مع مجموعة رقم ٤٧٠ من الورقة ١١٨ ط إلى الورقة رقم ١٤٠ و . (وكان قد أرسلها أحمد بابا بعد أن كتبها قبل عام ١٠١٠هـ / ١٦٠١م) إلى مفتي المالكية في مصر سالم السنهوري المتوفى عام ١٠١٥هـ / ١٦٠٦م) وتحتوي علي ستة وثلاثين إشكالا فقهياً . كما أفادت الباحثة في أن مؤلفها هو من أبرز الشخصيات العلمية التي عاشت في فترة الدراسة .

وهناك مخطوطة لمؤلف مجهول بعنوان " رسالة إلى نوح بن الطاهر بن أبي بكر بن موسي تتحدث عن الأسكيا محمد الكبير وصلاته مع علماء زمانه " وهي مخطوطة في مكتبة مباحيدرا ، بمدينة تنبكت (مالي) غير مصنفة . وقد أفادت الباحثة من هذه المخطوطة في مدي حب واحترام أسكيا الحاج محمد الكبير للعلم والعلماء .

أما مخطوطة " نسب سيدي يحيى " لمؤلف مجهول أيضا وتوجد في مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بمدينة تنبكت (مالي) رقم ٢٤٠ . فقد أفادت هذه المخطوطة الباحثة في التعرف علي نسب سيدي يحيى بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن التغلبي التادلسي الشريف المتوفى عام ٨٦٨هـ / ١٤٦٣م) . وأفادت في دراسة الجذور الإثنية لفقهائ مالكية تنبكت وفي التعرف علي الصلات العلمية التي ربطت فقهاء المالكية بغيرهم من فقهاء العالم الإسلامي .

كما اطلعت الباحثة علي وثيقة النهر والي (محمد قطب الدين بن محمد المتوفى عام ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م) وهي عبارة عن إجازة صادرة منه إلى الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن الجنوى التكروري ، وهي وثيقة في مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، رقم ٢٠٦٥ ، ورقة ١٣ - ب) . وقد منحت هذه الإجازة العلمية من الفقيه

محمد قطب الدين النهروالي مفتي مكة المكرمة إلى تلميذه الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن التكروري الجنوبي ، وقد تلقاها الأخير أثناء تأديته لفريضة الحج عام (٩٨٨هـ / ١٥٨٠م). وقد استفادت منها الباحثة لأنها أوضحت المقررات الدراسية التي كان يتلقاها أبناء السودان الغربي علي أيدي أساتذتهم بالشرق ، كما أظهرت الصلة بين فقهاء بلاد السودان الغربي وفقهاء مكة المكرمة .

كما استفادت الباحثة من عدد من المخطوطات منها مخطوطة أحمد بن أحمد بن عمر أقيت المتوفى عام (٩٩١هـ / ١٥٨٤م) " مناخ الأحباب من منح الوهاب " ضمن مجموعة بالخزانة العامة بالرباط ، رقم ١٨٩٠ / ٥ . ومخطوطة أحمد بابير الأرواني : " جواهر الحسان في أخبار ملوك السودان " وهي مخطوطة في معهد البحوث والعلوم الإنسانية بنيامي النيجر ، تحت رقم ١٠٦ ، ص ١٣ ب . وكذلك مخطوطة سيدي مختار أحمد بكر الكتتي بعنوان " الإسلام في إمبراطورية سنغاي " مما حيدرا ، دار الإحياء ، مدينة تنبكت (مالي) رقم ١٨٠٩ . ومخطوطة محمد محمد المفتي (مرحبا) : " فتح الحنان المنان بأخبار السودان " بمعهد البحوث والعلوم الإنسانية ، نيامي بالنيجر ، رقم ١٠٨ .

وكذلك مخطوطة الوسياني (أبو الربيع سليمان بن عبد السلام المتوفى عام ٤٧١هـ / ١٠٧٨م) " سير أبي الربيع الوسياني " ، وهي مخطوطة بالهيئة المصرية العامة للكتاب دار الكتب المصرية تحت رقم ٩١١٣ ح ميكروفيلم رقم ٨٤٥٢ .

ثانيا المصادر المنشورة :

أفادت الباحثة من عدد ليس بالقليل من المصادرة المنشورة وقد تنوعت هذه المصادر فكان فمنها .

أولاً: المصادر التاريخية :

(أ) عبد الرحمن بن خلدون (أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الشهير بابن خلدون المتوفى عام ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م)

ويعد كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر وأيام العرب والعجم" ، من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة في دراستها ، فقد أفادت في التعرف علي بدايات المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي ، وجهود حكام دولة مالي في ذبوعه انتشاره .

(ب) محمود كعت التنبكتي المتوفى عام (١٠٠٢هـ / ١٥٩٣م):

"تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور" طبع هوداس و دولافوس ، باريس ، ١٩٦٤م ، وهو الأهم بين المصادر التاريخية التي استعانت بها الباحثة حيث أفاد الدراسة في فصول عديدة منها ، وكان قد بدأ في تأليف هذا الكتاب عندما بلغ الخمسين من عمره ، وهذا الكتاب يعتبر من أهم المصادر التاريخية حيث عاصر المؤلف عدداً من حكام دولة صُنغى الإسلامية ، وقد قام بالحج مع الأسكيا محمد الكبير عام (٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) وكان في صحبتهم عدد كبير من فقهاء المالكية ، ويحتوى تاريخ الفتاش على عرض لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لدولة صُنغى الإسلامية ، وكذلك يلقي الضوء على بعض الأحداث لدولة مالي الإسلامية ، فوصف مالي وقوتها واتساعها . وأفادني هذا الكتاب كذلك في الحديث عن كثير من فقهاء المالكية الذين أثروا الحياة العلمية والثقافية والدينية زمن دولة صُنغى وإلى ما بعد الغزو المراكشي مما يدل على أن أحد أحفاد الفقيه محمود كعت قد أكمل ما بدأه جده .

(ج) عبد الرحمن السعدي (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السعدي المتوفي عام ١٠٦٥هـ / ١٦٥٥م):

ويعتبر كتابه "تاريخ السودان" من أهم المصادر التي تحدثت عن دولة صنغي، وعن سني على، ومدينة تنبكت والطوارق، وذكر لنا عدداً ليس بقليل من الفقهاء ومدي علاقاتهم بالسلطة الحاكمة. وقدم لنا مادة غزيرة أفادت في دراسة الفصل الخامس من الرسالة والذي عرض لفقهاء المالكية وأثرهم في الحياة العلمية والثقافية.

ثانياً: كتب التراجم والطبقات:

(أ) أحمد بابا (أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفي عام ١٠٣٦هـ / ١٦٢٦م)

وقد أفادت الباحثة من العديد من مؤلفاته منها كتابه "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" والذي يُعد من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة وكتاب "كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج" وكذلك كتابه "تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء" وقد تمت الاستفادة من كتابات أحمد بابا الذي ترجم لعدد ليس بقليل من فقهاء مالي وصنغي مع اهتمامه الأكبر بذكر أقاربه ومعلميه من الفقهاء والعلماء.

(ب) البرتلي (محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي المتوفي عام ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م):

وكتابته "فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور" من المصادر المهمة لتاريخ دولة صنغي، فقد أمد الباحثة بمعلومات كثيرة عن فقهاء دولة صنغي، وعن بعض فقهاء المدن الصحراوية وما حولها. وقد أفاد هذا الأمر في تتبع الصلات الثقافية بين بلاد السودان الغربي، وبلاد المغرب، ومصر، والحجاز.

ثالثاً: كتب فقه ونوازل :

(أ) المغيلي (محمد بن عبد الكريم المغيلي المتوفى عام ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م) :

يعد كتاب " أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي من أهم الكتب التي ساعدت الباحثة في معرفة الحياة الاجتماعية والثقافية و مدى أهمية الفقيه ومدى تأثير أرائه الفقهية على الحاكم والرعية وقيام الفقيه بدور إرشادي مهم للسلطة الحاكمة ، حيث استعان به الأسكيا محمد في معرفة بعض المشاكل التي واجهته في حكم دولته . وقد أمدنا هذا الكتاب ببعض الممارسات الوثنية وجهود فقهاء المالكية في القضاء عليها .

(ب) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى عام ٩١١هـ / ١٥٠٣م) :

وكتابه "الحاوي للفتاوى، وهو من أهم المصادر التاريخية التي اعتمدت عليها الباحثة في معرفة الحياة الاجتماعية والدينية من خلال الأسئلة الواردة من التكرور ، فقد أمد الباحثة بالكثير من صور الحياة في مملكة صُنغِي ومدى حرص أهالي تلك البلاد في معرفة رأى الدين في شتى أمور الحياة هناك .

(ج) الونشريسي (أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي المتوفى عام ٩١٤هـ / ١٥٠٨م) :

وكتابه "المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب " ويمتاز كتابه هذا بكثرة ما احتوي عليه من نوازل فقهية ، وكان المفتون في المعيار هم فقهاء المالكية في الغرب الإسلامي من تلاميذ الإمام مالك إلى شيوخ الونشريسي وأقرانه المعاصرين له ، حيث أمدنا الونشريسي بنازلة ترجع إلى أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، كان قد أفتي فيها الفقيه أبو الحسن القابسي

(٣٢٤-٤٠٣هـ / ٩٣٥-١٠١٢م) بقتوى تبين إسهام تجار المالكية في التجارة الصحراوية ومن أسهم في نشر الإسلام والمذهب المالكي .

(د) ولأحمد بابا التنبكتي كتاب "معراج الصعود" وهو أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق" وهو من أهم الكتب التي أفادت الباحثة.

رابعاً : المصادر الجغرافية والرحلات :

كما أفادت الباحثة من المصادر الجغرافية وكتب الرحلات التي ضمت الكثير من المعلومات المختلفة سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية عن دولتي مالي وُصْنُغِي. واعتمدت الباحثة علي مصدرين من كتب الجغرافيا أفادا في كتابة الفصل التمهيدي من الرسالة والذي رصد لبيدات المذهب المالكي في السودان الغربي وهما :

(١) البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري المتوفى عام ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) .

وكتابه "المسالك والممالك" من أهم المصادر التي أماطت اللثام عن بلاد السودان الغربي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وقد أتاح لنا هذا المصدر معرفة مدينة التكرور ، وكيف أسلم أهلها ، وكذلك كيف أسلمت مدينة سلي وإمارة مالي ، وكذلك معرفة النظام السائد في وراثة العرش في دولة غانة ، بالإضافة إلي معرفة وفرة الماء في الصحراء متمثلا في العيون والآبار التي حفرت مما أدي إلي سهولة الاتصال بين شمال الصحراء وجنوبها . ولدقة معلومات البكري وغزارتها نقل عنه البعض ومنهم صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار ، وهو مؤلف مجهول من جيل القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد .

(ب)- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي المتوفى عام ١١٦٤هـ/١١٦٤م):

وكتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" وردت فيه معلومات ذات قيمة عظيمة عن بلاد السودان الغربي، فقد تحدث عن مدينة سلي، والتكرور وحاكمها. وقام بوصف دولة غانة وصفا كبيرا، كما تحدث عن دولة مالي، وقد أفادت الباحثة من هذا المصدر إفادة كبيرة.

أما أهم كتب الرحلات التي رصدت تطور المذهب المالكي في دولة مالي فهو "رحلة ابن بطوطة" (هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المتوفى عام ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

ويعد كتابه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة لأن ابن بطوطة كان شاهد عيان على كثير من الأحداث أثناء رحلته إلى دولة مالي الإسلامية عام ٧٥٣هـ/١٣٥٢م، فقد نقل لنا صورة أحياء الحياة مجتمع دولة مالي ومذهبه المالكي. وقد ذكر ابن بطوطة أسماء كثير من فقهاء المالكية الذين قابلهم في بلاد السودان الغربي دون ذكر تفاصيل كافية عنهم، بل اكتفى بذكر أسماء بعضهم فقط.

(ب) ليو الإفريقي (الحسن بن محمد الوزان المتوفى عام ٩٦٠هـ/١٥٥٢م)

وقد أفادت الباحثة من كتابه "وصف أفريقيا" وهو من أهم كتب الرحلات التي اعتمدت على مشاهداته الشخصية، وقد سجل الوزان الكثير من المعلومات المهمة في دولة صُنغي في عهد أسكيا أبو بكر، كما سجل لنا الكثير عن المراكز الحضرية خاصة مدينة تنبكت، كما أمدنا ببعض المعلومات عن الحياة الاجتماعية في مجتمع بلاد السودان الغربي.

خامساً : كتب الموسوعات :

(أ) العمري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م):

ويعتبر كتابه "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة وخاصة الجزء الرابع الذي عرض فيه لدولة مالي ، ويعتبر من أفضل النصوص التاريخية التي وردت عن دولة مالي رغم أنه لم يذهب إلى بلاد السودان الغربي ، لكن جاء وصفه عن أقاليمها وقبائلها ومدنها غنياً وفريداً ، كما تحدث عن فقهاء المالكية بها اعتماداً على روايات شفوية تلقاها عن أفراد أقاموا في دولة مالي .

(ب) القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي المتوفى عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م):

ويعتبر كتابه "صبح الأعشى في صناعة الانشا" ، الجزء الخامس ، موسوعة كبرى في مختلف فروع المعرفة التي يحتاج إليها أي باحث في شتى العلوم ، حيث قدم وصفا لجميع الدول التي لها علاقة بمصر ، ومنها دولتنا مالي وُصنفي مجال البحث ، ورغم اعتماده على مؤلفات المهلبى وابن سعيد وأبى الفداء وابن خلدون والحميري ، فقد جاءت المعلومات التي سجلها وخاصة في الجزء الخامس من موسوعته والمتعلقة بدولة مالي ذات أهمية كبرى أفادت البحث .

سادساً : المراجع العربية والمعرية :

كما اعتمدت الباحثة على العديد من الدراسات الحديثة خاصة كتابات أ.د/ إبراهيم علي طرخان وأ.د حسن أحمد محمود ، والدكتور أحمد الشكري ،

والدراسات التي قام بإعدادها أ.د/ حسين مراد ، د/ كرم الصاوي باز ، ود/ سوزي أباطة ، بالإضافة إلى الدراسات القيمة التي تناولتها في موسوعة " تاريخ إفريقيا العام " وخاصة تلك التي وردت في الجزأين الثالث والجزء الرابع منها.

كما اعتمدت هذه الدراسة علي كتابات جون هونوك (JOHN HUNWICK) ، وهي

Les Rapports Intellectuels Entre Le Maroc Et L Afrique Sub-Saharienne
A Travers Les Ages,

ودراسات نحميا ليفسون (Nehemia Levtzion) وهي :

Islam in West African Religion Society and Politics to ١٨٠٠ حيث تعرض للنهضة الثقافية في عهد منسا موسي وخاصة في مدينة تنبكت ، كما تحدث عن سني علي وعن عدم فهمه الصحيح للإسلام ، لأنه يجمع بين الإسلام والتقاليد ذات الأصول الوثنية ، كما تحدث عن دولة الأساكي وخاصة أسكيا داود الذي زوج ابنته من عاملين تاجرين. وكتاب إلياس سعد

Social history of Timbuktu, the role of muslim scholars (Elias n. Saad) and notables الذي استفادت منه الباحثة حيث تحدث فيه عن مصادر الثروة وعن مدينة تنبكت كمركز تجاري وثقافي ، كما تحدث عن الجانب الاجتماعي وعن عائلة أقيت ، وعن مكانتها الاجتماعية في هذه المدينة ، وكذلك آدم باكوناري

_ Les Relations Politiques Et Culturelles Entre Le (Adam Ba konare)
Maroco Et Le Mali A Travers Les Ages.

كما أفادت الدراسة من العديد من المقالات التي نُشرت في الدوريات العربية والأجنبية والتي جاءت في قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

بدايات ظهور المذهب المالكي في السودان الغربي

- ١- انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي
- ٢- انتشار التجارة وانتشار المذاهب والنحل الإسلامية في بلاد السودان الغربي والتجار.
- ٣- المذهب المالكي في صُغى.
- ٤- المذهب المالكي في إمارة التكرور.
- ٥- المذهب المالكي في مالي.
- ٦- المذهب المالكي في غانة.

ظهرت أهمية المذاهب الفقهية في الشرق الإسلامي في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي لاسيما عندما امتدت الفتوحات الإسلامية لتشمل دولاً عديدة وأجناساً متباينة ، لها تقاليد و أعراف جديدة مما استدعى أحكاماً غير تلك التي كانت سائدة من قبل^(١).

كما قام أهل الورع من العلماء العارفين بالقرآن الكريم والسنة النبوية باللجوء إلى معرفة الأحكام عن طريق الاجتهاد في فهم هذين المصدرين الأساسيين للشرعية القرآن الكريم والسنة النبوية. وتعددت الفتاوى في المسألة الواحدة^(٢) ، وكان ذلك أمراً جديداً ، لأنهم لم يعتمدوا على الرأي والقياس إذ أن كبار الصحابة اعتمدوا في أحكامهم أساساً على القرآن الكريم والسنة النبوية ، إذ لم يجدوا سواهما بديلاً ، وسار على ذلك من احتذى حذوهم ، فانقسموا إلى مدرستين^(٣) : المدرسة الأولى تعتمد على النص الشرعي ، وتمثل المدرسة الأولى الحجاز مهد السنة وموطن حملتها من الصحابة ، والمدرسة الثانية تعتمد على النص الشرعي مع الأخذ بالرأي والقياس ، ويمثل المدرسة الثانية العراق و هو موطن حضارة قديمة جنح أهله إلى الرأي والقياس^(٤) وبين مذهب أهل الحجاز ومذهب أهل العراق ظهرت مذاهب تجمع بين المدرستين العراقية والحجازية وهكذا انتشرت المذاهب الفقهية فظهر مذهب

(١) ابن قيم الجوزية " شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر المتوفى عام ٧٥١هـ / ١٣٥٠م " : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣م ، جـ ١ ، ص ٢١.

(٢) محمد الخضري : تاريخ التشريع الإسلامي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٩٣٩م ، ص ١٥٢.

(٣) ابن خلدون " عبد الرحمن بن خلدون المتوفى عام ٨٠٨هـ / ١٤٠٣م " ، المقدمة ، تحقيق حامد أحمد الطاهر ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص ٥٣٩.

(٤) ابن قيم الجوزية : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١١١ ، محمد الخضري : مرجع سابق ، ص ١٥٣.

الإمام أبو حنيفة^(١) في العراق ومذهب الإمام الشافعي^(٢) في مصر ومذهب الأوزاعي^(٣) بالشام غير أنه لم يضاء المذاهب التي انتشرت في العالم الإسلامي كالمذهب المالكي^(٤)

(١) أبو حنيفة: هو " النعمان بن ثابت التيمي " مولاهم الكوفي ، وهو أحد الأئمة الأربعة ، ولد في عام (٨٠ هـ / ٦٩٩ م) ، وعمل بالتجارة ، وتعلم على يد عدد كبير من التابعين ولزم أستاذه حماد بن أبي سليمان في رحلاته الحجازية لأداء فريضة الحج ، وبعد موت أستاذه (١٢٠ هـ / ٧٣٧ م) ، توسط حلقة الدراسة في المسجد ، وإليه كانت الرحلة العلمية وإطار منهجه الفقهي القرآن والسنة وأقوال الرسول والقياس وتوسع فيه ، والاستحسان والإجماع والعرف ، ومن أخص تلاميذه : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري نسبا ويكنى بأبي يوسف ، وتلميذه الثاني محمد بن الحسن الشيباني المتوفى (١٨٩ هـ / ٨٠٤ م) أنظر الرازي : " أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم بن إدريس ، الجرح والتعديل ، ط ١ ، مطبعة دار المعارف العثمانية بحيدر آباد ، الدكن ، الهند ، ١٩٥٢ م ، دار إحياء التراث بيروت ، ص ٤٥٠ .

(٢) الشافعي : " هو محمد بن إدريس أبو عبد الله القرشي ، ثم المطلبى الشافعي " ولد بغزة ونشأ يتيمًا في حجر أمه التي انتقلت به إلى مكة ، ثم درس الفقه ، فساد أهل زمانه وأخذ العلم عن شيوخ مكة ، كمسلم بن خالد الزنجي ، وسعفان بن عتيبة وكان من تلاميذ الإمام مالك ، ورحل إلى العراق (١٨٤ هـ / ٨٠٠ م) ، ثم انتقل إلى مصر فأقام بها حتى توفي عام (٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) ، ومنهج الإمام الشافعي في الفقه وسط بين الحديث والقياس ، أنظر السيوطي " جلال الدين عبد الرحمن " طبقات الحفاظ ، تحقيق على محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، ص ١٥٢ .

(٣) الأوزاعي : " هو أبو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد أبو عمر الأوزاعي " عالم أهل الشام ، ولد سنة (٨٨ هـ / ٧٠٦ م) ، وكان يسكن دمشق ثم انتقل إلى بيروت ، وقد حدث عن أستاذه مكحول عالم أهل الشام ، وكان فقيهاً يعتمد على الحديث وقد توفي عام (١٥٧ هـ / ٧٧٣ م) ، أنظر الاصبهاني : " أبو نعيم أحمد بن عبد الله " ، حليه الأولياء ، وطبقات الأصفياء ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ج ٦ ، ص ١٣٥ ، ١٤٩ .

(٤) مالك : " هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي إمام دار الهجرة " ينتمي إلى قبيلة حمير التي ترجع أصولها إلى قحطان ، ولد رضي الله عنه بالمدينة المنورة سنة (٩٣ هـ / ٧١١ م) ، وتوفي (١٧٩ - ٧٩٥ م) ، أنظر عياض : " أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي " ت ٥٤٤ هـ / ١٢٥٠ م ، " ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك ، تحقيق أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ، ج ١ ، ص ١٠٢ ، وأنظر كذلك ، كارل بروكمان : تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار ، دار المعارف المصرية ،

والمذهب الحنبلي^(١) الذي ساد في بغداد .

ويعد المذهب المالكي الذي ساد في الحجاز نظاماً عاماً للمجتمعات الإسلامية التي انتقل إليها هذا المذهب ، وهى مصر وإفريقية والأندلس والمغرب الأقصى ، ومن تلك البلاد انتقل إلى الدول الإسلامية التي قامت في بلاد السودان الغربي^(٢) .

طه، بدون تاريخ، ج٣، ص ٢٧٤، ٢٧٥، حيث كانت المدينة دار حديث وإسناد ، فكان أهل الفتوى بالمدينة من التابعين ، ومنهم سعيد بن المسيب وهو سيد التابعين ، وعروة بن الزبير ، وخارجة بن يزيد الذي كان يقسم المواريث في المدينة ، وسليمان بن يسار وهو عالم المدينة ، وعبد الله بن عتيبة بن مسعود ، وكان يعتني بالحديث ، ثم أتى بعدهم محمد بن المنكدر الذي وقال فيه الإمام مالك بن أنس "كان سيد القراء " ، ومحمد بن شهاب الزهري ، وهو أول من دون العلم ، إلى أن توجت " بمالك " الذي ذاع صيته وفاق أقرانه ، وكثر تلاميذه الذين انتشروا في الأقطار الإسلامية ، وللمزيد أنظر ، ابن خلفون الأندلسي : أساء شيوخ الإمام مالك بن أنس ، تحقيق محمد زينه عزب ومن أقوال الإمام مالك التي تدل على حرصه على أخذ العلم " أن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون منه ، ولقد أدركت سبعين ممن يقولون : قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين فما أخذت منهم شيئا ، وإن أحدهم لو أؤمن على بيت مال لكان أمينا ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن " أنظر الرازي ، الجرح والتعديل ، ج١ ، ص ١٢ .

(١) الحنبلي : "أبو عبد أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي ثم البغدادي ولد في بغداد (١٦٤هـ / ٧٨٠م) ، ومذهبه يعتمد على الكتاب والسنة والتشدد في الحديث ، للمزيد أنظر الذهبي : "شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الدمشقي " ، تذكرة الحفاظ ، مطبعة التوفيق ، دمشق ، ١٣٤٧هـ ، ص ٤٣٠ ، ٤٣١ .

(٢) السودان الغربي " مصطلح أطلقه الجغرافيون العرب على المنطقة التي تقع جنوب الصحراء الكبرى والامتدة بين المحيط الاطلسي غربا وبحيرة تشاد شرقا ، ويطلق عليها الآن منطقة غرب إفريقيا ، أنظر : أحمد الشكري : الإسلام والمجتمع السوداني ، إمبراطورية مالي ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٠م ، ص ٥٧ .

ويرجع للمذهب المالكي الفضل في بناء صرح الحضارة الإسلامية في بلاد السودان الغربي التي انتشر بها لأنه مذهب يهتم بمناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية كافة .

وقد تقلص المذهب المالكي في الحجاز مهد ظهوره ، ولكنه لقي انتشاراً واسعاً في بلاد المغرب والأندلس ثم السودان الغربي ، حيث توطدت أركانه ، وقويت دعائمه ، حتى أصبح هذا المذهب هو المذهب السائد في تلك الربوع . ويرجع هذا الانتشار إلى ما عرف عن إمامه من تمسكه بنصوص وتشريعات الكتاب والسنة ، ومحاربة البدع ، بالإضافة إلى تشبته التام بآثار الصحابة والتابعين^(١) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المذهب المالكي دخل إلى إفريقية خلال الفترة المبكرة من تاريخ هذا المذهب ، وأثناء حياة الإمام مالك نفسه ، وذلك على أيدي تلامذته من تلك المنطقة ، ونذكر منهم علي بن زياد المتوفى عام (١٨٣هـ / ٧٩٩م)^(٢) الذي يعتقد أنه أول من أدخل المذهب إلى بلاد إفريقية والمغرب ، بالإضافة إلى البهلول بن راشد (١٢٨-١٨٣هـ / ٧٤٠-٧٩٩م)^(٣) وعبد الله بن فروخ (١١٠-١٧٦هـ / ٧٢٨-٧٩٢م)^(٤) الذي أخذ عن الإمام مالك نفسه ، وأخذ عنه مالك بعض

(١) عمر الجيدى : محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ، منشورات عكاظ ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧م ، ص ٢٤ ، ٢٦ .

(٢) أبو العرب تميم القيرواني : طبقات علماء إفريقية وتونس ، تحقيق علي الشامي ونعيم حسن الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٥م ، ص ١١٢ .

(٣) البهلول بن راشد : هو " أبو عمرو ، كان ثقة ، مجتهداً ورعاً ، سمع من مالك بن أنس ، ومن سفيان الثوري ، والليث بن سعد وغيرهم ، وسمع منه مشايخ إفريقية ، منهم سحنون ، وعون بن يوسف الخزامي ، ويحيى بن سلام ، المتوفى عام (١٨٣هـ / ٧٩٩م) ، أنظر أبو العرب تميم : مصدر سابق ، ص ١٣٨ ، ١٢٦ .

(٤) هو " أبو عبد الله بن فروخ الفارسي " فقيه القيروان الجامع بين العلم والورع والقيام بالحق ، تفقه في الشرق ، وتفقه على مالك وأبي حنيفة ، وناظر بمجلس أبي حنيفة فقلبه ، وكان اعتياده في الفقه

معارفه . ومن تلامذة الإمام مالك أيضا في إفريقية عبد الله بن عمر بن غانم^(١) (١٢٨-١٩٠ هـ / ٧٤٥-٨٠٥ م) وأسد بن الفرات (١٤٢-٢١٣ هـ / ٧٥٩-٨٢٨ م) وغيرهم من علماء إفريقية الأوائل^(٢) .

في حين بدأ انتشار المذهب المالكي إلى المغرب الأقصى في عهد إدريس بن عبد الله (١٧٢-٢١٣ هـ / ٧٨٣-٨٢٨ م)^(٣)، مع أنه لم ينتشر هناك بشكل كبير إلا ابتداء من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، على أيدي دارس بن إسماعيل المتوفى عام (٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م) الذي تعتبره بعض الروايات أول من جاء بمدونة الإمام سحنون إلى تلك البلاد^(٤) .

أما الأندلس التي كان أهلها على مذهب الإمام الاوزاعي ، فقد انتشر بها المذهب المالكي أيضا بعد أن ارتحلت جموع غفيرة من طلبة الأندلس لتلقى العلم والفقه على يد مالك بن أنس، ومنهم عبد الرحمن المعروف بشبطون المتوفى عام (٢١٢ هـ / ٨٢٧ م) الذي أدخل الموطأ إلى تلك البلاد^(٥)، وكذلك سعيد بن أبي هند الذي أطلق عليه الإمام مالك (حكيم الأندلس)، والفقيه سعيد بن عبدوس

والحديث علي مالك ، ثم رجع للقيروان وانتفع به خلائق ، روي عنه مسلم وغيره ، أنظر محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م ، ج ١ ، ص ٩١ .

(١) محمد زينهم محمد : الإمام سحنون ، دار الفرجاني ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ١١١ .

(٢) حسين مراد: المذهب المالكي في السودان الغربي، مجلة الوقائع التاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، جامعه القاهرة، يناير ٢٠٠٦، ص ٥٣ .

(٣) ابن عذارى: "أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي" البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، مكتبة دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٠ م ، ج ٢ ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٤) عمر الجليدي : محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ، منشورات عكاظ ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ م ، ص ٢٤ ، ٢٦ .

(٥) القاضي عياض : مصدر سابق ، ص ١١٧ .

المتوفى عام (١٨٠ هـ / ٧٩٦م) الذي تزود من مدرسة المدينة وعمل على نشر المذهب المالكي حتى وفاته ، و أصبح لهذا المذهب الغلبة في الأندلس بفضل هذه الجهود . وفي عهد الأمير الأموي هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٧٢-١٨٠ هـ / ٧٨٨-٧٩٦م)^(١) تم التمكين للمذهب المالكي في هذه البلاد ، بعد أن حمل الناس على الالتزام بمذهب الإمام مالك . فظهرت المصنفات المالكية سواء في السند أو المتن أو عن مناقب الإمام مالك و تلاميذه^(٢) ، بالإضافة إلى ظهور كتب النوازل والفتاوى التي تتضمن أحكاماً مالكية ، حتى أصبح القضاة لا يفتون إلا بالمذهب المالكي . ومن هنا هيمن فقهاء المالكية على الثقافة الأندلسية حيث أصبح هذا المذهب يشكل عمقاً ثقافياً وعملاً تشريعياً منظماً^(٣) .

وهكذا أعانت المصادر في التحديد الزمني لانتشار المذهب المالكي في إفريقية والمغرب الأقصى والأندلس ولكن هنا يختلف الأمر بالنسبة لبلاد السودان الغربي ، حيث أن المادة المصدرية تعد معدومة لتعين التحديد الزمني لانتشار المذهب المالكي في تلك البلاد . ويزداد الأمر صعوبة مع رصد بعض المصادر لتحركات دعاة المغاربة الذين اتجهوا إلى السودان الغربي لنشر الإسلام بين السودانيين خاصة أن هؤلاء الدعاة يتسبون إلى جماعات وفرق إسلامية متعددة شملت السنة والشيعة والخوارج^(٤) .

(١) ابن عذارى: مصدر سابق ، ص ٦٦ .

(٢) Jose Lopez Ortiz: la recepcion de la Espana a anurio do historio del dercho espol lomo Madrid _١٩٣٠، p٨٠ .

(٣) السيوطي : تزيين الممالك بمناقب سيدنا الإمام مالك ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ ، ط ١ ، ص ٣٦ .

(٤) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٥٤ .

ولذلك تُحتم سلامة المنهج قبل تناول الأدوار التي لعبها فقهاء المالكية بالسودان الغربي، الحديث عن كيفية دخول المذهب المالكي إلى تلك البلاد، أي محاولة التحديد الزمني لانتشار هذا المذهب في تلك البلاد.

- بدايات دخول الإسلام في بلاد السودان الغربي :

يرتبط دخول الإسلام إلى منطقة السودان الغربي بطبيعة العلاقات بين شمال الصحراء وجنوبها والتي كان لها أكبر الأثر في دخول الإسلام من الشمال لإفريقي صوب الصحراء الكبرى إلى بلاد السودان الغربي^(١)، حيث لم تكن الصحراء حاجزا بين بلاد المغرب وبلاد السودان . فقد لعبت الصلات التجارية دوراً بارزاً في توسيع شبكة الاتصالات بين المنطقتين ، ومن ثم تسرب الإسلام إلى بلاد السودان .

وترجع هذه الصلات إلى ما قبل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، وعلى الرغم من أن طابع وحجم الاتصالات التجارية قبل الإسلام يمثل إشكالية ، إلا أن وجود اتصالات متنوعة عبر الصحراء الكبرى هو أمر ثابت من خلال سلسلة من النقوش الصخرية التي تظهر بها عربات تجرها الخيول . وتتبع هذه النقوش طريقاً يبدأ من وادي درعة^(٢) مروراً

(١) الحاج مرجيا : "محمد المفتي مرجيا" فتح الحنان بأخبار السودان"، معهد البحوث والعلوم الإنسانية، نيامي، النيجر، رقم ١٠٨، ص ٢٤ ب.

Myth and Metrology: The Early Trans-Saharan Gold : Timothy F. Garrard Trade, The Journal of African History, Vol. ٢٣, No. ٤ (١٩٨٢), Cambridge University press, p ٤٣.

(٢) درعة مدينة قاعدتها تيومتين ، يجري بها وادي درعة ويوفر جبل درعة للمدينة الحصانة ، والمدينة عامرة بها أسواق جامعة ، ويقدم البكري وصفا للطريق الممتد من وادي درعة إلى الصحراء ثم إلى بلاد السودان . أنظر البكري "أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م"، المسالك والممالك ، حققه جمال طلبة، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م ، ج ٢، ص ٣٥١، ٣٥٠.

بأدرار^(١) في موريتانيا الحالية ليتهي في الدلتا الداخلية لنهر النيجر . كما نجد طريقاً آخر تشير إليه النقوش الصخرية يعبر الصحراء الكبرى من جنوب تونس وخليج سرت ويمر بجبال الأحجار في الجزائر حالياً ، ليصل إلى نهر النيجر نحو مدينة جاو^(٢) التي تعد أقدم حواضر بلاد السودان الغربي^(٣) .

وبعد انتهاء الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب استمر التواصل بين شمال الصحراء الكبرى وجنوبها ، إذ تمكن التجار المسلمون من التوغل في مدن المغرب المختلفة إلى المراكز التجارية السودانية ، وساعد هذا التوغل على تنشيط تجارة الصحراء والالتقاء والاختلاط بسكان السودان والتأثير عليهم مما أسهم في انتشار الإسلام بينهم^(٤) .

وكان نتيجة لازدياد النشاط التجاري أن ازداد انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي ، فالتجارة تمت في ظل الإسلام ، فخدمها الإسلام وخدمته ، وأصبح الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير^(٥) ، وكان التجار إلى جانب مزاوله

(١) إدرار مدينة تقع شمال السنغال المتاخمة للصحراء الكبرى في موريتانيا الحالية ، كانت مهداً ل قبيلة لتونه ، وهذه المدينة فقيرة لا يزرع فيها غير الشعير والنخيل . أنظر دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الأول مادة إدرار ، ص ٥٣٤ ، ٥٣٥ .

(٢) مدينة جاو تقع عند بداية الشبة الثانية لنهر النيجر ، مدينه قديمه تتكون من مدينتين ، وما تزال آثارها قائمة حتى الآن ، وقد أصبحت المدينة منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي عاصمة صنغى ، ارتبطت هذه المدينة مع إفريقية عبر طريق يمر بتادمكة ، أنظر البكري : مصدر سابق ، ص ٣٧٢ ، أحمد الشكرى : الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطوريه مالي ، ص ١٠٢ .

(٣) - Hunwick j ,o : Les rapports intellectuels entre le Maroc et L , Afrique sub -saharienne a travers les ages, publications de L ,Institut des etudes Afriaines , Rabat ١٩٩٠ ,p٨ .

(٤) صباح إبراهيم الشخى : النشاطات العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي ، مجله معهد الدراسات والبحوث العربية ، بغداد ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٥٢ .

(٥) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٣ م ، ج ٥ ، ص ٢٠٤ .

البيع والشراء مع الأهالي يقومون بنشر الإسلام متخذين الإسلام أساساً في تعاملاتهم ، وكان سلوكهم وأمانتهم تجذب الأهالي لهذا الدين .^(١) واستناداً إلى المصادر المتاحة بدأ الإسلام يتسرب إلى الصحراء منذ القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، ففي هذا القرن بدأت المحاولات الأولى لنشر الإسلام و معرفة الطرق الصحراوية ، وكان هذا في الولاية الثانية لعقبة بن نافع الفهري عام (٦٢٢هـ / ٦٨١م) والذي توغل إلى مدينه نول^(٢) على ساحل المحيط الأطلسي في أقصى الغرب^(٣) ، ثم تابع زحفه حتى وصل إلى مدينه تارودانت^(٤) ، ثم عمد إلى بناء مسجد في مدينه ماسة^(٥) مما يعنى بدء انتشار الدعوة الإسلامية في أقصى جنوب المغرب الأقصى

(١) حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ ، ص ٧٣ .
الرقيق " أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق " : قطعه من تاريخ إفريقيا والمغرب ، تحقيق عبد الله العلي الزيدان ، عز الدين عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٩٩٠ م ، ص ١٦ .

(٢) مدينة نول آخر بلد الإسلام ، وأول العمران من الصحراء ، ومن مدينة نول إلى مدينة درعه ثلاث مراحل أنظر ، البكري : مصدر سابق ، ص ٣٤٩ ، ٢٧٢ .

(٣) المالكي " أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي المتوفى عام (٤٣٨هـ / ١٠٤٦م) " : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسأكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٩٩٤ م ، ج ١ ، ص ٤٠ .

(٤) ويقول الإدريسي عن مدينة تارودانت : " من أرض درعه إلى بلاد السوس الأقصى ثلاثة أيام ومدينته هي تارودانت ، وبلاد السوس قرى كثيرة وعمارتها متصلة بعضها ببعض " كما يقول : " وبين مدينة السوس أعنى تارودانت وتيويوين ثمانية أيام في جنات ويساتين وكروم وأشجار " ومن مدينة السوس إلى مدينة أعماح تسع مراحل في قبائل من البربر المصامدة " ، أنظر الإدريسي " محمد بن محمد بن عبد الله إدريس الحمودى الحسنى المعروف بالإدريسي ، من علماء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، طبع مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل ، ١٨٦٣ م ، ص ٦٠ ، ٦٣ .

(٥) وترسم أيضا " ماست " وينسب إليها وادي ماسة : المالكي : رياض النفوس ، ج ١ ، ص ٤٠ ، ويقول الحميري : " ماست نهر عظيم في بلاد السوس الأقصى بالمغرب يصب في البحر المحيط ، جريه من القبلة إلى الجوف كجري نيل مصر ، عليه قرى متصلة وعمارات كثيرة ويساتين وجنات " أنظر الحميري : " محمد بن عبد المنعم الحميري المتوفى عام (٩٠٠هـ / ١٤٩٤م) ، الروض المعطار في خبر

وبالتالي تسرب الدعوة الإسلامية إلى الصحراء الغربية مما دعا إلى تعليم أهلها أمور الدين الإسلامي علي مذهب أهل السنة .

تابع خلفاء عقبة بن نافع جهوده في نشر الإسلام بين قبائل الملثمين ، فقد بلغ موسى ابن نصير وادي درعة و تافيلالت وانشأ مسجداً في مدينة أغمات^(١) وينسب إلى حبيب بن أبي عبيدة المتوفى عام (١٢٤هـ / ٧٤١م)^(٢) الذي بعثه عبيد الله بن الحبحاب إلى المغرب غازياً في حدود سنة (١١٦هـ / ٧٣٤م) فتح السوس الأقصى وأرض السودان " ولم يقابل أحداً إلا ظهر عليه... وسبى أناساً من قبيلة من قبائل البربر يقال لها مسوفة، في طريق بلاد السودان... ورجع سالماً^(٣)

- التجارة وانتشار المذاهب والنحل الإسلامية :

ومما يدل على قدم الصلات التجارية بين المنطقتين واستمرار الاتصالات بين شمال الصحراء وجنوبها خلال عصر الولاية بالمغرب تلك الإشارات المصدرة التي ترجع إلى الثلث الأول من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، فالبكري المتوفى عام (٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) يذكر أن عبد الرحمن بن حبيب الفهري والى إفريقية والمغرب (١٣٠-١٣٨هـ / ٧٤٧-٧٥٥م) اهتم بطريق القوافل لأهميته، فأمر بحفر آبار على طريق القوافل الذي يربط بين مدينة تامدلت^(٤) جنوب المغرب الأقصى ومدينة

الأقطار تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، ط ١ ، ١٩٧٥ ، ص ٣٣٠ ، ٥٢٢ .

(١) ويقول البكري عنها : " الطريق من مدينة أغمات إلى السوس على ما ذكره مؤمن بن يومر الهواري من أغمات وريكة إلى مدينة نفيس ، وهى تعرف ببلد النفيس ، كثير الأنهار والشار ، ليس في ذلك القطر موضع أطيب منه ولا أجمل منظراً ، وهى قديمة أولية " ، أنظر البكري : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٤٦ ، المراكشي : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٣٧ .

(٢) ابن عذارى : مصدر سابق ، ص ١٢٤ ، ١٢٣ .

(٣) الرقيق : مصدر سابق ، ص ٧٢ ، ابن عذارى : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥١ .

(٤) الطريق من مدينة تامدلت إلى بئر الجبالين مرحلة ، وهذه البئر عمقها أربع قامات من أنباط عبد

أودغست^(١). وكان هذا لحل مشكله ندرة المياه التي كانت تمثل عائقاً أمام حركة القوافل التجارية عبر الصحراء^(٢).

كذلك ما أورده المالكي المتوفى عام (٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م) في ترجمته لسكن بن سعيد الصائغ ، إذ يذكر أنه كان يقوم بعمل السلاسل النحاسية ، ويقوم بطلائها بماء الذهب لتباع في بلاد السودان ، ولم يمدنا المالكي بأية إشارة زمنية في تحديد ميلاد أو وفاة صاحب هذه الترجمة ، والسؤال المطروح هو في أي زمن عاش سكن بن سعيد الذي كان يبيع منتجاته في السودان الغربي ؟ . ولتحديد العلاقة بين شمال وجنوب

الرحمن بن حبيب ، ومنها إلى شعب ضيق ، ثم تسير في جبل يسمى أزور ثلاثة أيام ، وطوله مسيرة عشرة أيام من أول طريق سجلماسة إلى جانب البحر المحيط ، ثم تسير إلى بئر كبيرة تسمى وين هيلون ، ثم تمشي ثلاثة أيام في أرض صحراء ، ثم تسير منها إلى بئر أنبطها عبد الرحمن بن حبيب واحفرها في حجر أدعج صلب طولها أربع قامات مرحلة ، ثم تسير منا إلى بئر يقال لها ويطونان ، وهي كبيرة لا تنزف ، ماؤها زعاق يسهل شاربوه من الناس والأنعام ، وهي من عمل عبد الرحمن بن حبيب ، وطولها ثلاث قامات ، ثلاث مراحل ثم تمشي منه إلى أربع مراحل إلى موضع يقال له أوكازنت وبها الماء على ذراعين وثلاث ، وبهنا الماء يجتمع جميع طرق بلاد السودان . أنظر البكري : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، أحمد إلياس حسين : العلاقات بين مملكة غانا والمغرب العربي فيما بين القرنين الثاني والخامس الهجريين / الثامن والحادي عشر الميلاديين ، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، قسم التاريخ ، ١٩٨٢م ، ص ٥١ ، ٥٢ .

(١) أودغست مدينة قديمة تقع في جنوب غرب الصحراء الغربية ، وهي وادي عامر بين جبلين ، وتقع جنوب مدينة سجلماسة ، والمسافة بينها مسيرة خمسة عشر يوماً ، وفي غربها مدينة أوليل الواقعة على ساحل المحيط الأطلسي والمسافة بينها مسيرة شهر ، وهي مدينة كبيرة أهلة بالسكان الذين تنوعت عناصرهم ، للمزيد أنظر البكري : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٥ ، ياقوت الحموي "شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي ت ٦٢هـ/ ١٢٢٨م" معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧م ، ج ١ ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، حسين مراد : دولة أودغست الإسلامية من القرن الثاني إلى الخامس للهجرة ، القرن الثامن إلى الحادي عشر للميلاد ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، نُشر في العدد ٤٦ ، ٢٠٠٨ ، ص ٤ ، ١٧ ، ١٨ .

(٢) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٥٥ .

الصحراء وللإجابة على هذا السؤال علينا أن نرجع إلى أبي العرب تميم المتوفى عام (٣٣٧ هـ / ٩٤٤ م) وهو الذي ترجم لهذا الصائغ أيضاً فيذكر أن سكن بن سعيد الصائغ قد سمع من البهلول بن راشد المتوفى عام (١٨٣ هـ / ٧٩٩ م) وبناء على هذا القول فإن هذا الصائغ كان حياً خلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي تقريباً ، وإن الصلات بين إفريقية وبلاد السودان تعود إلى تلك الفترة الزمنية المبكرة وهي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري^(١).

وهذا الأمر يدفعنا إلى الاتفاق مع الرأي القائل^(٢) "إن السنة في المغرب الإسلامي قد بدءوا النشاط التجاري مع السودان الغربي قبل نشأة دولتي الخوارج الصفرية في سجلماسة عام (١٤٠ هـ / ٧٥٧ م) والتي تعرف بدولة بني مدرار^(٣) والدولة الاباضية في تاهرت^(٤) والتي تُعرف بالدولة الرستمية (١٦١

(١) حسين مراد: الصلات بين المغرب والسودان الغربي (خلال القرن ٦-٨ هـ / ١٢-٨ م) ضمن أبحاث مؤتمر الإسلام في إفريقيا والذي نظمته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا وجامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم، ٢٠٠٦، الكتاب الحادي عشر، ص ٣٧٧.

(٢) حسين مراد: المرجع سابق، ص ٣٧٧.

(٣) وقاعدتها سجلماسة. أنظر السيد عبد العزيز: المغرب الكبير، ج-٢، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٧٦ هـ / ١٩٦٦ م، ص ٥٨٣، ص ٥٨٩، الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي - الحياة الاقتصادية والاجتماعية (٤-٣ هـ / ١٠-٩ م) "الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٨ م، ١٠٢، ١٤٦، وللمزيد عن قيام دولة بني مدرار أنظر حسين مراد: دولة بني مدرار في سجلماسة بالمغرب الإقصي (١٤٠-٢٩٧ هـ / ٧٥٧-٩٠٩ م) رسالة ماجستير من جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ١٩٨٦ م، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥.

(٤) الدولة الرستمية نسبة إلى عبد الرحمن بن رستم، الذي أعلن نفسه أول إمام أباضي وهو من الخوارج الأباضية الذين نجحوا في إقامة دولة بتاهرت بالمغرب الأوسط، واستمرت حتى عام (٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) أنظر عمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، الدار البيضاء، المغرب ١٩٧٣ م، ص ٩٣، سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، دار المعارف بالإسكندرية، ١٩٧٩ م، ج٢، ص ٢٩٥.

٢٩٦هـ / ٧٧٧-٩٠٧م) وهذا يجعلنا لا نتفق مع من ذهب إلى أن التجارة عبر الصحراء كانت حكرًا على جماعات الخوارج^(١) وقال بعدم السماح للدول السنية حتى بفرصة التعرف على طرق وأسرار تلك التجارة^(٢). ومن هذا يتضح أن التجار السنة ساهموا في التجارة قبل غيرهم وأن هؤلاء التجار والتجار الأباضيين ساهموا في التجارة عبر الصحراء خلال ذلك القرن.

وهكذا بدأت القوافل التجارية تحتاز الصحراء منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي عبر عدة طرق من أهمها:

- الأول: من سجلماسة وينطلق طريق منها إلى والاته ومنها إلى تنبكت وجني وجاو.
- الثاني: من تلمسان ويمر هذا الطريق بغرداية وتوات وينتهي إلى تنبكت.
- الثالث: من تاهرت وورقلة وينطلق طريق آخر منه إلى غاو مباشرة، وهذا المسلك يتصل شمالا ببضائع المواني الجزائرية المهمة في الشمال، مثل جزائر بني مزغنة و بجاية وسكيكدة وغيرها.
- الرابع: من واحة الجريد في جنوب تونس ومنها ينطلق من هذا الطريق غالبًا ما تمر قوافله بورقلة وسوف أو غدامس.

(١) محمد القاسي وإيقان هريك: مراحل تطور الإسلام وانتشاره في إفريقيا، موسوعة تاريخ إفريقيا العام اليونسكو، باريس، ١٩٩٤، المجلد الثالث، ص ٩٠. وأنظر حسين مراد: المذهب المالكي في السودان الغربي، مرجع سابق، ص ٥٥.

(٢) Dévisse (j.): Routes du commerce et échanges en Afrique occidentale en relation avec la Méditerranée, un essai sur le AFRIQUE occidentale en du XIe au XVIe siècle in revue d'histoire économique et sociale, Parise L. ١, ١٩٧٢, P. ٤٢٧٣.-

— الخامس : من طرابلس الغرب على الساحل الليبي ومنها ينطلق طريق يمر بغدامس ويمر فرع منه بفزان و ينتهي إلى بورنو و غاو .

— السادس : وينطلق من مصر طريق يمر بواحة سيوة و بزويلة و تادمكة و ينتهي إلى جاو تنبكت^(١) .

وخلال تلك الفترة لعبت القوى السياسية في المغرب دوراً مهماً في تشجيع تجارة القوافل الصحراوية مع بلاد السودان ، فنجد علاقات تجارية مع دولة بني مدرار الخارجية الصفرية التي قامت عام (١٤٠هـ / ٧٥٧م) وفي هذا العام أيضاً تم بناء مدينة سـجـلـمـاسـة^(٢) التي أصبحت عاصمة لدولتهم وكان لها الفضل بسبب موقعها الجغرافي أن تكون همزة وصل بين بلاد المغرب من جهة ، وبلاد السودان من جهة أخرى ، مما جعلها تتحكم في تجارة القوافل لمدة كبيرة عبر الصحراء الكبرى^(٣) . وهكذا بدأت مشاركة الخوارج الصفرية في سجلماسة في التجارة عبر هذه الصحراء ، والراجع أن هؤلاء الخوارج لعبوا دوراً في نشر الإسلام على أساس مذهبهم الخارجي الصفري .

(١) البكري : مصدر سابق ، ص ١٨٢ .

Smith (A.): The Early States of Central Sudan, New York, ١٩٧١, P. ١٧,
De La Ronciere: OP .Cit., t. ١, p. ٩٧-٩٠ .

(٢) سجلماسة : إقليم يستمد اسمه من المدينة الرئيسية التي بنيت سنة (١٤٠هـ / ٧٥٧م) وهى مدينة سهلية أرضها سبخة ، حولها أرياض كثيرة ، وفيها دور رفيعة ومبان سرية ولها بساتين كثيرة ، تسكنها قبائل بربرية مختلفة ، وأهلها يسمنون الكلاب ويأكلونها ، ومن مدينة سجلماسة تدخل إلى بلاد السودان إلى غانة ، وبينها وبين مدينة غانة مسيرة شهرين في صحراء غير عامرة ، وبين سجلماسة وبين وادي درعة مسيرة خمسة أيام ، أنظر البكري : مصدر سابق ، ص ٣٣٢ .

(٣) اليعقوبى : "أحمد بن أبى يعقوب بن واضح ت ٢٨٤هـ / ٩٨٢م "كتاب البلدان ، تحقيق دى خوى ، ليدن ١٨٩٢م ، ص ٣٦٠ ، ابن حوقل : "أبو القاسم محمد بن على النصيبى المتوفى عام (٣٨٠هـ / ٩٩٠م) صورة الأرض ، دار صادر ، بيروت ، طبعة ليدن ١٩٣٨م ، ص ٩٩ .

كما ربطت العلاقات التجارية الأباضية في بلاد المغرب مع بلاد السودان بعلاقات متينة، حيث كانت القوافل التجارية الضخمة تنطلق من واحات فزان وارجلان وغدامس و جادو وشيروس بجبل نفوسة وغيرها من المدن، تحمل معها مختلف السلع^(١) وفي نفس الوقت يقوم أفرادها بنشر الإسلام^(٢) وبذلك ساهمت تلك الدولة أيضا في التجارة الصحراوية، بفضل تشجيع حكامها وإن كانت صلات تاهرت كما يبدو من المصادر الأباضية مع مدينة جادو^(٣).

(١) ذكر الإدريسي "أن التجار يدخلون بلاد السودان بأعداد من الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس الأحمر والملون والأكسية وثياب الصوف والعائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار وضروب من الاقاوية والعطر وآلات الحديد المصنوع" أنظر الإدريسي: مصدر سابق، ص ١٢٠، ١٢١.

(٢) كانت التجارة في الدولة الرستمية حرة يقوم بها كل فرد تنزع نفسه إليها، واشتهر كثير من التجار والأغنياء الذين عاشوا خلال هذه الفترة، فعرفوا لكثرة تنقلاتهم بين ورجلان ووادي ريغ، وبلاد الجريد وإقليم فزان وجبل نفوسة من جهة وبلاد السودان من جهة أخرى، ومنهم من كان تاجرا وعالما في نفس الوقت، ومنهم أبو عثمان المزاتي الدكي، الذي عاش خلال القرن "٣٣هـ/ ٩م" وكان يسافر إلى بلاد السودان. أنظر الدرجيني: "الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني المتوفى عام (٦٧٠هـ/ ١٢٧١م) تحقيق إبراهيم طلال، الجزائر، ١٩٤٧م، ج٢، ص ٣٠٨، الشياخي: "أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشياخي المتوفى عام (٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م)": كتاب السير، تحقيق محمد حسن، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، ج٣، ص ١٢٣، ١٢٤.

(٣) ويعتبر اليعقوبي كوكو (جادو) أهم الدول على أيامه، ويقول إنها تطلق على عاصمة الدولة، وكانت تخضع لها عدة ممالك تدعى لكوكو (جادو) بالولاء والسيادة، وكان لأهميتها التجارية أن ارتبطت بعلاقات مع التجار المسلمين. "أنظر عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مجموعة محاضرات ألقى في معهد الدراسات الإسلامية، مطبعة يوسف، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٤٨، ٤٧. ومن هذه العلاقات الطيبة التي كانت قائمة بين الدولة الرستمية وبلاد السودان، وخاصة مدينة كوكو "جادو" أن الإمام أفلح عقد مع ملك كوكو علاقات مودة فأهدى إلى هذا الملك هدية نفيسة ليوثق الصداقة بينهما، ويشكره على ما يجده تجار بلاده من حسن المعاملة، وانتشر الإسلام بهذه المدينة بفضل النشاط التجاري أنظر ياقوت الحموي: مصدر سابق، مادة كوكو، ص ٣٠١

كما شجع الاغالبه الذين أسسوا دولتهم عام (١٨٤هـ / ٨٠٠م)^(١) رعاياهم في مدن إفريقية على المشاركة في التجارة بين شمال الصحراء وجنوبها^(٢)، وقد ساعدت حيوية التجار المغاربة بالإضافة إلى دور الدويلات السياسية المستقلة والفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي والصحراء والسودان الغربي خلال القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، في تنمية الأمن على طول الطرق التجارية . وكان التجار المغاربة إلى جانب أعمالهم التجارية يقومون بالدعوة إلى الإسلام ، وقد ارتبطت التجارة وانتشار الإسلام مذهبهم في السودان الغربي كافة إلى الذرجة التي أصبح من العسير معها وضع حد فاصل بين الدور الذي قام به التجار من جهة وبين دور العلماء ودعاة الإسلام من جهة أخرى . وغالباً ما يجتمع الدور التجاري والدور الدعوى في نفس الرجل^(٣) ، وبما أن هؤلاء التجار كانوا أصحاب مذاهب شتى فإنهم استثمروا اتصاهم بأهالي السودان الغربي لنشر الإسلام على أساس مذاهبهم المختلفة^(٤).

واستمر تدفق الإسلام عبر الطرق التجارية مع استمرار تسرب المذاهب الدينية المختلفة إلى السودان الغربي خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي،

(١) نسبة إلى إبراهيم بن الأغلب ، أحد ولاة العباسيين بالمغرب (القيروان) ، الذي أستقل بالمغرب وأسس دولة عرفت بالاغالبه في نهاية القرن الثاني الهجري (١٨٤ هـ / ٨٠٠م) إلى نهاية القرن الثالث الهجري ، (٢٩٦هـ / ٩٠٨م) ، أنظر ابن خلدون : "أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد" تاريخ ابن خلدون ، راجعه درويش الجويدي المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، المجلد الثاني ، ط ١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م ، ص ١٨٤ ، الدكتور السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٣٧٢ ، ٤٠٦ ، للمزيد عن دولة الاغالبه أنظر . سعد زغلول عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ وما بعدها .

(٢) المالكي : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٨٢ ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

(٣) Lewis , I. m .: ISLAM in Tropical Africa (Oxford , ١٩٦٠) p ٢٠٠ .

(٤) حسين مراد : الصلات ، ص ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

بواسطة الاحتكاك التجاري في المقام الأول مع ازدياد نمو النشاط التجاري للمغاربة على اختلاف مذاهبهم ، ويفضل المنافسة بين الدويلات السياسية المستقلة من مدرارين و رستميين وأغلبة انتعشت تلك التجارة انتعاشا كبيرا، ففي العهد الأغلبى استمر خروج القوافل التجارية من إفريقية وقد وصل حجمها إلى مائة جبل بأحبالها وأعوانها^(١) ، فقد كانت القوافل المغربية تتجمع في مدينة سجلماسة نحو إدارار ، وصولا إلى مدينة أودغست ثم تنطلق القافلة من أودغست إلى عاصمة غانة القديمة الواقعة على ستة أيام من الجنوب الشرقي، أو تنطلق نحو المناطق الخصبة والعامرة بالسكان في وادي نهر السنغال أي إلى بلاد التكرور^(٢) .

وفي أواخر القرن الثالث الهجري وتحديدأ بين عامي (٢٩٦-٢٩٧هـ / ٩٠٨-٩٠٩م) نجح الفاطميون الشيعة في القضاء على دولة الأغالبة ، ثم قضوا على دولتي الخوارج المدرارية في سجلماسة والرستمية في تاهرت ، ونتيجة للغزو الفاطمي الشيعي وبطشهم بالاباضية خاصة في المغرب الأوسط ، وتفرق أهل تاهرت في واحات الصحراء^(٣) أصبحت لهم السيطرة على كل بلاد المغرب بعد أن قضوا على كل الدول المستقلة^(٤) مما أتاح لهم السيطرة والتحكم في طرق تجارة

(١) المالكي : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٢) اليعقوبي : مصدر سابق ، ص ٣٦٠ .

(٣) ابن الصغير المالكي : أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق محمد ناصر ، وإبراهيم بخاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٦ ، ص ٧١ . أنظر النفوس " سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠م " الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية ، مطبعة الأزهار البارونية ، بدون تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٣ ، وللمزيد عن دولتي الرستميين والمدارين الخارجيتين بتاهرت وسجلماسة في المغربين الأوسط والاقصي أنظر ، محمود إسماعيل : أثر الخوارج في الحياة السياسية في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، رسالة دكتوراه منشورة ، كلية آداب جامعة القاهرة ١٩٧٠م .

(٤) عز الدين عمر موسى : دراسات إسلامية غرب إفريقية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م ، ص ٥٧ ، ص ٥٨ . إيقان هريك : بروز الدولة الفاطمية ، تاريخ إفريقيا العام ، المجلد الثالث ، اليونسكو ١٩٩٤ ، ص ٣٥٨ .

الصحراء ، وبذلك احتكروا تجارة المصادر والوارد مع السودان الغربي، وبسبب هذا الوضع تحالف الأباضية وأهل السنة ضد الفاطميين من أجل تجارة الصحراء^(١)

وقد عاش المذهب المالكي خلال القرنين الثالث والرابع الهجري تجربة مريرة قبل أن يحقق انتصاره النهائي سواء على المستوى الشعبي أو على مستوى السلطة الحاكمة ، فبعد محنة الإمام سحنون بن سعيد (١٦٠-٢٤٠هـ / ٧٦٦-٨٥٤م)^(٢) مع الأغلبية وفقهائهم الأحناف خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي وهي المحنة الخاصة بخلق القرآن^(٣) دخل فقهاء المذهب المالكي بإفريقية خلال القرن

(١) الحبيب الجحاني : دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٦٠ ، ص ١٦٦ . كانت الدولة الفاطمية تسعى جاهدة من أجل بسط نفوذها على العالم الإسلامي كله بشكل عام ، لذلك كانت رغبة خلفائها في الاستفادة من المبادلات التجارية عبر الصحراء كبيرة ، ليتسنى لهم الحصول على الذهب من أجل تمويل فتحاتهم وضرب عملاتهم ، وبالتالي كانت تلك الدولة حريصة على بسط نفوذها على المناطق الواقعة على مسالك تلك التجارة ومدن المرافئ المرتبطة بها ، فدخلت في صراع مع الدولة الأموية بالأندلس بقصد السيطرة على تلك المناطق ، خاصة ما يقع منها على طرق المحور الغربي ، وقد تمخض سكان المنطقة حول الدولتين المتصارعتين ، فكانت صنهاجة وكتامة إلى جانب الفاطميين ، وإلى جانب الأمويين زناتة المتضررة من الدولة الفاطمية ، وقد تمكنت الدولة الفاطمية وحلفاؤها من تحقيق انتصارات عسكرية كبيرة كادت أن تقضي على طموحات خصومها الآن انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر أدى إلى حسم الصراع لصالح الأمويين وزناتة.

(٢) هو عبد السلام بن سعيد المشهور بسحنون (١٦٠-٢٤٠هـ / ٧٧٦-٨٥٤م) الفقيه القاضي الأستاذ المعلم ، الذي درس على خيرة شيوخ عصره في إفريقية ، وذهب يطلب ليعلم من الإمام مالك بن أنس فلم يدرکه فدرس على ابن الماجشون من شيوخ المدينة ، ثم كر راجا إلى مصر حيث درس على يد شيخها عبد الرحمن بن القاسم العتقى وأشهب بن عبد العزيز ، للمزيد ، أنظر عن الإمام سحنون ، محمد زينهم محمد عزب ، مرجع سابق ، ص ٧.

(٣) حدثت محنة خلق القرآن ، وكاد يذهب الإمام سحنون ضحيتها ، والذي تولى امتحان القضاة والفقهاء في إفريقية محمد بن أبي الجواد ، الذي عرف بسياسة التقرب إلى أمراء بني الأغلب من أجل الاحتفاظ بالمنصب "قاضي إفريقية" كما كان يتميز بجهلة في إصدار الأحكام والفتاوى ، كما كان يستخدم ذريعة امتحان القضاة والفقهاء في التخلص من المعارضين أمثال سحنون ، فتعرض سحنون

التالي في صراع حاد وعنيف مع الدولة الفاطمية الشيعية وقد استغل الخلفاء الشيعة وفقهاؤهم قوة السلطة لإرهاب المناوئين لهم سياسياً ومذهبياً وعملوا على قمعهم في إفريقية^(١). على أن وقوف أهل إفريقية وراء فقهاءهم المالكيين حد من تسلط الشيعة، وخفف من ممارساتهم الإرهابية التي تستهدف فرض مذهبهم، ولم تقتصر المواجهات بين المالكيين والشيعة على استعمال العنف والسيف^(٢)، بل امتدت لتشمل المناظرات الكلامية بينهما، وقد احتفظت لنا كتب طبقات المالكية بنماذج من تلك السجلات التي غالباً ما كانت تنتهي بتفوق فقهاء المذهب المالكي وانتصارهم، مما أدى في نهاية الأمر إلى قيام الثورات ضد الفاطميين^(٣) وإذا كان الفاطميون قد عجزوا عن نشر أو فرض مذهبهم الشيعي في بلاد المغرب فقد عجزوا أيضاً عن مجرد التعريف بمذهبهم الشيعي في بلاد السودان الغربي.

وعلى أية حال ترتب على الغزو الفاطمي لبلاد المغرب انهيار دولة الخوارج الصفرية في سجلماسة، بل وحدث اندثار لمذهبهم، ولكن المذهب الإباضي لم يندثر برغم انهيار الدولة الرسمية، ولكنه انحصر في بعض الجهات المتناثرة مثل جبل

لظلم كثير، فكانت مقاطعة الناس له مجبرين بأمر الأمير والقاضي، وقطع ملابسه لولا أن أسرع النية بالأمير أحمد بن الأغلب، ولولا تعاطف ابنه أبو العباس محمد مع سجنون لضاعت حياة علم من أعلام المذهب المالكي، للمزيد عن هذه المحنة أنظر عن "محنة فقهاء المالكية مع الاغلبة والشيعة" أنظر عياض: ترتيب المدارك، ج ٤، ص ٦٢. ابن عذارى: البيان ج ١، ص ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٨١.

(١) أحمد الشكري: مرجع سابق، ص ١٢٤.

(٢) حاول الخوارج استرداد سلطانهم والدفاع عن مصالحهم بكل وسائل العنف التي امتلكوها، متحالفين في ذلك مع خصوم الفاطميين في المغرب والأندلس، وخير ما يصور ذلك ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الاباضي الذي أوشك أن يقضى على خلافة الفاطميين في إفريقية، غير أن ثورته سحقته في سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٦ م. ولم يكن مصير ثورة أبي خرز يعلى بن زلتاف في سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨ - ٩٦٩ م بأحسن حالا من ثورة أبي يزيد، أنظر بيعة أبي يزيد للناصر الأموي عند المراكشي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٣١، ٣٣٠، الشماخي: مصدر سابق، ص ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١.

(٣) أنظر عز الدين عمر موسى: مرجع سابق، ص ٥٨.

نفوسة ، ورجلان ، ورقلة^(١) فقد ظل أتباعه يمارسون نشاطهم التجاري وإن قل هذا النشاط بعض الشيء ، كما أدى سقوط الدولة الرستمية الإيباضية إلى إضعاف المذهب وأتباعه في السودان الغربي^(٢).

ومع هذه الأحداث التي واكبت رحيل الفاطميين إلى مصر ، نجد نازلة تدل على استمرار الصلات التجارية بين المغرب وبلاد السودان الغربي خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، كما تدل أيضاً على علو شأن تجار المالكية وعودة نشاط تجارتهم كسالف عهدهم من حيث القوة والانتشار، وتظهر مدى إسهام تجار المالكية في التجارة عبر الصحراء. وتعتمد معلوماتنا عن التجارة عبر الصحراء في هذا القرن على ما جاء عند الونشريسي^(٣) من نازلة أفتى فيها فقيه القيروان أبو الحسن القابسي (٤٠٣-٣٢٤هـ / ٩٣٥-١٠٢١م)^(٤) ، وهذه النازلة بها دلالة على التبادل التجاري بين إفريقية وبلاد السودان في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي^(٥).

(١) حسين مراد: المذهب المالكي، ص ٥٧.

(٢) المرجع السابق والصفحة .

(٣) الونشريسي: "أبو العباس أحمد بن يحيى المتوفى عام (٩١٤هـ / ١٥٠٨م) : "المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، حقق تحت أشرف ، محمد حجي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج٩ ، ص ١١٦ .

(٤) هو : "أبو الحسن علي بن محمد بن حلف المغافري المعروف بالقابسي المتوفى عام (٤٠٣هـ / ١٠١٢م) وهو من كبار فقهاء المالكية في القيروان خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وكان مشهوراً بسعة علمه ، ومن بين شيوخه محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ، اشتهر القابسي بتضلعة وسعة معرفته في علوم الحديث والفقه والكلام ، وله مؤلفات عديدة أورد منها ابن فرحون سبع عشرة عنواناً ، وانتهت إليه رئاسة المذهب المالكي في القيروان ، الونشريسي : مصدر سابق ، ج٩ ، ص ١١١ .

(٥) ونص الفتوى كما يلي : "سئل القابسي عن دفع إلى رجل قرضاً ليمضي به إلى ناحية تادمكة وهي بلاد السودان وشهد الشهود . فسافر إلى تادمكة ومنها إلى غانة وأودغست ، وتأهل هناك وولد له ،

وهناك فتوى أخرى تدور حول نزاع بشأن ميراث تاجر من إفريقية توفى في بلاد السودان دون أن يترك وصية^(١) وتناول هذه النازلة التي جرت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي التجارة بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي عبر الصحراء الكبرى ، وتشير إلى بعض المراكز التجارية مثل تادمكة ، وأودغست ، وغانة ، وقد ذكر البكري هذه المراكز في وصفه للطريق من سجلماسة إلى غانة^(٢) كما ارتبط بالنشاط التجاري بين المنطقتين استقرار بعض المسلمين لمدة طويلة في بلاد السودان ومصاهرة أهلها وبالتالي انتشار الإسلام بفضل التأثير الطويل والسلمي للتجار المسلمين المغاربة^(٣).

ويشهد القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تطورات أسهمت في ارتفاع شأن المذهب المالكي في إفريقية والمغرب، كان أولها وصول المعز بن باديس إلى الحكم سنة (٤٠٦ - ٤٥٤ هـ / ١٠١٦ - ١٠٦٢ م) وهو أمير إفريقية ، فالعز هو الذي طهر الله تعالى على يديه إفريقية من مذهب الشيعة... وحمل الناس في أيامه على مذهب الإمام مالك وقطع ماعداه.

وأقام إحدى عشرة سنة من يوم خروجه من البلد الذي أخذ فيه المال ، وعلى هذا العامل ديون باع القاضي فيها ماله ليقسمه بين الغرماء فقام من له الحق القيام بهذا القرض هل يضرب له مع الغرماء " أنظر الونشريسي : مصدر سابق ، ج٩ ، ص ١١٦ . وقد أجاب القابسي في إجابته على تحويل المال الذي استلمه الوكيل وفق عقد القراض غلى دين مما يعطى صاحب القراض الحق في اقتسام العائد مع بيع أملاك الوكيل مع بقية الدائتين ، أنظر حسين مراد : الصلات بين بلاد المغرب والسودان الغربي ، ص ٣٧٦ .

(١) ميشيل برت : فتويتان من أواخر القرن الرابع الهجري ، تتعلقان بالتجارة عبر الصحراء ، بحث في مجلة البحوث التاريخية ، مركز جهاد الليبيين ، المجلد الأول ، السنة الثالثة ، يناير ١٩٨١ م ، ص ٦٢ .

(٢) البكري : مصدر سابق ، ص ١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ .

(٣) Levizion , N : Western Maghrib and Sudan , in the Cambridge History of Africa, vol ٣, Cambridge , London , ١٩٧٧, p ٣٨٩.

وإذا كانت المصادر تختلف حول التاريخ الذي أزال فيه الدعوة الشيعية من إفريقيا وإعادة المذهب السني المالكي إلى سابق عهده فإن بعضها يرجع الأمر إلى بداية حكمه لإفريقية، والبعض الآخر يرجع تاريخ هذا الأمر إلى عام (٤٣٥هـ/ ١٠٤٤م) وعندما قطع الدعوة للفاطميين وأظهر ولاءه للعباسيين^(١).

وقد استمرت علاقة بلاد السودان مع إفريقية في عهد المعز بن باديس (٤٠٦-٤٥٤ هـ/ ١٠١٦-١٠٦٢م) إذ وصلت من تلك البلاد هدية سنّية سنة (٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م)، كما كان هناك هدايا أخرى ويصف ابن عذارى هذه الهدية بقوله: "هدية جليّة فيها رقيق كثير وأنواع من الحيوان"^(٢)، والرقيق الذي وصل مع هذه الهدية يعد السلعة الثانية ذات الأهمية بعد الذهب الذي كان يُجلب من بلاد السودان الغربي إلى بلاد المغرب^(٣)، ولم تعين المادة المصدّرية المتاحة الجهة التي وصلت منها الهدية هل هي غانة أم مالي أم بلاد التكرور أم صُنغى؟.

أما العامل الثاني لارتفاع شأن المذهب المالكي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي هو قيام دولة المرابطين^(٤) التي قامت بدعوة الحق ورد المظالم

(١) حيث كانت في إفريقية مذاهب الصفرية والشيعية والأباضية والتكارية والمعتزلة، ومن مذاهب أهل السنة الحنفية والمالكية ولم يبق في أيامه إلا مذهب الإمام مالك، أنظر ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ص ٣٩٧، ابن أبي دينار: مصدر سابق، ج ٢، ص ١٠٣، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، راجعه درويش الجويدى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج ٢، ص ٢٠٧، ١٨٦٨.

(١) ابن أبي دينار: المصدر السابق: ص ١٠٥.

(٢) ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩٦، ٤٠٠.

(٣) الإدريسي: مصدر سابق، ص ١٢٠، ١٢١.

(٤) - عن المرابطين ودولتهم أنظر: حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٧م، أيفان هريك وجان دفيس: المرابطون: تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو، ج ٣، ص ٣٧١-٤٠٢، وداد نصر محمد لسيد الطوخى: مدينة تنبكت منذ نشأتها حتى دخول السعديين، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ١٩٨٦.

وقطع المغارم، وهم على السنة متمسكون بمذهب الإمام مالك^(١) ونجحوا في توحيد المغرب الأقصى ومد نفوذهم إلى بلاد الأندلس . وقد شكلت تجارة الصحراء أهمية تجارية للمغرب في عهد هؤلاء المرابطين ، حيث نشطت الحركة التجارية في هذه الفترة لتوافر عوامل عديدة منها سيطرة المرابطين على مساحات واسعة من الصحراء مما أدى إلى استقرار الأوضاع السياسية في هذه المناطق^(٢). وكان لسيطرة المرابطين على تلك المساحات أكبر الأثر في إحكام السيطرة على الطرق التجارية المهمة ، وخاصة الطريق الذي يصل ما بين سجلماسة في الشمال إلى أودغست وبلاد السودان في الجنوب مما ساعد على تأمين هذه الطرق ، وبالتالي ازدهار حركة التبادل التجاري مع بلاد السودان ، وازدهرت معها المدن التجارية لكل من السودان الغربي وبلاد المغرب، وما بينهما من محطات متناثرة على الطرق التجارية في قلب الصحراء^(٣) ، وليس أدل على العلاقات الطيبة من إقامة علاقات سياسية ودية مع بعض القوى السودانية مثل إمارة التكرور ودولة غانة^(٤).

(١) البكري : مصدر سابق ، ص ٣٥١.

(٢) حسين مراد: الصلات بين المغرب والسودان الغربي ، ص ٣٨٢.

(٣) BOVill (E.W.) : The golden trade of the Moors , London , ١٩٦١. P٨٠.
,Oliver(R) &Fage (J.B.) : A Short History of Africa , Benguin book , ١٩٧٣ , p٨٧.

(٤) وليس أدل على هذه العلاقات الطيبة القائمة بين الطرفين ، من ذلك الكتاب الذي أطلع عليه صاحب الاستبصار ، وقال : " ووقع إلى كتاب ملكها ، أي ملك غانة ، إلى يوسف بن تاشفين ، وأن لم يشر صاحب الاستبصار إلى فحوى الرسالة ، أنظر الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، الإسكندرية ١٩٥٨م ، ص ٢٢٠.

David Conrad and Humphrey Fisher : The Conquest That Never Was: Ghana and the Almoravids, ١٠٧٦. I. The External Arabic Sources History in Africa, Vol. ٩ (١٩٨٢), African Studies Association, p٢٢٢٣.

وهكذا قامت دولة المرابطين على المذهب المالكي السني وقامت بالقضاء على بقايا المذاهب المخالفة للسنّة وخاصة المذهب الإباضي ، وعملوا علي تمسك أهل المغرب بالمذهب المالكي وإتباعهم له وإلزامهم بفقّه صاحبه ، كما منع حكام المغرب من المرابطين الناس من الخروج عنه^(١) .

وخلاصة القول ، إذا كان للمرابطين دور كبير في تصحيح المفاهيم الإسلامية لدى المسلمين في دولتهم ، وتخليص هؤلاء مما ساد بينهم من البدع والخرافات والعادات والتقاليد والرواسب الوثنية ، فقد تمكنوا من تحقيق الوحدة المذهبية في المغرب الإسلامي، بعد أن فشلت الفرق الإسلامية المتطاحنة من خوارج وشيعة وغيرهما في الوصول إلى ذلك الهدف ، كما قاموا بدعم الدعوة الإسلامية وتعميق هذا الدين بصفة عامة في المنطقة ، والمذهب المالكي بصفة خاصة في نفوس العامة بالمغرب ونشره بين صفوف فئات واسعة من سكان السودان الغربي^(٢) .

(١) ابن أبي الزرع : "أبو الحسن علي بن عبد الله المتوفى عام (٧٢٦هـ / ١٣٢٥م) : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، طبع مدينة أوبسالة بدار الطباعة المدرسية ، ١٨٤٣م ، ص ١٢٩ .

(٢) Hiskett ,M : The development Of Islam in west Africa , logman (٢)
,London ١٩٨٤, p23.

محمود إسماعيل : فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، ص ٦١ ، ٥٩ .
وللمزيد عن دولة المرابطين أنظر ، عصمت هانم عبد اللطيف دندش : دور المرابطين في نشر الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ١٩٧٥م . عبد الباقي محمد أحمد كبير : المرابطون ودورهم في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية جامعه الأزهر ، ١٩٨٤ .

وقد أسهمت هذه الجهود في تثبيت أهل المغرب بالمذهب المالكي بإتباعهم له والتزامهم فقه صاحبه ، كما منع حكام المغرب من المراطين الناس من الخروج عنه ، وهذا الأمر من الشهرة بحيث لا يحتاج إلى برهان عليه^(١) .

إلى جانب هذا كله لم يترك المسلمون مسؤولية نشر الإسلام في السودان الغربي للتجار المحترفين ، فإلى جانب انتشاره بشكل عفوي فإن الجاليات الإسلامية في المناطق السودانية كانت تضم مع التجار العارفين والراغبين بالقيام بالدعوة إلى الإسلام بمؤازرة أنشطتهم التجارية مجموعات من العلماء والفقهاء المتفرغين لنشر الإسلام والدعوة إليه^(٢) .

وكانت الجاليات العربية المسلمة منتشرة في مختلف مناطق السودان الغربي، حيث كانت توجد جاليات كبرى أساساً في العواصم مثل تلك التي كانت موجودة بشكل ملحوظ في عاصمة غانة على امتداد قرون قبل دخول الإسلام رسمياً لها وقد قال البكري : عن تلك الجالية في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي أثناء حديثه عن تلك العاصمة " ...ومدينه غانة مدينتان ...إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون ،وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا أحدهما يجتمعون فيه وبها الأئمة والمؤذنون و الراتبون ، وفيها فقهاء وحلة علم وفي مدينة الملك مسجد يصلى فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك ..."^(٣) ، كما كانت هناك جاليات ممثلة ، ولو أنها أصغر حجماً في تکرور وسلي وبيريسى وكوغه وكوكو"^(٤) .

(١) الوثريسي : مصدر سابق ، ج١ ، ص ١٦٩ .

(٢) صباح إبراهيم الشخلى وعادل محي الدين الألوسى : تاريخ الإسلام في إفريقيا وجنوب شرق آسيا ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ١٩٨٩ ، ص ٥٣ .

(٣) البكري : مصدر سابق ، ص ٣٦٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٦٠ .

وقد تساءل بعض الباحثين عما إذا كانت الأحياء الخاصة بالمسلمين في المدن السودانية قبل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تخص الشماليين من العرب والبربر، أم أنهم كانوا يشكلون معظم سكانها وتضم إلى جانبهم أعدادا ليست قليلة من السكان المحليين المسلمين ، مبينين أن الإجابة عن هذا السؤال صعبة ، وإن كانوا يشيرون إلى أن غالبية تلك الأحياء كانت من العرب والبربر الذين كانوا يعتقدون أن وجودهم في مدينة مستقلة عن الوثنيين أمر تقتضيه العفة ومقاييس الشريعة.

وكان الدعاة من أبناء هذه الجاليات يتوجهون بالدرجة الأولى إلى الملوك ورؤساء العشائر الذين كانوا يستقرون بالقرب منهم ويرتبطون بهم و يقيمون معهم علاقات صداقة ويبدلون جهودا كبيرة من أجل إقناعهم باعتماد الإسلام ، كما أن أولئك الدعاة كانوا يحرصون كلما سنحت لهم الفرصة بذلك على تربية أبناء أولئك الملوك والرؤساء وفقا لتعاليم الإسلام وينشئونهم عليها^(١).

MAuny (Raymond) :tableau geographique de l'ouest Africa in au (١) money -age ,dapres les sources ecrites , la tradition et l'archeology, memoire de l'Ifan n!٦١, Dakar, ١٩٦١. P٤٨ - ٤٩.

المذهب المالكي في صُنغى^(١):

ومن أهم دول وملوك السودان الغربي الذين استفادوا خلال تلك المرحلة من هذا النشاط الدعوى دوله صُنغى وعاصمتها جاو ، حيث انتشر فيها الإسلام نتيجة للعلاقات التجارية التي ربطت الشمال الإفريقي ببلاد السودان الغربي، حيث إن طرق القوافل التي حملت معها التجارة حملت معها أيضاً الدعاة المسلمين وخاصة تجار ودعاة الأباضية الذين قدموا عليها زمن الدولة الرستمية (١٦٠ - ٢٩٧هـ / ٧٧٧ - ٩٠٩ م)^(٢) التي اتصلت من عاصمتها تاهرت عن طريق القوافل التجارية التي كانت تخرج من ورجلان قاعدة الرستميين التجارية في الصحراء. وقد وقع على كاهل هؤلاء التجار نشر الدعوة الإسلامية بين الرعايا بجانب ممارستهم نشاطهم

(١) ودوله صُنغى تعرف بـ (أو صُنغى - سُنغى - سونقهاى - صونغهاى - صونغهاى - صونغهاى - سنغاي ...) قامت مملكة صُنغى الأولى في إقليم دندى على النيجر الأدنى ، وأقدم ما عرف عنها الآن ، هو أنه في حوالي عام ٣٩٩هـ / ٩١٢م كانت عاصمة هذه المملكة هي مدينة كوكيا على النيجر ، وتقع على بعد نحو مائة ميل جنوب جاو العاصمة ، ويقول السعدي ، عن كوكيا ، : "حشر فرعون السحرة في مناظرته مع الكليم عليه السلام" السعدي : مصدر سابق ، ص ٣ ، وأياً ما كانت رواية السعدي ، فالمحقق أن كوكيا أقدم العواصم المعروفة لدولة صُنغى ، غير أنه ، منذ حوالي القرن الأول الهجري / السابع الميلادي " ، يبدأ تاريخ صُنغى في الوضوح ، وذلك حين قامت أسرة الازواء في الحكم ، وهى التي تحول لقبها فيما بعد (القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) إلى أسرة شي ، أنظر إبراهيم على طرخان : إمبراطورية صُنغى الإسلامية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، المجلد الثامن ، ١٩٨١م ، ص ٨ ، ٩ . وقد عاصرت دوله غانة ودوله مالي ، وبقيت صُنغى حتى سنة ١٠٠٣هـ / ١٥٩٤م وينقسم تاريخها إلى قسمين فيما يتعلق بالإسلام ، فقد كانت على الوثنية حتى عام ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م ، ثم اعتنق ملكها الإسلام في هذا التاريخ ، وأصبحت منارة لحضارة الإسلام ومبادئه ، أنظر حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .

(٢) الوسياني : سير أبى الربيع الوسياني ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٩١١٣ ح ميكرو فيلم رقم ٨٤٥٢ ، ص ٤٩ ، الدرجيني : طبقات المشايخ بالمغرب ، تحقيق إبراهيم طلاي ، الجزائر ١٩٧٤م ، ج ٢ ، ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

التجاري ، إذ كانوا يرون في انتشار الإسلام جنبا إلى جنب مع نشاطهم التجاري تدعيا لهذا النشاط^(١) ، يشهد على ذلك تراؤهم الكبير^(٢) .

هذا وقد استمر تدفق الإسلام إلى جاو حتى بعد زوال الدولة الرسمية حيث تمكن الإسلام من جماعة كثيرة من سكانها ، لكن انتقل الدور الدعوي من تجار الأباضية إلى تجار المالكية.

ومعروف أن جاو تقع في منطقة الحوض الأوسط لنهر النيجر حيث كانت ترتبط بإفريقية عبر الجادة الصحراوية التي تصل كوكيا بالقيروان مروراً بتادمكة السوق^(٣) ، ومنذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي كان تجار ودعاة وفقهاء إفريقية المالكيون يرتادون جاو ومنهم من كان يستقر بها ، حيث انتشر الإسلام مما شجع الحاكم الخامس عشر من حكام صنغى الذي تذكر المصادر أنه أسلم عام (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) ، وأعطى لنفسه لقب "مسلم دام" ومعناه في لغتهم أسلم

(١) ويؤكد مؤرخو الأباضية ، من خلال ما ذكره الوسياني المتوفى عام (٤٧١هـ/ ١٠٧٨) في أحداث الحكم الثاني للدولة الرسمية عبد الوهاب بن عبد الرحم بن رستم (١٧١هـ/ ٢٠٨٨-٨٢٣م) أن أبنة أفلح عزم على السفر إلى بلاد كوكو لكن أباه صرفه عن عزمه ، ومما يؤكد على قوة العلاقة بين الطرفين وأهميتها للطرفين ، من أجل تقوية العلاقات بينهما ، وحين أل أمر حكم الدولة الرسمية إلى أفلح بن عبد الوهاب (٢٩٨هـ/ ٨٢٣-٨٧١م) سعى لدعم هذه العلاقات مع بلاد السودان الغربي ، فأوفد سفارة رسمية إلى تلك البلاد ، على رأسها محمد بن عرفة الذي تولى مناصب رفيعة في الدولة الرسمية ، محملاً بهدايا من أفلح إلى ملك السودان ، فسر هذا الملك من الوفد وهبته وهديته ، أنظر الوسياني : سير أبي الربيع الوسياني ، مخطوطة ، ص ٤٩ ، ابن الصغير : أخبار الأئمة الرسميين ، مصدر سابق ، ص ٧١ . Davidson, B : Old Africa rediscovered, London , ١٩٥٩, p ٩٧.

(٢) كان بيت ابن زلفين المزاتي يتملك من الإبل ثلاثمائة ألف ، ومن الغنم ثلاثمائة ألف ، ومن الحمير اثني عشر ألفاً ، أنظر النفوسى "سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م" : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية ، مطبعة الأزهار البارونية ، بدون تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٣٧ .

(٣) البكري : مصدر سابق ، ص ٣٧٢ .

طواعية ويدون إكراه^(١) ، وأصبح البرزكانيون أهل جاو^(٢) لا يملكون عليهم أحداً من غير المسلمين، وكان هذا قبل قيام دولة المرابطين^(٣).

وقد ذكر لنا البكري في هذا الصدد، "...ومدينة كوكو...وهي مدينتان، مدينة الملك ومدينة المسلمين، وملكهم يسمى قندا، وإذا تولى منهم ملك، دفع إليه خاتم وسيف ومصحف يزعمون أن أمير المؤمنين بعث إليهم بذلك، وملكهم مسلم، ولا يملكون غير المسلمين"^(٤).

وهذا القول يدل على أن حاكم جاو في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي كان مالكيًا، فقد أشار البكري إلى هذا الأمر الذي تدعمه الأدلة الأثرية أيضاً، إذ تؤكد شواهد القبور التي اكتشفت بالقرب من جاو اتخاذ حكام صُنغِي ألقاباً شرفية متطورة تتناسب مع استخدام الدول الإسلامية السنية^(٥).

(١) عبد الرحمن السعدي: "عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي كان يعيش بعد عام ١٠٦٥هـ / ١٤٩٦م": تاريخ السودان، طبعة هوداس وبنوة، مطبعة بردين، مدينة أنجى ١٨٩م، ص ٣

(٢) البرزكانين هم أهل جاو، أنظر البكري، ص ٣٧٢.

(٣) عثمان برايا باري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ٤٤.

(٤) البكري: مصدر سابق، ص ٣٧٢. وترى الباحثة أن رأى البكري الذي تحدث عن ملك صُنغِي المسلم وعلاقته بأمير المؤمنين ربما يكون قد أضفى وعن قصد على من يعنيه أمير المؤمنين قدراً من الغموض لكونه سنياً وأندلسياً موالياً للأُمويين من جهة، وعدواً للفاطميين ومنهجهم من جهة أخرى.

(٥) اتخذ ثلاثة ملوك أسماء الرسول وخليفته "محمد بن عبد الله المتوفى في ٤٩٤هـ، وأبو بكر بن أبي قحافة المتوفى ٥٠٣هـ، وعمر بن الخطاب المتوفى ٥١٤هـ، ومن خلال اثنين من هذه الشواهد تم نحتهما بالتأكيد في أسبانيا، حيث يسود الاعتقاد أن حمل هذا اللقب ينشأ عن العادة الإسبانية التي بدأت تثبت منذ ٤٤٦هـ، في بلاط مع لقب الناصر لدين الله، والتي وردت على مقابر جاو وهي مرتبطة باسم الخليفة الأموي، أنظر J. les Epiaphes royales de Gao, Al. z. sauvaget. andalus, vol xlv. fasc l, Madrid, ١٩٤٩, p1٣٧, p1٣٨.

كما تدل هذه الشواهد على العلاقة القوية التي ربطت بين المرابطين حكام المغرب والأندلس مع ملوك صُنْغِي في أواخر القرن الخامس الهجري ، فمن خلال دراسة سوفاجيه لشاهد قبر أحد الملوك لهذه الدولة والذي كتب عليه ما يلي : هنا يرقد الملك أبو عبد الله بن محمد الذي دافع عن دين الله وهو الآن في رعاية الله ورحمته ، وكان هذا في عام (٤٩٤هـ / ١١٠٠م)^(١).

وتؤكد هذه التواريخ الموجودة على هذين الشاهدين أنه تم نحتهما في مدينة المرية الأندلسية في الوقت الذي كان المرابطون يسيطرون فيه على الأندلس ، ولذلك يمكن القول بأن هناك صلات تمت عبر المرابطين بين مدينة المرية حيث تم نحت هذه الشواهد ، ومدينه جاو حيث فيها هذه الشواهد^(٢) ، ويقول سوفاجيه : "كان من الممكن الاعتقاد بأن صانع تلك الشواهد قدم من الأندلس إلى جاو^(٣) في عام (٤٩٤هـ / ١١٠٠م)^(٤) وفي عام (٥٠٢هـ / ١١٠٩م) لعمل تلك الشواهد بنفس الأسلوب

(١) Sauvaget j. cit, op, p١٢٤/١٢٥.

(٢) Ibid, p, ١٣٢, ١٣٣.

(٣) يرى سوفاجيه أن هذين الشاهدين قد نحتا في الأندلس وخاصة في مدينة المرية Almeria ثم نقلتا إلى المقابر الملكية في جاو وكانت أدلته على ذلك :

شكل الحروف الكوفية المستخدمة في الشاهدين وخاصة شكل حرف العين الذي تشبه كتابته على الشاهدين اللذين عثر عليهما في جاو شواهد قبور عثر عليها في المرية . طريقه كتابة "هاذا" بدلا من "هذا" هي الشائعة في النقوش العربية بالأندلس . التشابه بين الركنيات الزخرفية في شواهد المرية وشواهد جاو .

كما كان هناك بعض الآيات القرآنية وبعض النصوص الشعرية لأبى العتاهية المنظومة مبنية على نفس الوزن ونفس القافية ، وهي تعتبر بمثابة مفاجأة مفاجئة في جاو حيث يصعب شرحها عبر الظروف المحلية وحدها ، ولكن في إسبانيا تثبت عادة نقش الأشعار على القبور ، على الأقل تلك القبور الخاصة بالشخصيات الكبرى

(٤) Sauvaget j. Ibid, , p١٢٦, ١٢٧, ١٣٢, ١٣٣.

Sauvaget j. Ibid, , p١٢٤/١٢٥.

، لكن أبعاد هذه الشواهد ووزنها الضئيل نسبياً تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنه قد تم نحتها في الأندلس وبالتحديد في مدينة المرية Almeria ونقلت إلى مدينة جاو ووضعت على المقابر الملكية^(١).

وهذا يؤكد أن التأثير السني للمالكي للمرابطين كان واضحاً على إمارة صُنغِي وعاصمتها جاو ، وأن المذهب المالكي هو مذهب هذه الدولة .

المذهب المالكي في إمارة التكرور^(٢) :

لم يكن ملك جاو هو الملك السوداني الوحيد الذي أسلم تحت تأثير الدعوة ، وإنما كان هناك ملوك عديدون من أمثال وارجابي بن رابيس ملك التكرور الذي أسلم بعد تولية حكم بلاده، وكان إسلامه في الثلث الأول من القرن الخامس ، أي قبل حركة المرابطين ، وهذا ما نستخلصه من كلام البكري في معرض حديثه عن مملكة التكرور وسكانها^(٣).

عمل وارجابي بن رابيس على الدعوة للإسلام في مدينه سلى القريبة منه واستجاب ملك سلى لدعوته دون تردد^(٤).

(١) Sauvaget, j:ibid , p128, 129.

(٢) التكرور : مدينة في بلاد السودان عظمى مشهورة ، أهلها أشبه الناس بالزنج ، وتقع إمارة التكرور على الضفة اليسرى لنهر السنغال ، وهى بذلك تقابل مجال صنهاجة اللثام على الضفة الأخرى ، خاصة قبيلة جدالة (آخر الإسلام خطة) أنظر البكري : مصدر سابق، ص ٣٥٩، ٣٦٠.

(٣) البكري : المصدر السابق ، ص ٣٦٠ .

(٤) البكري : مصدر سابق ، ص ١٧٢ ، أحمد الشكرى : مرجع سابق ، ص ٩٥ ، نقولا زيادة : معاهد العلم الإسلامية في السودان الغربي في العصور الوسطى ، المؤسسة الجامعية ، ١٩٨٧ ، ص ٤٦ ، ٤٧ ،

وكان الإسلام في إمارة التكرور منتشراً على مذهب الإمام مالك ، ويرجع ذلك إلى الحيز الجغرافي لإمارة التكرور الذي يقع على الضفة اليسرى لنهر السنغال ، ويقابل مجال صنهاجة اللثام والذي يقع على الضفة الأخرى لهذا النهر خاصة قبيلة جدالة المالكية^(١).

ومما لا شك فيه أن الفقهاء والدعاة والتجار كان لهم دور أساسي في تهيئة الأهالي لقبول الإسلام ، وكان دائماً يوجد الفقهاء إلى جانب الملك أو الأمير الوثني في تسيير شؤون مقاطعته^(٢) وهذا لا يمثل حالة خاصة وإنما مثل ظاهرة عامة لأننا سنصادف حالات مماثلة في الإمارات الأخرى.

المذهب المالكي في مالي^(٣):

اعتنق ملك مالي الإسلام أيضاً تحت تأثير الدعاة سواء كانوا من أهلها أو من الدعاة البربر الذين استقروا في بلاد السودان الغربي . ويذكر البكري أن سبب دخول ملك مالي في الإسلام يرجع إلى الجفاف الذي عرفته بلاده التي كانت تعتمد في حياتها على الزراعة ، وأن ذلك الجفاف استمر سنوات متتالية ، أهلك السكان خلالها الكثير من الحيوانات تقرباً إلى أصنامهم لوضع حد لهذا الجفاف ، وقد أعياهم التوسل لتلك الأصنام دون فائدة ، مما شجع أحد الدعاة المسلمين المستقرين في

(١) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٥٩ .

(٢) هناك روايات تؤكد معرفتهم ببعض جوانب الشريعة وأن شريعة الإسلام تحدد عدد الزوجات الشرعيات ، أنظر البكري : مصدر سابق ، ص ٣٦٢ .

(٣) تعرف بهالي وملل ، ويقول البكري : يوجد بلد ملل جنوب مملكة غانة في المسافة الفاصلة بين

عاصمتيهما ، ويضيف الإدريسي أنها نحو ١٢ مرحلة ، أنظر الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٦ ،

البكري : مصدر سابق ص ٣٦٦ : Hunwick. J.o :The mid- Fourteenth Century

Capital of Mail , the, Journal Of African history ,vol .١٤, No٢

, ١٩٥-٢٠٦. cambridge university press, ١٩٧٣.

حاضرة السلطان إلى التدخل بعد أن اشتكى إليه الملك حال بلاده، فربط هذا الداعية نهاية الجفاف باعتناق الملك للإسلام، ولم يزل يدعوه إليه ويظهر له محاسنه ويرغبه فيه "... حتى أسلم وأخلص نيته وأقرأه من كتاب الله ما تيسر عليه وعلمه الفرائض والسنن . وأمر الملك بكسر الدكاكير وإخراج السحرة من بلاده فأسلم وصح إسلامه وإسلام عقبه وخاصته، وكان معظم أهل مملكته مشركين، فسموا ملوكهم منذ ذاك بالمسلماني^(١). وقد قلده خلفاؤه واقتفوا أثره في الاحتفاظ بالإسلام وإدخال قيمه وتعاليمه إلى بلادهم، والالتزام بشعائره في إطار المراسيم الملكية لدولة مالي، وينسب كي زربو إقناع هذا الملك بالعقيدة الإسلامية إلى أحد فقهاء قبيلة لمتونة من قبائل الملثمين^(٢) وهي إحدى كبريات تلك القبائل الصحراوية، ومنها كان أمراء دولة المرابطين وكبار قادتها. ويرجح الدكتور حسين مراد هذا الرأي بقوله : " إن هذا الفقيه الذي كان موجودا في بلاد الملك "يقرأ القرآن و يعلم السنة " كان على المذهب المالكي الذي تدعم بفضل جهود المرابطين"^(٣).

وهكذا كان حكام مالي علي المذهب المالكي لذلك لا يمكن تصديق رواية المؤرخ الأباضي الدرجيني المتوفى عام (٦٧٠هـ / ١٢٧٢ م) والذي ادعى أن جده علي بن يخلف الذي سافر عام (٥٧٥هـ / ١١٨٠ م) إلى مالي هو الذي هدى ملك هذه الدولة إلى الإسلام، لأن البكري كتب مؤلفه عام (٤٦٠هـ / ١٠٦٧ م) وهذا يعني أن إسلام ملك مالي حدث في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وليس منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ومن هنا أراد

(١) البكري : مصدر سابق، ص ٣٣٦. والحقيقة فإن المؤلفين قد اختلفا في اللقب الذي كان ذلك الملك المسلم يحمله "المسلماني - برمندانه" أنظر ابن خلدون : مصدر سابق، ج ٢، ص ١٨٩٤ .

(٢) Josephkl_zerBo : Histoire de l, Afrique d , hier a demai, hatier , paris, ١٩٧٢. p١٣٣.

(٣) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي، ص ٦٠ . ٧٣ p, cit op, Usman : Muhammad bugE

الدرجيني أن ينسب لجدّه الأباضي المذهب هذا النجاح والسبق الذي حققه داعية مالكي المذهب مجهول الاسم^(١).

وتؤكد طريقة دخول ملك مالي في الإسلام في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي فاعلية أسلوب الدعوة ، وأن هذا الدين انتشر على أساس المذهب المالكي في السودان الغربي من أجل استقطاب الشخصيات المؤثرة إلى الدخول في الإسلام^(٢).

المذهب المالكي في غانة^(٣):

انتشر الإسلام في غانة بفضل جهود الدعاة والتجار المغاربة ، ساعد علي ذلك حكام تلك الدولة الذين كانوا محيين للمسلمين ، فقد كان ملكهم " بسي " محمود السيرة محباً للعدل مؤثراً للمسلمين^(٤).

(١) يستفاد ذلك من رواية البكري حيث يقول : " بأن أسلام مالي حكومة وشعبا كان في منتصف القرن الخامس الهجري ، وليس عام ٥٧٥هـ / ١١٨٠م ، أنظر البكري : مصدر سابق ، ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، كما يقول الدرجيني ، أنظر الدرجيني ، طبقات المشايخ بالمغرب ، ص ٥١٧ ، ٥١٨ ، حسين مراد : المرجع السابق ، ص ٦٠ .

Lewicki ,T : Arabic external sources ,for The history of the Africa to the south of sahara , 2ed London ١٩٦٩ ,pp. ٧٢/٧٣

(٢) : Islumisation cit ,p١٤٣ , J , cuoq

usman Muhammad bugE: cit ,op ,p ٧٧.

(٣) باستقراء المعطيات التي تطرحها المصادر العربية والرواية الشفوية ومقارنتها ، تمكن الباحثون من تحديد الإطار الجغرافي للمنطقة التي تقوم عليها المملكة ، وتم توطينها فيما بين نهري السنغال غربا والنيجر شرقا ، وعلى حدودها الشمالية كانت تتحرك القبائل البربرية الصحراوية ، وفي الفترة التي بلغت فيها ملكه غانة أوج قوتها تمكنت من مد نفوذها جنوبا لكنها لم تلامس مقدمة الغابات الاستوائية ، للمزيد أنظر أحمد الشكري ، الإسلام والمجتمع السوداني ، مرجع سابق ، ص ١٠٩ .

(٣) البكري : مصدر سابق ، ص ٣٦٣ .

(٤) : Islumisation ,p١٤٣ , J,M , Cuoq

وتؤكد الكشف الأثرية التي أجريت على موقع عاصمة غانة القديمة أن أقدم مساجد العاصمة بني في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، مع ترجيح وقوع غانة في نهاية طريق القوافل الغربي الذي يربط بين سجلهاسة وغانة^(١) .

فضلا عن ذلك ، كان الإمبراطور يعفى المسلمين من الكثير من التقاليد المفروضة على رعاياه وأهل مملكته والتي قال عنها البكري : "... فإذا دنا أهل دينه منه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم ، فتلك تحيتهم له ، أما المسلمون فإنما سلامهم عليه تصفيق باليدين ..."^(٢) .

ولقد شجع هذا الوضع التجار المسلمين على التوافد بكثرة إلى غانة حتى أصبح الجزء الذي يخصهم من عاصمته يحتوى على اثني عشر مسجداً أحدها يجتمعون فيه وبها الأئمة والمؤذنون والراتبون وحلة علم^(٣) .

وهكذا حظي المسلمون بالإيثار في غانة في عهده، ليس فقط لمجرد إعجاب الإمبراطور الغاني باستقامتهم وامتلاكهم للغة مكتوبة تساعده على تنظيم أجهزة الدولة وتنظم العلاقات الخارجية مع الدول الأخرى ، بل كان الإمبراطور يستأنس بهم ويطمئن إليهم ، لذا خصهم بامتيازات كثيرة . فقد ذكر البكري منها أنه " في مدينة الملك مسجد يصل في من يفد إليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم

(١) البكري : مصدر سابق ، ص ٣٤٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

Lamin Sanneh : The Origins of Clericalism in West African Islam The Journal of African History, Vol. ١٧, No. ١ (١٩٧٦), Cambridge University

Press p٥١.

(٣) الادريسي : مصدر سابق ، ص ٤ .

الملك ، وتراجمة الملك من المسلمين ، وكذا صاحب بيت ماله ، ومعظم وزرائه من المسلمين^(١) المغاربة الذين كانوا على المذهب المالكي.

كما أسهمت دولة المرابطين في دعم هذا المذهب في غانة أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، ولتأكيد ارتباط هذه المملكة بمذهب السنة المالكي أعلن ملك غانة تبعيته للخلافة السنية، كما أنه أدعى النسب العلوي، ليدعم نفوذه وحكمه في بلاده، وهذا الادعاء يؤكد أن الملك الغاني كان مسلماً سنياً لأنه مجرد إدعاء .

والجدير بالإشارة أن الدعوة السلمية للإسلام في السودان الغربي قد أثرت وبشكل جلي في تلك البلاد منذ بداية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، حيث الانتصار النهائي للإسلام بمذهبه السني المالكي فقد أصبح الدين الرسمي بمذهبه هذا للوحدات السياسية كافة ويعتقه الحكام والمحكومون.

ومن العرض السابق للجهود التي بذلت منذ بداية الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب وحتى أيام المرابطين نجد أن انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي قد سبق قيام دولة المرابطين بزمان كبير . وأما بدايات دخول المذهب المالكي للسودان الغربي فقد كانت أسبق من عصر المرابطين بزمان ليس بالقليل ومع ظهور المرابطين عم المذهب المالكي وانتشر في بلاد السودان الغربي بفضل تحمسهم له .

وبعد أن تم التحديد الزمني لانتشار الإسلام وظهور المذهب المالكي في السودان الغربي، سوف نتحدث الآن عن المرحلة التالية للمذهب في تلك البلاد ، وهي مرحلة الذبوع والانتشار، تلك المرحلة التي شهدت سيطرة دولة مالي على

معظم مناطق السودان الغربي ، والتي تعقبها مرحلة سيادة المذهب المالكي عندما انتقلت السيادة العسكرية على تلك المنطقة الحيوية إلى دولة صُنغِي الإسلامية .

الفصل الأول

المذهب المالكي انتشاراً وسيادته زمن دولتي مالي وصنفي

- ١- مرحلة الذبوع والانتشار "دولة مالي"
- ٢- مرحلة سيادة المذهب المالكي "دولة صنفي"

تبدأ مرحلة الذبوع والانتشار للمذهب المالكي في بلاد السودان الغربي بظهور دولة مالي الإسلامية التي قامت في تلك البلاد وظهرت كقوة بارزة على الساحة السياسية بعد انهيار دولة غانة عام (٦٠٠هـ / ١٢٠٣م) على أيدي قبائل الصوصو^(١). مما أحدث فراغاً سياسياً في المنطقة، الأمر الذي دفع الأقاليم الإفريقية التي كانت تنضوي تحت لواء غانة إلى تكوين كيانات سياسية مستقلة، تصارعت فيما بينها على السلطة والسيادة إلى أن آل الأمر أخيراً إلى قبائل الماندينجو^(٢) المسلمة القاطنة في إقليم كانجابا، وهذه القبائل هي التي يرجع إليها الفضل في إنشاء مملكة مالي الإسلامية التي ميزها عن غيرها ذلك الدور الكبير الذي نهضت به من أجل

(١) الصوصو "فرع من الفولانيين هاجر من تكرور واتجه شرقاً إلى إقليم كانابا في حوض نهر النيجر، حيث أسس طبقة حاكمة ودولة توسعت فيما حوّلها في نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، والصوصو قاموا بتحطيم إمبراطورية غانة الإسلامية، عام (٥٩٩هـ / ١٢٠٣م)، واصطدموا بدولة مالي النامية في كانابا، أنظر إبراهيم على طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٧٦، ٧٧ ويظهر من خلال الرواية الشفوية، أن شعب الصوصو بقيادة "سومانجورو" كانت له طموحات سياسية كبيرة في بلاد السودان، ذلك أنهم بعد إخضاع مملكة غانة وربما كذلك بلاد التكرور، توجهوا نحو الجنوب للسيطرة على بلاد مالي حيث مناجم الذهب، وتمكنوا من بسط نفوذهم على قبائل الماندينغ لبضعة عقود، أذاقوهم خلالها مرارة القهر والتسلط، وقد كان من نتائج سياسة العنف التي مارسها سومانجورو إزاء الماندينغ والشعوب الأخرى الخاضعة له، أن تعمق الإحساس لدى القبائل السودانية بضرورة توحيد صفوفهم وجمع كلمتهم ضد الصوصو، أنظر أحمد الشكري: إمبراطورية مالي، ص ١٧٩.

(٢) ومؤسسو دولة مالي هم قبائل الماندينجو، والتسمية المتداولة بين قبائل الماندينجو هي: المانكا، أو المانكا، أو الماندينغ أو ماننج، أو ماننجا، أو مانديج، وهي كلها متقاربة، وقد سادت هذه القبائل لبضعة قرون في المنطقة الفسيحة الممتدة بين نهر النيجر والمحيط الأطلسي، في الوديان العليا لنهر السنغال، وامتدت نحو الجنوب إلى حوالي خط عرض ٥٩ شمالاً، ولا توجد منها جماعات مبعثرة في مناطق أخرى بحوض النيجر وما حوله، أنظر إبراهيم على طرخان: دراسات في التاريخ القومي الإفريقي، مرجع سابق، ص ٢٦، ص ٢٧.

توحيد القبائل الزنجية داخل ولايات أو وحدات أو ممالك ، وكذلك دورها البارز في نشر الإسلام والدعوة له في جميع بلاد السودان الغربي^(١) في الفترة ما بين (٦٢٨ - ٨٣٤ هـ / ١٢٣٠ - ١٤٣٠ م).

ولهذه الدولة منذ فجر ظهورها ما لا يقل عن ثماني أسر حاكمة لا يُعرف عنها إلا القليل مثل أسرة كوروما ، وأسرة ديارا ، وأسرة مركو ، وأسرة كامارا ، وأسرة باكابوكو ، وأسرة الترويين ، وأسرة الكونانتين ، وأسرة كيتا^(٢).

وقد قاد سندياتا كيتا^(٣) قبائل الماندنغو إلى النصر ، إذ هزم مملكة الصوصو الوثنية المنافسة بزعامه سومانكورو في معركة كيرينا الحاسمة وقتل إمبراطور الصوصو عام (٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م)^(٤). وأتاح هذا النصر السيطرة على كافة الأجزاء التي كانت ضمن نطاق دولة غانة ، وأن يقيموا دولتهم التي عُرفت في التاريخ بمملكة مالي الإسلامية في الفترة ما بين (٦٣٨-٨٣٤ هـ / ١٢٣٠-١٤٣٠ م) على أنقاض هذه الدولة. وقام زعماء قبائل الماندنغو بتنصيب "سندياتا" كإمبراطور عليهم

(١) إبراهيم على طرخان : الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الثاني ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ١٧ ، ص ١٨.

(٢) أسرة كيتا ، لم تكن هي الأسرة التي حكمت مالي ، إذ سبقتها أسر ، غير معروفة مثل هذه الأسرة غير أنها أدت دورا ما ثم اختفت من مسرح الأحداث ، أنظر ، - Joseph ki P ١٣٠ zerbo ، وللمزيد عن هذه الأسر الحاكمة أنظر ، إبراهيم طرخان : دولة مالي ، ص ٣٣ ، ٣٥.

(٣) هو سندينا كيتا ابن ناري فامغان بن ناري فامغان بن موسي كيتا المشهور بموسي إلاكوي ، وقد اشتهر سنديانا بلقب "ماري جاطة" ، ماري معناها الأمير من نسل السلطان ، جاطة معناها الأسد ، ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٢ ، ١٨٩٥ ، القلقشندي : صبح الاعشي في صناعة الإنشاء ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، بدون تاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٩٣.

(٤) Nobiakai AL-Nuraslaam, An Investigation of Malinke historiography (٤) :from studiata to Almamy Samori Toure ,Howard University ,Washington D.C, ٢٠٠٥, p. ٢٠.

عام (٦٣٦هـ / ١٢٣٨م) وظهر أمامهم بلباس المسلم المؤمن^(١) الذي يمثل نموذج الخليفة المسلم القوي بعد أن قدم له الزعماء آيات الولاء والطاعة.

في نفس العام الذي حقق فيه "سندياتا" انتصاره على ملك الصوصو اتخذ عاصمة جديدة لمملكته عرفت بـ (نياني) أي "المدينة الآمنة". وكانت هذه المدينة لا تبعد عن مدينة جني

إلا مسيرة بضعة أيام^(٢)، ومنها كان يتم التحكم في الأمور الاقتصادية والحربية والسياسية للدولة، وتلقب هذا الملك، بـ "مارى جاطة"^(٣).

كما استعان "مارى جاطة" بقواده في تمهيد بلاد السودان الغربي فشهدت مملكة مالي في عهده توسعا شمل كل الإمارات والممالك السودانية، فضمت إقليم التكرور، والمناطق التي كانت خاضعة لغانة، ومنطقة الصنغي. وبانصهار هذه الأقاليم في مملكة مالي الناشئة في كيان واحد تحولت معه مالي إلى إمبراطورية عظيمة القوة والاتساع حيث مارست نشاطها في السودان الغربي كله، وحققت آمالها في الميادين السياسية والاقتصادية كافة حيث امتدت من جبال الأطلس غربا إلى بلاد الهوسا شرقا، ومن المحيط الأطلسي جنوبا وحتى الصحراء الكبرى شمالا. غير أن هذه الإمبراطورية قد بلغت أوج عظمتها وذرورة مجدها واتساعها خلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، حيث انفتحت في هذا الوقت على العالم الإسلامي

(١) أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع، مرجع سابق، ص ١٨١.

(٢) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٢٧. ١٨٩٥، شكلت "نياني" عاصمة مالي طيلة القرنين السابع والثامن الهجريين / الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وموقع نياني، يوجد على أحد روافد نهر النيجر، وهو رافد سانكراني، أنظر، أحمد الشكري: المرجع السابق، ص ١٨٣.

(٣) ابن خلدون: مصدر سابق، ج ٢، ص ١٨٩٥.

، مما كان له الأثر الإيجابي الكبير في التعريف بمملكة مالي وكذلك نمو المؤثرات الإسلامية بها (١).

وعلى أية حال فقد استطاع "مارى جاطة" أن يوطد نفوذه في الأقاليم التي دخلت في إطار دولته ، كما شهدت دولته تطوراً ملحوظاً في الأنشطة كافة ، وعند وفاته سنة (٦٥٢هـ / ١٢٥٥م) كانت دولته قد امتدت من بلاد الجلف غرباً عند المحيط الأطلسي إلى أواسط النيجر شرقاً ، ومن فوتا جالون جنوباً إلى الغرب من كومي صالحو عاصمة غانة السابقة شمالاً ، وأصبحت مساحة دولة مالي تقدر بما يزيد عن نصف مساحة أوربا كلها تقريباً (٢). وهكذا كان اتساع إمبراطورية مالي في عهد "مارى جاطة" قد زاد من شهرتها ، وكذلك في ثرواتها مما كان له أثر بالغ في استقطاب الكثير من الوافدين إليها وفي مقدمتهم فقهاء المالكية ، مما كان سبباً من أسباب انتشار وذبوع المذهب المالكي.

وجاء بعده ابنه منسا ولي (٦٥٢-٦٦٩ هـ / ١٢٥٥-١٢٧٠م) الذي وصفه القلقشندي بأنه أعظم ملوكهم (٣) فقد اعتمد على قواد أبيه ومستشاريه الذين ساعدوه في توسيع رقعه مملكته. وقد اتسمت فترة حكمه بالرخاء إلى حد ما ، وبالتوسع في المناطق المجاورة ، والسيطرة على بعض مناجم الذهب الذي يمثل مصدراً اقتصادياً مهماً فقام بغزو جنجرا وونقارة اللتين يوجد بهما مناجم غنية

(١) احمد الشكري : مرجع سابق ، ص ١٨٠.

(٢) إبراهيم طرخان : دولة مالي الإسلامية ، ص ٤٣.

(٣) ومعناها السلطان ولي وهو الابن الأكبر لسندياتا ، كما عرف بالملك الأحمر نظراً لأنه كان أبيض البشرة ، مما استدل من خلاله إبراهيم طرخان بأن أسرة كيتا جاءت من اليمن ، أنظر إبراهيم طرخان : المرجع السابق ، ص ٣٥.

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩٣.

بالذهب، وضم إلى مملكته كونكودوجو، وسانى نيانجا، وسانجاران^(١)، كما زحف على بعض مناطق التكرور وتمكن من أخذ بعض الرهائن من الأسرة الحاكمة ليضمن لنفسه ولاء تلك الأسر، وكذلك أخذ رهائن من إمارة صنغى الناشئة^(٢) وقد استمر حكمه قرابة خمسة وعشرين عاماً.

بعد وفاة منسا ولى عام (٦٦٩هـ / ١٢٧٠م) تولى زمام الحكم سبعة ملوك ضعاف^(٣)، وبدأ الضعف يتسرب إلى دولة مالي، حتى نجح ساكورة (٦٨٤ - ٧٠٠ هـ / ١٢٨٥ - ١٣٠٠ م) في انتزاع الحكم من أسرة كيتا، بعد انقلاب تم فيه قتل الحاكم الشرعي للبلاد، وساكورة ليس من البيت الحاكم، وإنما هو مولى من مواليتهم^(٤).

وقد اتسع نطاق ملكه وقام بفتح مدينة جاو وضمها إلى مملكته، كما غزا بلاد التكرور في الغرب، وونقارة وجاو حتى أصبحت شعوب السودان الغربي تخشى بأسه^(٥)، كما شهد عهده استتباباً في الأمن والنظام، وانتعاشاً في الحياة السياسية والاقتصادية، فتوافد عليها التجار من بلاد المغرب وإفريقية^(٦) ومعهم فقهاء المالكية. وفي المرحلة الأخيرة من حكمه، قام ساكورة بأداء فريضة الحج في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣-٧٤١ هـ / ١٢٩٣-١٣٤١ م). وفي أثناء عودته

(١) تقي الدين أحمد المقرئ: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق وتعليق جمال الدين الشيال، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٥م، ج١، ص ١١٠.

(٢) إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية ص ٦٤.

(٣) ويقول ابن خلدون في هذا الصدد: "تولى من بعده إخوه واتى، ثم من بعده أخوه خليفة وكان عمقا راميا، فكان يرمى السهام على الناس فيقتلهم مجانا فوثبوا عليه فقتلوه، وولى عليهم من بعده سبط من أسباط ماري جاطة يسمى أبا بكر، وكان ابن بنته فملكوه على سنن العجم في تمليك الأخت وأبن الأخت، ولم يتسن معرفة نسبه ونسب أبيه" أنظر ابن خلدون: مصدر سابق، ج٢، ص ١٨٩٥.

(٤) ابن خلدون: مصدر سابق، ج٢، ص ١٨٩٥.

(٥) أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني، مرجع سابق، ص ١٨٣.

(٦) ابن خلدون: مصدر سابق، ج٢، ص ١٨٩٥.

من الأراضي المقدسة قتل في تاجورة بالقرب من طرابلس عام (٧٠٠هـ / ١٣٠٠م)^(١) وبذلك أسدل الستار على حكمه الذي استمر خمسة عشر عاماً

وخلاصة القول إن هذه الشخصيات الثلاث (مارى خاطة - منسا ولى - ساكورة) قد سيطرت على مجريات الأحداث خلال (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي)، من تاريخ هذه المملكة ، وإليهم يرجع الفضل في تأسيس إمبراطورية قوية . قادرة على التحول لمنعطف جديد في تاريخها .

ثم اكتسبت مالي في عهد منسا موسى (٧١٢ - ٧٣٧ هـ / ١٣١٢ - ١٣٣٧م)^(٢) شهرة عظيمة وهو الذي تولى مقاليد الأمور ، ووصلت مالي في عهده إلى قمة مجدها وقوتها واتساعها ، ووصلت إلى أقصى ما وصلت إليه من اتساع ، وامتدت حدودها من بلاد التكرور غرباً عند شاطئ المحيط الأطلسي^(٣) إلى منطقة دندى ومناجم النحاس في تكده مركز القوافل شرقاً "شرقي النيجر" ، ومن مناجم الملح في تغازا في الصحراء شمالاً إلى فوتا جالون^(٤) ، ومناجم الذهب في ونقارة جنوباً بغرب ، وحاذت الحدود الجنوبية منطقة الغابات الاستوائية^(٥) .

كما انتعشت التجارة في عهد منسا موسى وأصبحت أسواق مالي من أهم أسواق السودان الغربي كله ، وزاد من أهمية هذه الأسواق انتقال سوق الذهب إليها

(١) أحمد الشكري : مرجع السابق ، ص ١٨٥ .

(٢) بعد وفاة منسا ولى ، تولى سبعة ملوك تولوا حكم البلاد من بعده كان أشهرهم منسا موسى ، أنظر

أحمد الشكري : المرجع السابق ص ١٨٤ .

(٣) وجاء وصف السعدي لمالي : "أما ملئ فإقليم كبير واسع جدا في المغرب الأقصى إلى جهة البحر المحيط " أنظر عبد الرحمن السعدي ، تاريخ السودان مصدر سابق ، ص ٩ .

(٤) عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الإسلامية السودانية ، ص ١٠٦ .

(٥) إبراهيم طرخان : دولة مالي الإسلامية ، ص ٧٧ .

، مما كان سببا في اجتذاب الكثير من التجار من درعة و سوس و سجلماسة و فزان و مصر أيضا^(١).

ذلكم هو منسا موسى الذي أشاد به وبمجده معظم الذين كتبوا عن تاريخ هذه المملكة العظيمة ، وعلى رأس هؤلاء الكتاب ، ابن بطوطة ، الذي حفلت رحلته إلى السودان الغربي بأخبار هذه المملكة ، لأنه زارها ووقف على الحالة فيها . ثم ابن خلدون الذي قال عنه أنه : " كان رجلا صالحا ، وملكا عظيما ، له في العدل أخبار تؤثر عنه ، وعظمت المملكة في أيامه إلى الغاية ، وافتتح الكثير من البلاد "^(٢).

وهكذا أصبحت مالي إمبراطورية مترامية الأطراف، بقبائلها المتعددة وثرواتها الغنية ومواردها المتنوعة ومراكزها التجارية النشيطة بالإضافة إلى مراكزها الثقافية التي أسهمت في انتشار المذهب المالكي في هذه المملكة^(٣).

وتتعدد أسباب انتشار وذبوع المذهب المالكي في السودان الغربي زمن دولة مالي ومنها جهود حكام تلك الدول في دعم وانتشار المذهب المالكي ،ومن بينهم ماري جاطة الذي أحجم عن التقدم نحو مدينته ولاته^(٤) بعد أن قضى على دولة الصوصو الوثنية رعاية لحق من لجأ إليها من المسلمين الذين هربوا من قبل أمام خطر الصوصو ومن بينهم عدد كبير من علماء وفقهاء المذهب المالكي^(٥). كما تمكن الإسلام في دولة مالي وذاع الفقه المالكي عندما تولى "منسا ولي" (٦٥٢-٦٦٩ هـ /

(١) عبد الرحمن زكى : الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية ، ص ٣٧.

(٢) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٨٩٥ .

(٣) أحمد الشكري : الإسلام والمجتمع ، ص ١٩٠ .

(٤) ولاته هي : المعروفة في رحله ابن بطوطة باسم إيوالاتن " أيوالتن وبينها وبين مالي أربعة وعشرون يوما ، وطريقها كثير الأشجار وبها ما يشبه ثمار الأجاص والتفاح والخوخ والمشمش " وأعتبرها ابن بطوطة آخر عمل مالي في اتجاه الشمال أنظر ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٦٢ ، ٦٦٣ .

(٥) إبراهيم طرخان : دولة مالي ، ص ٤٢ .

١٢٥٥ - ١٢٧٠م) الحكم بعد وفاة أبيه "مارى جاطة" والذي بتولية الحكم تكون مالي قد قطعت صلتها بالتقليد السياسي الوثني الذي يجعل من ابن أخت الملك المرشح الوحيد لخلافة الملك بعد وفاته^(١).

وجاء "منسا ولى" الذي تأكد وعيه الديني وحرصه على التقاليد الإسلامية في أداء فريضة الحج ، بعد أن سيطر على المراكز التجارية والثقافية التي كانت حافلة بالفقهاء الذين يُفقهون الناس في أمور دينهم^(٢) وكان هذا في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس الذي حكم مصر في الفترة (٦٥٨-٦٧٨هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م)^(٣).

وبعد فترة اضطراب وفوضى دامت سبع سنوات نجح ساكورة في اغتصاب الحكم (٦٨٤ - ٧٠٠ هـ / ١٢٨٥ - ١٣٠٠ م)، وقد اشتهر بالعدل وحسن السيرة، مما كان له الأثر الأكبر في انتشار السلم في هذه البلاد ، وشجع فقهاء المالكية^(٤) على التوافد إليها من إفريقية وبلاد المغرب، وكان هذا سبباً من أسباب ذبوع المذهب المالكي وانتشاره في دولة مالي .

وبعد عصر منسا موسى (٧١٢ - ٧٣٧ هـ / ١٣١٢ - ١٣٣٧ م)^(٥) عصر الازدهار للمذهب المالكي في هذه الدولة وكان هذا بفضل جهوده المتعددة والتي قام بها لدعمه ، ويرجع هذا إلى أنه كان ورعاً تقياً محافظاً على الصلوات وعلى قراءة

(١) ابن بطوطة : مصدر السابق ، ص ٦٦١ ، القلقشندي : مصدر سابق ، ص ٢٩٤ ، ابن خلدون :

مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٨٩٥ .

(٢) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٦٣ .

(٣) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٨٩٥ .

(٤) المصدر السابق والصفحة . ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩٤ .

(٥) محمود كمت : تاريخ الفتاش ، ص ٣٨ .

القرآن والذكر^(١)، كما يرجع له الفضل في بناء عدد من المساجد في بعض مدن دولته، ومن أشهرها المسجد الجامع بمدينة جاو، والجامع الكبير^(٢) في مدينة تنبكت^(٣).

ويذكر ترمنجهام^(٤) أن منسا موسى قد صبغ مالي بصبغة إسلامية واضحة بما شيده بها من مساجد، وبالاحتفالات الباهرة في المناسبات الإسلامية المختلفة، وبرعايته للعلم والعلماء.

كما كان منسا موسى صالحاً عادلاً^(٥) متمسكاً بالمذهب المالكي فخوراً بالانتساب إليه، ويظهر هذا جلياً عندما مر على مصر أثناء رحلة حجه عام (٧٢٤هـ / ١٣٢٤م)، ودخل على سلطان مصر الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ - ٧٤١هـ / ١٢٩٣ - ١٣٤١م) وطلب منه أن يقبل الأرض في حضرة سلطان مصر المملوكي

(١) العمري: مسالك الإيصار في ممالك الأمصار، تحقيق محمد عبد القادر خريسات، عصام مصطفى هزايمة، يوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١م، ج٤، ص ٥٩.

(٢) يعتبر من أقدم مساجد تنبكت وأكبرها، ولا يعرف على وجه التحديد تاريخ التشيد الأول له، ويعبر السعدي عن بناء المسجد الجامع فيقول "كان أولاً على صورة متواضعة تتناسب مع حجم السكان بالمدينة في تلك الفترة، كما يقول كذلك: "أما الجامع الكبير فالسلطان الحاج موسى" ٧٣٣.٧٠٧هـ / ١٣٣٢.١٣٠٧م "صاحب مل هو الذي بناه، وصومعته على خمسة صفوف والقبور لاصقة بها من خارجها في جهتي اليمين والغرب" أنظر السعدي: مصدر السابق، ص ٥٦.

(٣) مدينة تنبكت منذ نشأتها مدينة إسلامية، "ما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن، مأوى العلماء والعابدين ومألف الأولياء والزاهدين .." وذلك لأن طوارق مغشون الذين أنشأوها كانوا مسلمين. وكانت تقدم عليها منذ ذلك الحين قوافل التجار المسلمين، ثم أقام فيها المسلمون من كل مكان، وتبعهم العلماء والفقهاء، وتتابع العمران إلى أن أضحت أعظم مدينة إسلامية في غرب إفريقية، وأغرق مركز ثقافي وتجاري، وأشهر مركز تعليمي إسلامي فيها، أنظر السعدي: مصدر سابق، ص ٢١.

(٤) Tromigham, J. s. . , A History of Islam in west Africa. p٧٠. (٤) Oxford ١٩٧٠,

(٥) السعدي: مصدر سابق، ص ٧، القلقشندي: مصدر سابق، ص ٢٩٥.

فرفض وأبى وقال : " أنا مالكي المذهب لا أسجد لغير الله " فأعفاه السلطان الناصر من ذلك التقليد وقربه إليه وأكرمه وتحدث معه^(١) .

وأمر سلطان مصر وزيره أن يعنى بالضيف الكبير وأن " يجهزه بكل ما يحتاج إليه " كما أمر بإنزاله بقصر عند القرافة الكبرى ، وأقطعه هذا القصر^(٢) أي ملكه له وهو إقطاع من نوع التملك .

هكذا ذكر منسا موسى صراحة في القاهرة أنه مالكي المذهب ، لذلك سعى إلى دعم هذا المذهب في بلاده يتضح ذلك من خلال استغلال فترة إقامته في القاهرة أثناء تلك الرحلة وقيامه بشراء مجموعة من الكتب في الفقه المالكي^(٣) . والراجح أن من أهم الكتب التي اقتناها كتاب "الموطأ" للإمام مالك بن أنس ، و"مدونه" الإمام سحنون فقيه إفريقية، بالإضافة إلى كتاب "مختصر خليل" .

حرص منسا موسى أيضاً على الالتقاء بفقهاء المالكية في مصر ، وحرص على دعم الصلة بينه وبين هؤلاء الفقهاء ، ومنهم القاضي المالكي شرف الدين أبو الروح عيسى الزواوي^(٤) المتوفى عام (٧٤٣هـ / ١٣٤٧م) ، والذي كانت له اليد الطولي في الفقه المالكي حتى أصبح إمام هذا الفقه في مصر ، ولذلك انتهت إليه رئاسة الفتوى على مذهب الإمام مالك بالديار المصرية^(٥) .

١- السعدي : مصدر سابق ، ص ٧ ، القلقشندي : مصدر سابق ، ص ٢٩٥ .

٢- المقرئزي مصدر سابق ، ص ١٤٢ .

٣- المقرئزي : المصدر السابق ، ص ١٤٣ .

Levtzion, N: Islam in west Africa Religion society and poligion to 1800, varioum, London, 1999, p185-186.

٤- العمري : مصدر سابق ، ص ٧٤ ، ص ٧٥ .

٥- ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، ص ٢٨٣ .

كما التقى أيضاً منسا موسى مع الفقيه المالكي محمد بن أحمد بن ثعلب المصري المدرس بالمدرسة المالكية وقاضى المذهب ، وكان هذا اللقاء قبل توجه منسا موسى إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج . وكان الحديث الذي دار بينهما فيما يبدو عن حالة المذهب المالكي في دولة مالي الإسلامية وكيفية دعم هذا المذهب في هذه الدولة بنقل مؤلفات كبار علماء المالكية بعد شرحها له لتدرس في حلقات العلم بمساجد مالي ، ولذا طلب منه منسا موسى أن يؤلف شرحاً لمختصر أبى الحسن الطليطلى في الفقه المالكي^(١) ، وبالفعل وافق ابن ثعلب على القيام بهذا الشرح ، والراجح أن هذا الشرح قد أخذه منسا موسى من ابن ثعلب بعد عودته من الحجاز إلى القاهرة بعد أن أدى الفريضة ثم أخذه معه في رحلة عودته إلى بلاده^(٢) .

وهكذا أسهم منسا موسى في ذبوع المذهب المالكي بالإضافة إلى انتشاره في بلاده بفضل ما نقله من مؤلفات وشروح لكبار فقهاء المالكية حتى يمكن القول أن دولة مالي عرفت في عهده دخول كتب كبار فقهاء المالكية .

واصطحب منسا موسى معه كذلك من أرض الحجاز عند عودته من رحلة حجه عام (٧٢٥هـ / ١٣٢٩م) الفقيه الشاعر المهندس أبا إسحاق إبراهيم بن محمد الغرناطي الساحلي^(٣) الذي قابله هناك وتوثقت العلاقة بينهما بعد أن ظهرت له

(١) أبو الحسن الطليطلى : هو على بن عيسى بن عبيد التجيبى ، عاش خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، درس العلم فقه قرطبة وطليطلة وهو فقيه عالم له مختصر مشهور متفجع به من كبار المالكية في عصره ، أنظر القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج٦ ، ص ١٧٢ ، ١٧١ . ابن فرحون : مصدر سابق ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٤ .

(٢) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٦٤ .

Hunwik, J.o : secular power and Religious Authority in Muslim society, the case of songhay , the Journal of African History , vol.٣٧, No.٢

(١٩٩٦), p١٧٧.

(٣) هو : " أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الساحلي " ويلقب بالطويجن ، ولد بغرناطة ، ونشأ

براعته في عدة فنون منها مهارته العلمية والأدبية والفنية المتعددة حيث كان أديبا و شاعراً^(١). كما كان فقيهاً موثقاً ومهندساً معمارياً بارعاً موهوباً يعرف صنعة البناء الرفيعة وما تقتضيه وينفذها على أتقن الوجوه ، وبالفعل ذهب معه وسكن مدينة تنبكت حتى توفي بها عام (٧٤٧هـ / ١٣٤٦م)^(٢).

كما أصطحب منسا موسى معه كذلك العالم الفقيه عبد الرحمن التميمي^(٣) الحجازي الذي سكن تنبكت ، فوجدها حافلة بالفقهاء السودانيين الذين تفوقوا عليه في الفقه المالكي^(٤)، فرحل إلى مدينه فاس ، وتفقّه هناك ثم عاد مرة أخرى إلى تنبكت فتوطن بها حتى وفاته بعد أن ترك أبناءً وأحفاداً أسهموا في نشر المذهب المالكي ، ومنهم حفيده حبيب الذي عاش في أواخر دولة مالي^(٥).

ولم يكن عبد الرحمن التميمي الوحيد الذي ذهب للتفقه في المذهب المالكي في مدينة فاس، وقد قام منسا موسى بإيفاد عدد من طلبة مالي للمراكز الثقافية ببلاد

فيها انظر، محمد بن شريفة : " من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان " إبراهيم الساحلي دوره الثقافي في مملكه مالي ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ١٩٩٩م ، ص ٨٣، ٨٢، ٨٤.

(١) محمد بن شريفة : مرجع سابق ، ص ٨٢.

(٢) المرجع السابق : ص ١٠٣.

(٣) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٥١ ، أحمد بير الأرواني : السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية ، دراسة وتحقيق الهادي مبروك الدالي ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ليبيا ، ط ١ ، ٢٠٠١م ، ص ٩٣ ، ٩٤.

(٤) المصدر السابق ، ص ٩٤ ، كيف تفوقوا على عبد الرحمن التميمي ، وهو من قال عنه سيدي يحيى التادلسي إذا جاء فقهاء سنكري للأخذ عنه فيقول لهم : " يا أهل سنكري كفاكم سيدي عبد الرحمن التميمي " لذلك نحن نذهب مع الرأي الذي يرى أن عبد الرحمن التميمي يبدو وأنه كان شافعي المذهب ، ولهذا تفوق عليه فقهاء تنبكت المالكيين ، فأضطر إلى أن يسافر ليأخذ عن فقهاء المالكية بالقيروان ، أنظر أحمد الشكري : الإسلام والمجتمع السوداني ، ص ٢٢٥.

(٥) الأرواني : مصدر سابق ، ص ٩٤ ، ٩٥.

المغرب ، ويقول يوسف كيوك بهذا الصدد ، إذا كانت طريق التقوى والورع تنتهي بالسودانيين إلى مكة المكرمة ، فإن طريق العلم كانت تنتهي بهم إلى فاس^(١) ولكن المصادر لم تحتفظ لنا إلا بشخصية كاتب موسى^(٢) أي الذي كان يتولى وظيفة الكتابة لمنسا موسى الذي أرسله إلى مدينة فاس لطلب العلم والفقه المالكي على يد كبار الفقهاء الفاسيين .

وتشجيعاً لسياسة منسا موسى على استخدام الكثير من الفقهاء من المغرب والحجاز إلى دولته ، استقدم كاتب موسى معه الفقيه عبد الله البلبالي^(٣) . وقد قامت بينهما علاقة صداقة قوية أثناء وجوده بفاس ، فاصطحبه هذا الكاتب معه إلى مالي وسكن البلبالي مدينة تنبكت ، وكان عبد الله البلبالي أول من تولى إمامة المسجد الجامع من المغاربة^(٤) . والراجع أن هذا الإمام قد أسهم في ذبوع المذهب المالكي وانتشاره فترة إقامته في تنبكت . وإلى جانب كاتب منسا موسى هناك العديد من الفقهاء الذين تفقهوا في المذهب المالكي وأسهموا في انتشاره ، ومنهم الشيخ مؤدب محمد الكابري الذي استقر بتنبكت ، وقرأ عليه العديد من طلاب العلم^(٥) والذي

(١) ١٠٩ p . cit . op . Islumisation , L ; cuoq . j

(٢) هو : الإمام سيدي أحمد كان رحمه الله عالماً عادلاً ، أنظر ، الأرواني : مصدر سابق ، ص ٩٣ ، ٩٤ ، ص ١٢٣ . عاش في منتصف القرن الثامن الهجري ، السعدي ، مصدر سابق ، ص ٥٧ .

(٣) هو : " عبد الله البلبالي ويقول السعدي : " هو جد جدتي أم والذي " جد السعدي " وهو أول البيضان ، صلى بالناس في ذلك المسجد في أواخر دولة الطوارق وفي أوائل دولة سني علي ثم جاء إلى تنبكت صحبة الفقيه الإمام القاضي كاتب منسا موسى لما رجع من فاس . وخلفه في الإمامة " أنظر السعدي : تاريخ السودان ، مصدر سابق ، ص ٥٨ ، وكذلك ، أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي ، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق محمد إبراهيم ، محمد حجي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٧ .

(٥) قرأ عليه الفقه العديد من طلاب العلم منهم الفقيه عمر بن محمد أقيت ، أنظر السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٨ .

عاصر كثيراً من الشيوخ والفقهاء ومن بينهم عبد الرحمن التميمي الذي جاء إلى مالي صحبة منسا موسى ، كما كان معاصراً للفقهاء أندغم محمد الكبير^(١).

ومن الفقهاء الذين ساهموا في انتشار هذا المذهب الفقيه الثقة أبو عباس سعيد الدكالي والذي أقام بمملكة مالي مدة طويلة و الذي شغل خطة القضاء بعاصمة مالي أيام السلطان منسا موسى^(٢) ، وكذلك الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن وانسول الذي تولى خطة القضاء في مدينة جاو^(٣) ، والفقيه عبد الرحمن الذي كان قاضياً في نياني العاصمة أيام منسا سليمان^(٤) . كما أسهم الفقيه المفتي الحاج جد القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر بن الحاج في ذبوع هذا المذهب خاصة أنه تولى القضاء في تنبكت زمن دولة مالي^(٥) ، وغيرهم كثير من الفقهاء الذين تفقهوا على فقه الإمام مالك ،

Usman Muhammad bugE: cit,op ,p٧٧٧٨.

(١) هو: "الفقيه أبو عبد الله أندغم حمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح معدن العلم والصلاح ومنه تناسل كثير من شيوخ العلم والصلاح منهم من جهة الإباء ومنهم من جهة الأمهات ومنهم من جهتهما معا .فهو عالم جليل قاضي المسلمين ، قال عنه أحمد بابا رحمه الله هو أول من خدم العلم من أجداده فيما أعلم وهو جد جدي لأمة أبو أم جدي" لفظ أندغم حمد من الألفاظ الدالة على التعظيم والتبجيل عند أهل غرب أفريقيا في ذلك الوقت .،أنظر السعدي : مصدر السابق ،ص٢٧، وكذلك أنظر أبو بكر اسماعيل : مرجع سابق ، ص١٩٤ .

(٢) ابن بطوطة : رحلته ، ص٦٧٤ .

Hunwick, J.o ; The Mid-Fourteenth Century Capital of Mali The Journal ,of African History ,vol. ١٤, No.٢(١٩٧٣) p١٩٦٠ .

(٣) وهو من أهل سجلماسة ، وقد عاصر ابن خلدون وصادقه ، وأمدّه بالكثير من المعلومات عن إمبراطورية مالي ، أنظر ، ابن خلدون : مصدر سابق ، ج٢ ، ص ١٨٩٦ .

(٤) وهو فقيه من السودان ، وقابله ابن بطوطة أثناء رحلته وأثنى عليه كثيراً ، أنظر : ابن بطوطة ، رحلته ، ص ٦٧٠ .

(٥) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

وكان لظهور هذا العدد من الفقهاء سبباً من أسباب ذبوع المذهب المالكي في دولة مالي الإسلامية^(١).

وعلي أية حال تعد فترة منسا موسى فترة حاسمه في تاريخ المذهب المالكي في السودان الغربي ، فقد أدت جهوده المتعددة إلى ذبوع المذهب المالكي في دولته . وقد سار على نهجه في دعم ومساندة المذهب المالكي أخوه منسا سليمان (٧٤١-٧٦١هـ / ١٣٤١-١٣٦٠م) الذي كان متفقاً في هذا المذهب^(٢).

وقد تعددت جهود منسا سليمان لنشر المذهب المالكي ودعمه ، منها قيامه بدعوة عددٍ من فقهاء هذا المذهب إلى بلاده^(٣) ، ساعد على ذلك العلاقات الودية بين دولته والدولة المرينية في المغرب الأقصى^(٤). وقد أسهم في دعم المذهب المالكي في إمبراطورية مالي نزوح عدد كبير من فقهاء فاس إلى إمبراطورية مالي ، وقد التقى ابن بطوطة بعدد من فقهاء المغاربة أثناء رحلته إلى مالي^(٥).

وامتدت جهود منسا سليمان لدعم المذهب المالكي في دولة مالي الإسلامية إلى بناء المساجد والجوامع التي أصبحت منارة لتدريس الفقه المالكي ، وتأتي شهادة

(١) ويقول العمري : " وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضي الله عنه ، وبقي بها سلطان المسلمين ، وتفقّه في الدين .. " أنظر العمري : مسالك الإبرار ، ص ٥٩ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩٧ .

(٢) العمري : مصدر سابق ، ص ٥٩ .

(٣) المصدر السابق والصفحة .

(٤) عن علاقة الدولة المرينية بدولة مالي أنظر : ابن مرزوق " محمد بن مرزوق التلمساني المتوفى عام ٧٨١هـ / ١٣٧٩م " : المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريّا خيسوس يعبرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٨١م ، ص ٤٥٤ ، ابن خلدون : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٨٩٦ ، أحمد الشكري : الإسلام والمجتمع السوداني ، ص ٢٧٩ ، ٢٧٢ .

(٥) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٤٧ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ .

حسن الوزان لتؤكد هذا الأمر إذ يقول : " ولمملكة مالي مساجد كبيرة وأئمة وأساتذة يدرسون في المساجد لعدم وجود مدارس " (١).

وقد أعانت هذه المساجد الفقهاء والخطباء في نشر المذهب المالكي بين السكان عن طريق الخطب على المنابر، بالإضافة إلى دروس الوعظ بعد الصلاة مما يؤكد حرص هؤلاء الفقهاء على أداء تلك المساجد لدورها الفعال في نشر المذهب المالكي ، بالإضافة إلى تفيقه الكثير من أبناء المجتمع في أمور دينهم ، حيث كان أبناء هذا المجتمع حريصين كل الحرص على طلب العلم ، متعطشين لتعلم الفقه مع شدة حرص على أداء العبادات والمواظبة عليها ، وقد شاهد ابن بطوطة ذلك بنفسه أثناء زيارته لدولة مالي (٢).

كما كان للعلاقات السياسية بين حكام مالي و المرينيين أطيب الأثر في دعم الصلات الثقافية بين الدولتين ، وترجع بداية هذه العلاقة بين عامي (٧٢٣-٧٣٧هـ / ١٣٢٣-١٣٣٧م) وكانت هذه العلاقة عاملا من عوامل انتشار المذهب المالكي وذيوعه في دولة مالي ، وخاصة في عهد منسا موسى الذي نشأت بينه وبين أبي الحسن المريني (٧٣٠-٧٤٩ / ١٣٣٠-١٣٤٩م) علاقة طيبة بالإضافة إلى عظمة ملكيهما وبفضل خصالهما الحميدة التي تنبع من حب الدين الإسلامي والمحافظة على شريعته ، كما كانا يشتركان في حبهما واحترامهما لأهل التدين والعلم ، والحرص على مصالح المسلمين أينما كانوا (٣). ونضيف إلى ذلك الاعتبار الاقتصادية لتعطي علاقاتهما مرتكزات أكثر قوة بالنظر لما توفره التجارة الصحراوية

(١) الوزان " الحسن بن محمد الوزان الزياتي " ٩٥٧-٨٨٨هـ / ١٤٨٣-١٥٥٠م " : وصف إفريقيا ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٥م ، ص ٥٣٩.

(٢) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٣ ، ٦٧٧.

(٣) ابن مرزوق : مصدر السابق ، ص ١٦٩ ، ١٣٣.

من أموال لخزائنها . ولذلك كان هناك أكثر من سفارة وهدايا متبادلة^(١) ، ومن هذه السفارات سفارة منسا موسى إلى أبي الحسن المريني لتهنئته بمناسبة فتحه لمدينة تلمسان عاصمة دولة بني عبد الواد ، وكان هذا في عام (٧٣٧هـ / ١٣٣٧م)^(٢). وأحسن أبو الحسن المريني استقبال هذه السفارة ، كما قام بالرد عليها بسفارة إلى حاكم مالي منسا موسى لكنها وصلت بعد وفاته ، فأستقبلها منسا سليمان عام (٧٤١هـ / ١٣٤١م)^(٣). وقد فاقت هديته في تلك السفارة هديته إلى الناصر محمد بن قلاوون^(٤) وعندما عادت السفارة المرينية رافقها وفد من رجال دولة مالي ، جاؤوا إلى أبي الحسن " يعظمون سلطانه ويوجبون حقه ، ويؤدون حق خضوع مرسلهم وقيامه بحق السلطان واعتقاله في مرضاته"^(٥)، ونكتفي هنا بتسجيل حسن سياسة أبي الحسن إزاء حكام مالي وكيف استطاع كسب ود وصدقة حكامها باللين والكلمة الطيبة "أوليسوا إخوة في الدين حتى لتعائق فاس نياني وتحضنها وترعاها بحق أسبقيتها للإسلام"^(٦).

كما كان هناك سفارة أخرى بعد أن ضم أبو الحسن المريني بلاد ومملك الحفصيين إلى ممتلكاته، وحيث مهد إفريقية ودخل تونس العاصمة عام (٧٤٨هـ - ١٣٤٨م) فانتهاز منسا سليمان الفرصة وأرسل سفارة للسلطان المريني بمناسبة فتحه الجديد^(٧). واستمرت العلاقات الودية بين مالي و المرينيين في تفاعل مستمر فخرج

(١) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج٢ ، ص ١٨٩٥ .

(٢) ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٤٥٤

Levtzion ,N: Islam in west Africa, p ٣٤٩٣٥٠ .

(٣) ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٤٥٤ .

(٤) ابن خلدون : مصدر سابق ، ج٢ ، ص ١٨٩٦ .

(٥) ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٣٥٥ ، ٣٨٥ ، أحمد الشكري : الإسلام والمجتمع ، ص ٢٧٤ .

(٦) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٥٧ .

(٧) ابن خلدون : مصدر سابق ، ١٨٩٦ .

ابن بطوطة من فاس متوجها إلى مالي عام (٧٥٢هـ / ١٣٥٢م) وتصادف وجوده في مالي أثناء وفاة أبي الحسن فحضر مراسم عزاء أبي الحسن الذي أقامه منسا سليمان ترهما على روحه وكان هذا لعظيم مكانته عنده^(١).

وقد استغل حكام دولة مالي الإسلامية تلك العلاقات الودية في دعم الحياة الدينية والثقافية في دولتهم ، فأوفدوا طلاب العلم إلى فاس عاصمة دولة المرينيين^(٢) وخاصة إلى

جامع القرويين^(٣) ، والمدارس الوقفية التي بنيت في هذا العصر ، حيث شهدت الدولة المرينية بناء العديد من المدارس الأخرى^(٤) مما كان سبباً في رحيل كل طالب علم إليها لدراسة الفقه المالكي.

كما تعد اللغة العربية من أسباب انتشار المذهب المالكي وذيوعه في دولة مالي الإسلامية أيضا . واللغة العربية بصفتها لغة هذا الدين الإسلامي قد تغلغلت في

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٨.

(٢) المصدر السابق : ص ٥٧.

(٣) جامع القرويين الذي صار مقفخة حقيقية لمدينة فاس يرجع إلى عهد الزناتيين الذين خلفوا الإدارة ، الذين ارتبطوا بالاندلس ، رغبة منهم في إقامة علاقات وثيقة ، وقد اشتهرت مدينة الضفة الغربية لوادي فاس باسم عدوة القرويين نسبة إلى جامعها الذي صار أشهر مساجد المغرب الأقصى وأعرقها ، بعد أن طغى بشهرته على جامع الإدارة الحقيقي ، أنظر سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، ج ٢ ، ص ٥١٢.

(٤) مثل مدرسه الحلفائين التي بناها في عام ٦٧٥هـ / ١٢٧٥م ، السلطان أبو يوسف يعقوب المريني "٦٥٦ - ٦٨٥هـ / ١٢٥٨ - ١٢٨٦م" ، كما أمر السلطان أبو سعيد عثمان بن عبد الحق المريني "٧١٠ - ٧٣١هـ / ١٣١٠ - ١٣٣١م" ببناء مدرستين الأولى مدرسه فاس الجديدة والتي أكتمل بناؤها عام "٧٢١هـ / ١٣٢١م" ، والثانية مدرسه العطارين التي بنيت عام "٧٢٣هـ / ١٣٢٣م" ، للمزيد عن مدارس فاس ، أنظر دكتور حسين مراد : الأوقاف مصدرا للدراسة مجتمع فاس في العصر المريني ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، القاهرة ٢٠٠٢م ، ص ٨٤ ، ٩٣.

أعماق المجتمع المالي كله ، بسبب ذلك التأثير الإسلامي القوي الذي شمل سائر الحياة العامة . وأصبحت هذه اللغة لغة رسمية فغدت لغة التخاطب والتجارة في ربوع المدينة والأقاليم المجاورة لها ، خاصة بها عندما استقرت العائلات العربية والبربرية مع مرور الزمن في مالي ، وكونت أحياء خاصة في تلك المنطقة^(١). هذا بالإضافة إلى أن الكثير من الشعوب الإفريقية قد ادعت الأصول الشريفة ، كما أن مؤلفات كبار فقهاء المالكية كانت تدرس في مالي ، مما سمح لأهلها أن ينهلوا من معين اللغة العربية ، ويتعمقوا في دراستها مما أتاح لهم قراءة مؤلفات كبار فقهاء المذهب ودراستها .

كما استخدم سكان دولة مالي الإسلامية اللغة العربية كلغة مشتركة حية في مختلف مجالات حياتهم ، الأمر الذي مكّن للغة العربية من التأثير الفعال في لغاتهم المحلية من خلال دخول الكلمات ذات الأصل العربي في تلك اللغات المحلية . من أجل هذا لم يُخطئ سير توماس أرنولد حين قال منصفاً : " بلغت اللغة العربية وهي لغة القرآن درجة عظيمة من الذيوع والانتشار ، حتى غدت لغة تخاطب بين قبائل نصف القارة السوداء ، ثم يردف ذلك بقوله : " وهذا تقدم كبير في الحضارة الإفريقية "^(٢). وبهذا ساعدت اللغة العربية سكان السودان الغربي في الانفتاح على العالم الإسلامي الذي أصبح مفتوحاً أمامهم .

ولقد كان تأثير اللغة العربية وانتشارها بين أهالي بلاد السودان الغربي حكاماً ومحكومين كبيراً ، ويتأكد لنا مدى إتقان الحكام للغة العربية في بعض الأبيات

(١) ابن بطوطة: مصدر سابق ، ص ٦٦٤ ، ٦٦٥ .

(٢) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين وآخرين ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠ ، ص ٣٤٩ . إبراهيم على طرخان : الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الثاني ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، دار النصر للطباعة ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

الشعرية التي انشدها إبراهيم الساحلي في مكة المكرمة وأعجب به منسا موسى . ونستفيد من ذلك أنه كان يفقه العربية ويتذوق الشعر العربي^(١). كما جاء في مسالك الأبصار أن هذا السلطان كان يجيد التكلم باللسان العربي ، ولكنه حينما كان في مصر لم يكن يتحدث مع الرسميين إلا بواسطة ترجمان^(٢).

ومن الأدلة كذلك على انتشار اللغة العربية شواهد القبور التي اكتشفت في منطقة تادمكة^(٣) والتي ترجع إلى عام (٤٠٠هـ / ١٠٠٦م)^(٤)، بالإضافة إلى شواهد القبور المكتشفة قرب مدينه جاو والتي يرجع تاريخها أقدمها إلى (٤٨١هـ / ١٠٨٨م)^(٥) لتؤكد أن بدء انتشار اللغة العربية يرجع إلى ما قبل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي^(٦).

وإذا كانت اللغة العربية لغة العلم والثقافة فقد كانت أيضاً لغة الحكومة والمراسلات السياسية ، فمراسلات منسا موسى إلى سلطان مصر المملوكي الناصر محمد بن قلاوون كانت تكتب بهذه اللغة . كما كان بلاط منسا سليمان يعج بالفقهاء

(١) محمد بن تشرiffe : من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان ، ص ٩٢.

(٢) العمري : مسالك الأبصار ، ج ٤ ، ص ٧١ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩٥.

(٣) تادمكة : معنى الاسم هبة مكة ، وهي أشبه بمدينة مكة ، وهي مدينة كبيرة وأحسن غناء من مدينة غانا ، وجاوا أهلها بربر مسلمون ، والمسافة بينها وبين القيروان خمسون يوما ، أنظر : البكري : المسالك والممالك ، ج ٢ ، ص ٣٧٠ ، ٣٧١.

(٤) op.cit . p١٦ . j , Hunwick

(٥) Fernando , Palo : histoire contre memoire epigraphie chroniques tradition orale et lieux d'oubli da ne le Sahel malleen , putication del institute des etudes Africaines Rabat ١٩٩٣.p١٨

(٦) op.cit . p١٦ . j , Hunwick

المغاربة الذين أقاموا في دولته أو الذين دعاهم إلى بلاده لتدريس المذهب المالكي^(١) كما كان الخط العربي الذي نجده في هذه البلاد هو الخط الذي يطلق عليه الخط المغربي^(٢).

وهكذا تعددت الأسباب التي أدت إلى ذبوع المذهب المالكي وانتشاره في بلاد السودان الغربي في زمن دولة مالي الإسلامية . وبزوال تلك الدولة من مسرح الأحداث التاريخية^(٣) ، انتقلت السيادة على تلك المنطقة الحيوية إلى دولة صنغى

(١) القلقشندي : مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٢٩٧ .

(٢) العمري : مصدر سابق ، ص ٧٤ .

٣- بدأ سلطان دولة مالي الإسلامية في أقول مستمر نتيجة للصراع على السلطة وتفاقم الخلافات الأسرية بعد وفاة منسا موسى ، وقد زاد الأمر سوءاً انفصال صنغى في عام (٧٣٦هـ / ١٣٣٥م) ، ولم يفلح منسا سليمان في استعادتها ، كما باءت محاولات منسا موسى الثاني (٧٧٦-٧٨٩هـ / ١٣٧٤-١٣٨٧م) الرامية لإعادة صنغى إلى حظيرة مالي بالفشل ، حيث فشل وزيره القوي مارى جاطة في إخضاع أقاليم صنغى الواقعة بالقرب من جاو ، وكذلك أخفق في السيطرة على طوارق تكدا ، والجدير بالذكر أن ملوك صنغى الذين خلفوا زاكسى الذي أسلم طوعاً في مطلع القرن الحادي عشر كانوا يحملون لقب ذا ، وهم يتمون إلى عائلته ضياء التي جاءت من طرابلس واستقرت في جهات نهر النيجر ، وكان ملوك صنغى خاضعين لنفوذ مالي خضوعاً واهياً ، أنظر Trimingham, op.cit, p92/96.

إلى أن انتزع على كولن حرية صنغى في عام "٧٣٧هـ / ١٣٣٦م" ، متخذاً لنفسه بدلاً من لقب ذا لقب سني ، أنظر السعدي : مصدر سابق ص ٣ ، هذا وقد ظلت عائلة سني تحكم منذ تلك الفترة وحتى عام (٨٩٩هـ / ١٤٩٣م) بعد أن أسست دولة صنغى الإسلامية كدولة استوعبت مناطق مترامية الأطراف ، وأخضعت شعوباً مختلفة ، لم يتحقق إلا في عهد سني على (٨٧٠-٨٩٨هـ / ١٤٦٥-١٤٩٢م) ، وسني على كان الحاكم رقم خمسة عشر في سلسلة ملوك عائلة سني التي هي من عائلة ضياء الأمازيغية الطرابلسية ، أنظر عبد القادر زيادي ، مملكة سنغاي في عهد الاسقيين ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، بدون تاريخ ص ٢٧ ، فقد خلف ولده سني مادوجو الذي كان عسكرياً مقتدراً والذي أورثه خبرات واسعة في هذا المجال الحربي ، وتمكن سني على من إخضاع جميع المناطق الواقعة على منحني نهر النيجر حتى مدينه جنبي الإستراتيجية ، كما توسع في أقاليم كوروما وشال ياتنجا ويانجارا ، غير أنه وجد مقاومه عنيفة من قبائل الموسى ولم تتم له السيطرة عليها ، أنظر محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٤٥ ،

الإسلامية وفي عهدها تحققت السيادة للمذهب المالكي وخاصة في فترة حكم الأساكي (٨٩٨-٩٩٩هـ / ١٤٩٢-١٥٩١م) .

سيادة المذهب المالكي في صُنغى^(١) :

يري الناظر لدولة صُنغى أنها من أطول الدول عمراً ، فقد بدأت بذورها في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، وهى بذلك عاصرت دولة غانة ودولة مالي الإسلامية ، و انتهت هاتان الدولتان وبقيت صُنغى على مسرح الأحداث واستمرت تقوى باستمرار وتوسع ، حتى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، حيث انتهت بحملة المغاربة على البلاد عام (١٠٠٠هـ / ١٥٩١م)^(٢).

وقد أصبحت مدينة (جاو) عاصمة لها منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وتقع هذه المدينة عند منحني نهر النيجر ، وقد أصبحت هذه المدينة من أهم مراكز التجارة والثقافة في السودان الغربي ، وهى تشبه مدينة غانة بالنسبة إلى البلاد الواقعة في أعالي النيجر^(٣) . أما قبل ذلك فقد كانت عاصمتهم الأولى (كوكيا)

Michel A. Gomez: Timbukta under Imperial songhay, areconsi duration of aunomy , Spellman college , Atlanta journal of African history ١٩٩٠, printed in great Britain vol ٣١, p٦-٨.

(١) نسبة إلى قبيلة صُنغى ، وهى قبيلة كانت تسكن النيجر حول حدود الغابات الاستوائية في سنوات الميلاد ، ثم أخذت تنتقل إلى الشمال مع النيجر ، وفي القرن الأول الهجري / السابع الميلادي كانت تمتد مساكنها حول النيجر بحوالي ١٥٩ كلم ، وتمتحن صيد الأسماك وزراعة الدخن ، وفي هذا الوقت بدأ انتظام شعبها تحت سلطة واحدة ، أنظر : عبد القادر زبادية : مرجع سابق، ص ٢٥ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى وشرقي القارة الإفريقية

وغربها ، مطبوعات معهد الدراسات العربية ، مصر ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م ، ص ١٠٩ ،

Gerrit J : Dimmendaal: Lexique dendi (songhay) (Djugou, benin) avec un index francais _dendi by petr zima , Journal of the International African Institute, vol. ٦٦, no. ٤/١٩٩٦, p ٣٦٢.

على نهر النيجر الأدنى ، وهي تبعد عن (جاو) قرابة مائة وخمسين كيلومتراً إلى جهة الجنوب^(١).

وقد حكمتُ صُنغى في البداية أسرة مؤسسها الأول هو ديا (ضياء) وأصله من اليمن^(٢) والتي ظلت تحكم هذه البلاد حتى عام (٧٣٦هـ / ١٣٣٥م). ثم انتقل الحكم بعدها إلى عائلة سني التي حكمت بين عامي (٧٣٦-٨٩٩هـ / ١٣٣٥-١٤٩٩م) وعائلة سني^(٣) هي فرع من فروع عائلة ضياء السابقة الذكر ، وقد تولت عائلة سني الحكم عندما استقل بُصنغى على كلن وكان هذا في عام (٧٣٦هـ / ١٣٣٥م) وفصلها عن دولة مالي الإسلامية . إذ إن صُنغى كانت خاضعة للدولة مالي منذ عام (٧٢٦هـ / ١٣٢٥م) حيث كان علي كولن يعيش هو وأخوه سليمان نار في عاصمة دولة مالي الإسلامية^(٤) إلى أن استطاع الأخوان الهرب

(١) عبد القادر زيادية : مرجع سابق ، ص ٢٥ ، ٢٦.

Hunwick, J. o : gao and the Almoravids Revisited : Ethnicity , political Change and the limits f Iterpretin , The Journal of African history , vol. ٣٥, No. ٢١٩٩٤, p ٢٥٢.

(٢) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٤.

Hunwick, J. o : IdeL , p ٢٥٣.

(٣) لقب " ذا " لقب " سني " بمعنى المحرر ، أنظر السعدي : تاريخ السودان ، ص ٣. بينما يرى الدكتور الأمين عوض الله أن لقب سني لا يستبعد أن يكون على كولن قد أخذ هذا اللقب ليطهر التزامه بسنة الرسول الكريم وعليه ، يكون لقب " سني " مشتق من السنة المحمدية ، أنظر : الشيخ الأمين عوض الله : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين مالي وسنغى ، جدة ، دار المجمع العلمي ، ١٩٧٩م ، ص ٦٦.

(٤) تطورت دولة مالي الإسلامية ، وعند عودة منسا موسى من رحلة حججه الشهيرة " ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م " رأى أن يثار من صُنغى فخرج على عاصمتها جاو ، وكان ملكها قد مات حديثاً وخلف ولدين صغيرين هما علي كولن وسليمان نار ، فأخذها منسا موسى معه إلى عاصمته ، ويعمل السعدي ذلك بقوله : " إنه أخذها للخدمة عنده على عاداتهم فيما يختص بأبناء الملوك الذين في طاعتهم " أنظر السعدي ، تاريخ السودان ، ص ٦.

عندما بلغا مبلغ الرجال من دولة مالي ولجأ كلاهما إلى العاصمة جاو^(١) حيث لقيا الإخوان ترحيباً من الأهالي الذين استقبلوهم استقبالا كبيرا تعبيرا عن تأييدهم لها. وبالفعل تم طرد الجنود التابعين لدولة مالي الإسلامية، ثم كانت المعركة الفاصلة التي دارت عام (٨٦٩هـ / ١٤٦٤م). بين دولة مالي وُصْنغِي والتي انتهت باستقلال الثانية عن حكم سلاطين دولة مالي، وبذلك تكون وُصْنغِي قد حصلت على استقلالها التام^(٢). وعين على كولن نفسه ملكاً على دولة وُصْنغِي الناشئة، وقد حكم من هذه الأسرة ثمانية عشر أميراً^(٣).

وهكذا ظلت عائلة سني تحكم منذ تلك الفترة حتى عام (٨٩٩هـ / ١٤٩٣م) حيث دخلت وُصْنغِي في طور الدولة الكبرى القوية حيث استوعبت مناطق مترامية الأطراف وأخضعت تحت سيادتها شعوباً مختلفة، وكان هذا في عهد علي بير الكبير سني على (٨٧٠-٨٩٨هـ / ١٤٦٥-١٤٩٢م). حيث قام بتأمين حدود دولته من الناحية الشرقية^(٤).

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) فيج جي . دي : تاريخ غرب أفريقيا، ترجمة سيد يوسف نصر، القاهرة، ١٩٨٢م، ٦٢.

(٣) منهم، (١) علي كلن، (٢) سليمان نار، (٣) إبراهيم كاباي، (٤) عثمان كانافا، (٥) باري كينا، (٦) محمد دغ، (٧) محمد كونيجيا، (٨) محمد فاري، (٩) كارييفو، (١٠) ماري كول، (١١) ماري هاي، (١٢) ماردانو، (١٣) سليمان دام، (١٤) علي بير، (١٥) باري دغ، (١٦) سني مادو جو، (١٧) سني علي، (١٨) أبو بكر داعو، وكان هذا آخر حكام أسرته سني علي، حيث أل الحكم إلى أسرته جديدة وهي أسرة الاساكي وكان ذلك في عام (٨٩٩هـ / ١٤٩٣) وللمزيد أنظر: عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي، ص ٢٦.

(٤) عندما تولى سني علي مقاليد الأمور كانت دولة مالي الإسلامية تحتضر من الضعف الداخلي والضيوط الخارجية التي جاءت في المقام الأول من ملوك سنغاي وقبائل الموشى، فسارع سني علي بالتهام أملاك دولة مالي الواحدة تلو الأخرى، وتقدم شرقاً فأخضع إمارات الهوسا وكاتسينا وجوبر وكانو وزنغفارة وزاريا، وعرج غرباً حتى استولى على بلاد الماندينجو والفلواني، وشمالاً حتى موطن الطوارق، أنظر أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج٦، ط٤، القاهرة

وتمكن سني على هذا من إخضاع جميع المناطق الواقعة عند منحني نهر النيجر وحتى مدينة جني^(١)، كما سيطر على مدينة والانه وإقليم التكرور حتى المحيط الأطلنطي، وبلغت دولة صنغي بذلك اتساعاً لم يسبق أن بلغته من قبل، مما نتج عنه زيادة قوتها واتساع سلطاتها السياسي والاقتصادي، وبذلك يكون سني على بتلك الحروب والانتصارات نجح في أن يكون صاحب الفضل في تحويل مملكته الصغيرة إلى إمبراطورية إسلامية كبيرة تضاهي أكبر إمبراطوريات ذلك الوقت^(٢).

بعد وفاة سني على عام (٨٩٩هـ / ١٤٩٣م)، تولى ابنه الأكبر أبو بكر داعو الحكم بوصفه وريثاً شرعياً للحكم في بلدة دنغ عام (٨٩٩هـ / ١٤٩٣م). ولكن لم يمتد حكمه للبلاد سوى بضعة أشهر، حيث قام القائد محمد توري^(٣) أحد قادة جيوش سني على بانقلاب ضده للاستيلاء على الحكم عام (٨٩٩هـ / ١٤٩٣م).

مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٣م، ص ٢٦٢.

(١) مدينة جني: تقع جني على مسيرة مائتي ميل إلى الجنوب الغربي من تنبكت، وتقع على الضفة اليسرى لنهر بني، أحد روافد نهر النيجر، وتقوم على هضبة صخرية وسط سهل فسيح تنطليه المياه في الخريف، ويبدو أن تأسيس مدينة جني كان حوالي القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي أو قبله، أنظر السعدي: تاريخ السودان، ص ١١، أبن الوزان: وصف أفريقيا، ص ٥٣٧.

Roderick.J: McIntosh and Susan Keech McIntosh From Siecles Obscurs to Revolutionary Centuries on the Middle Niger Author(s) World Archaeology, Vol. ٢٠, No. ١, Archaeology in Africa (Jun., ١٩٨٨), pp ١٤١-

١٦٥

,Lansine kABa , L: op,cit,p ٢٥٤.

(٢) محمد أنور توفيق: دولة سنغاي الإسلامية تطورها الاقتصادية والاجتماعي والحضاري، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة ١٩٧٧م، ص ٣٩.

(٣) هو "القائد محمد توري بن أبي بكر" كان من أصل سوننكي، كما كان ضابطاً بارزاً من ضباط جيش سني على بارو، قام بحركة انقلاب بعد وفاة سني على، واتخذ لنفسه لقب الاسكيا ليكون صفة مميزة لحكمه وحكم سلالة، أنظر السعدي: مصدر سابق ص ٧١، ٧٢.

وبانتهاء حكم أسرة سني الذي استمر زهاء تسعة قرون^(١) قامت أسرة حاكمة جديدة عرفت بلقب جديد هو (الأساكي)^(٢)، ويعتبر تسلم الأساكيا محمد عرش دولة صُنغِي الإسلامية بداية عهد انتظام المملكة وبداية سيادة المذهب

المالكي زمن الأساكي وقد تحققت السيادة في دولة صُنغِي لعدة عوامل سوف نعرض لها الأول منها هو جهود بعض حكام دولة صُنغِي وخاصة أساكيا محمد الكبير (٨٩٨ - ٩٢٤ هـ / ١٤٩٢ - ١٥٨٢ م)^(٣)، وابنه أساكيا داوود (٩٥٦ - ٩٩١ هـ / ١٥٤٩ - ١٥٨٣ م) اللذين عملا على تشجيع فقهاء المالكية في دولتهما ومنحوهما حرية مطلقة. وتنص المصادر التاريخية على أن الأساكيا محمد الذي كان مالكي المذهب قد مهد الطريق لفقهاء المالكية للتمكين لهذا المذهب في دولته، ساعده على ذلك أسرته الصالحة التي نشأت في بيئة علمية أدت إلى تحمسه لعقيدته الإسلامية ولمذهبه المالكي، فأبوه كان من العلماء وأمه كانت صالحة تقية^(٤)، وقد وصلت به

(١) Hunwick, J.O : Gao and the Almoravids Revisited, ٢٥٤.

Usman Muhammad bugE: cit, op, p. ٨٥.

(٢) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٧١ ، ٧٢. الأساكي : " اتخذ محمد توري لنفسه لقب "الاساكيا" ليكون صفة مميزة لحكمه وحكم سلالته ، ويشير السعدي إلى سبب هذه التسمية ، بقوله : "...ولما بلغ الخبر بنات سني على قالت أساكيا معناه في كلامهم لا يكون إياه فلما سمعه أمر أن لا يلقب إلا به فقالوا أساكيا "ومعناها المغتصب لأنه اغتصب السلطة من أبي بكر داعو ، وهذا اللقب اشتهرت به الأسرة التي أسسها.

Alice Louise Wiilard: The Songay in the West African world-System, (٢) A dissertation submitted to The Johns Hopkins University in conformity with the requirements for the degree of Doctor of Philosophy, Baltimore, Maryland, ١٩٩٩, p. ٣٠٢ .

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٧١ ، ٧٢.

R. W. Niezen: The 'Community of Helpers of the Sunna': Islamic Reform among the Songhay of Gao (Mali) Africa: Journal of the International African Institute, Vol. ٦٠, No. ٣ (١٩٩٠), p. ٣٩٩

(٤) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٦٩.

العاطفة الدينية الإسلامية إلى أن أرجع نسبه إلى الصحابي جابر بن عبد الله الانصاري المتوفى عام (٧٨هـ / ٦٩٧م) ولهذا نشأ غيوراً محباً لدينه مصلحاً تقياً حتى إنه شكل دولته على أسس الشريعة الإسلامية^(١). ولذلك يعد من أعظم ملوك الصنغى فقد " فرج الله به على المسلمين الكروب وأزال به عنهم البلاء والخطوب ، حيث اجتهد في إقامة الملة وإصلاح أمور الأنام ، وصاحب العلماء واستفتاهم فيما يلزمه من أمر الحل والعقد"^(٢).

وبفضل أسكيا محمد تخلصت البلاد من حكم عائلة سني على ، وكان بعض حكام هذه العائلة من المتمسكين بالتقاليد الوثنية لذلك خرج أسكيا محمد على حاكم الدولة المدعو سني بارو عام (٨٩٨/١٤٩٤-١٤٩٣م) لأنه كان كوالده سني على (٨٦٩-٨٩٨هـ / ١٤٦٤-١٤٩٢م) متمسكاً بالتقاليد الوثنية ومهملاً لقواعد الشريعة الإسلامية . فالأب سني على كان يغلب عليه طابع البداوة ، كما كان فاجراً ظالماً متلاعباً بالدين وفقاً لما ذكره كعت والسعدي^(٣) حيث حاول التوفيق بين الأنماط الإفريقية المرتكزة على السحر والشعوذة ، وبين ما جاءت به الشريعة الإسلامية . ولذلك خشي من علماء تنبكت أن يهددوا نفوذه باسم الدين ، الأمر الذي جعله يضطهدهم ويعاملهم بقسوة^(٤) ، مما كان سبباً لهربوهم من مدينة تنبكت إلى مدينه ولاته^(٥).

(١) Hunwick, j :Songay Borno and Housland in sixtath century, book history of west Africa; vol٢ second edition ,London ١٩٧١,p٢٤.

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٧٣.

(٣) كعت : مصدر سابق ، ص ٤٣ ، ٤٤ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ٦٧.

(٤) Trimingham .op .cit ,p.٩٤

(٥) يؤكد بعض المؤرخين أنها أسست منذ قرون عديدة تحت اسم بيرو ، وأنها كانت على صلة قوية بإمبراطورية غانة منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، قبل أن يتم تحويل أسمها إلى ولاته في بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر، في هذا الصدد أنظر

وقد توفي سني على في ظروف غامضة عام (٨٩٨هـ / ١٤٩٢م) أثناء عودته من حملة ضد بلاد كرم^(١) بعد أن بقي في الحكم حوالي سبع وعشرين سنة وأربعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً^(٢) وتم تنصيب ابنه الأكبر أبي بكر داع في عام (٨٩٩هـ / ١٤٩٣م) في بلدة دنغ خلفاً له^(٣)، ولكن حكمه لم يمتد سوى بضعة أشهر حيث حاصرت التحدييات منذ الوهلة الأولى، فقد تطلع أحد قادة جيوش والده للحكم وهو محمد تورى بن أبي بكر الذي حشد قواته وعمل على استقطاب العلماء والأنصار إلى جانبه مستفيداً من ممارسات أبي بكر داعو التي كانت لا تتفق مع روح العقيدة الإسلامية. فقد بدأ أبو بكر داعو يستمد سلطته من السحر والشعوذة والتقاليد الوثنية، ولذلك اعتبره صاحب الفتاش في عداد الكفرة^(٤) وانتهز القائد محمد تورى عدم التزام أبي بكر داعو بالتعاليم الإسلامية فخرج عليه، وجعل ذلك مبرراً لإقصائه. ونتيجة لذلك أرسل إليه محمد تورى أحد كبار الفقهاء وهو الفقيه العالم الصالح محمد تل الشريف، يدعو للإسلام ونبذ التقاليد الوثنية وإعلان ولائه للإسلام كدين للدولة^(٥).

٢٣-٢٤، ١٩٨٣، p.٢٤.

أما سكانها فيعتقدون أن تأسيسها سابق لظهور الإسلام وأنها فتحت علي يد عقبة بن نافع في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، والذي يوجد قبر أبنة العاقب بن عقبة بالقرب من مسجدها بحسب ماتوارثوه من روايات، أنظر الخليل النحوي: بلاد شنيق المنارة والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجماعات البدوية المتنقلة "المحاضر" مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٧، ص ٦٥.

(١) السعدي: مصدر سابق، ص ٧١.

(٢) محمود كعت: مصدر سابق، ص ٥٣، ٥٤.

(٣) نفس المصدر: ص ٥٢، السعدي: مصدر سابق، ص ٧١.

(٤) محمود كعت: مصدر سابق، ص ٥٣، ٥٤.

(٥) أرسل الاسكيا محمد الفقيه العالم محمد تل الشريف إلى شي بار يدعو إلى الإسلام وهو في بلدة أنفع فأبى وامتنع وأغلظ للفقيه بالكلام وأرتكب فيه امراً عظيماً حتى هم بقتله وصده الله عن ذلك بقطره

وعندما رفض أبو بكر داعو الاستجابة لدعوة محمد تورى التقي به الأخير في معركة حاسمة بالقرب من جاو عاصمة صُنغى ودخل القائد محمد تورى العاصمة جاو عام (٨٩٩هـ/١٤٩٣م) ، وبهذا تمت الإطاحة بحكمه وبحكم سلالة لدولة صُنغى والذي استمر زهاء التسعة قرون^(١).

وقد أدى قضاء محمد تورى على أسرة سني على ، إلى اعتلائه عرش دولة صُنغى^(٢) واتخذ لدولته مظهراً إسلامياً في كل معاملاتها ، كما كان متحمساً للإسلام وللفقهاء ، كل هذا أدى إلى تعميق الوجود الإسلامي في الدولة ، وأدى إلى ارتفاع شأن فقهاء المالكية الذين عادوا إلى مدينته تنبكت التي كانوا قد فروا منها زمن

وغلته ورجع إلى الأسكيا محمد وبلغه الخبر من أبيه شي بار وما فعله به ، وبعد ذلك أرسل أسكي محمد الفقيه صالح جور إلى وشى بار ثانيا وأتاه وبلغه رسالة أسكي محمد فما أزداد إلا عتوا وأبأية وامتناعا وتجبرا وأتى بأشد من فعلته الأولى ، حيث أشار عليه وزراؤه بقتل هذا العالم حتى وقال له أذهب بقتل هذا العالم حتى تنقطع رسله ولا يرسل لك مرة ثانية ، ولكن منعه الله وقال له أذهب لمرسلك فإن رجعت إلى بعد رسول منه فدمه في عنقك ، وذهب للأسكيا محمد وأخبره ما حدث ومدى أبأيته من الدخول في الإسلام ، جمع الأسكيا محمد أهل مشورته من العلماء والأكابر وشاورهم في أمرة فأشاروا عليه بإرسال رسول ثالث يداريه ويلين له في الكلام لعل الله يهديه إلى الإسلام فأرسل الفقيه القاضي محمود كعت ، فأمتنع وزاد أبأية وأمر بضرب طبول الحرب وذهب وبلغ الأسكيا محمد بما حدث وأستعد للحرب ويأبعه الجميع على الموت . أنظر محمود كعت : الفتاش ، ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ .

(١) دائرة المعارف الإسلامية : نقلها للعربية محمد الفندى ، أحمد الشتاوى ، وآخرون ، تهران ، مادة : صُنغى ، مجلد ١٢ ، ص ٢٦٥

Davidson Basil: The Africanpast , London , ١٩٧١, P٢٥.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٥٨ ،

Michael A . Gomez : Timbuktu under Impetial song hay , A reconsideration Autonomy, the journal of African history , Cambridge University press , ١٩٩٠ , p٩.

,Lansine kABa: cit,op,p ٢٤٤/٢٥٦.

سني على^(١) . وبعودتهم وبفضل رعاية أسكيا محمد لهم وللغة المالكي ، أصبحت مدينة تنبكت مركزاً مهماً للغة المالكي في دولة صُنغِي يقصدها الفقهاء وطلاب العلم .

ويتولي أسكيا محمد الحكم ارتفاع شأن المذهب المالكي ، فقد اشتهر بالورع والتقوى كما كان مراعيّاً لحرمة الدين ملتزماً باتباع أحكامه ، كما كان له ميل شديد لنشر الإسلام السني وجعله ديناً ودولة . كما كان له اهتمام كبير بالفقهاء ، يأخذ برأيهم في جميع شؤونهم ، " كان يسأل العلماء عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمشي على أقوالهم "^(٢) ، في أمور الدين والدنيا^(٣) ، وفي أمور السلم والجهاد .

وكان لخروج أسكيا محمد للحج عام (٩٠٢-٩٠٣هـ / ١٤٩٦-١٤٩٧م)^(٤) أثر كبير في دعم المذهب المالكي في دولته بين رعاياه ، حيث لقي أعلام الإسلام بمصر والحجاز والمغرب ، ففي مصر التقى بالإمام السيوطي المتوفى عام (٩١١ / ١٥٠٥م)^(٥) .

(١) Elspwth j, B,A: op.cit, p٣٥, Lansine kABa , L: op,cit,p ٢٥٤.

z Michael A . Gomez : Ibid ,p ٨.

(٢) ومن هذا أسئلته للإمام السيوطي في مصر أثناء رحله حجة ، أنظر ، البرتلي ، مصدر سابق ، ص ١١١ ، وكذلك أسئلته للإمام المغيلي ، وعن جهل علماء بلاده بالأمور الدينية ، انظر المغيلي : "محمد بن عبد الكريم" ، أسئلة الاسكيا وأجوبه المغيلي ، تقديم عبد القادر زيادية ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤م ، ص ٣٢ .

(٣) كعت : مصدر سابق ، ١١ ، ١٢ .

(٤) نفس المصدر : ص ١٦ .

(٥) هو " جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، أنظر عبد الرحمن السيوطي : الحاوي للفتاوى ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٤م ، مقدمة الكتاب .

وبعد عودة الأسكيا الحاج محمد الكبير من رحلة حجه " زاد خماسه لنشر الدين الإسلامي وتمكين للمذهب المالكي فيقول الوفرائي في هذا الصدد: "فرجع إلى السودان فنصر السنة وأحيا طريق العدل وجرى على منهاج الخليفة العباسي في مقعده وملبسه وسائر أموره ومال للسيرة العربية وعدل عن سيرة العجم فصلحت الأحوال"^(١).

ومن ذلك اهتمام الأسكيا الحاج محمد الكبير بعد رجوعه من رحلة الحج بمحاربة الإمارات الوثنية ، مما كان له أثر كبير في سيادة وتمكين المذهب المالكي ، وخاصة بعد أن أصرطحب معه الفقيه الصالح " مور صالح جور " ليعين له أحكام الجهاد في سبيل الله وفق المذهب المالكي^(٢) ، فخرج عام (٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) للجهاد ضد دوله الموشى الوثنية^(٣) وقد قام بإرسال الفقيه الصالح مور صالح إلى سلطان الموشى يدعو للإسلام ونبد الوثنية أو الالتزام بدفع الجزية. غير أن سلطان الموشى رفض الاستجابة لهذا العرض ، مستجيباً لأوامر كاهن معبدهم الوثني الذي أشار عليه بعدم ترك دينه ودين آبائه وأجداده ، وما أن نقل له الفقيه العالم الصالح مور صالح ما دار بينه وبين حاكم الموشى ، لم يجد أسكيا الحاج محمد بدا من الاستعداد

(١) الوفرائي: "محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله" نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، ط ٢ ،

الرباط ، مكتبة الطالب ، بدون تاريخ ، ص ٩٠ . Michael A . Gomez : op,cit, p٩.

(٢) السعدي : مصدر سابق ص ٧٤ ، إبراهيم طرخان : إمبراطوريه صغنى الإسلامية ، مجله كليه الآداب ، جامعه الرياض ، مجلد ٨ ، الرياض ، ١٩٨٦م ص ١٦ .

(٣) دولة موشي دولة ظهرت في منعطف نهر النيجر ، وكانت ذات تنظيم سياسي وعسكري ، وأهلها من المحاربين الذين هاجموا تنبكت ، وخربوها زمن منسا موسى حاكم مالي ، وفي عهد صغنى دخلوا في صراع عسكري مع حاكمها سني على وأسكيا محمد اللذي شنا عليهم حربا باسم الإسلام ، أنظر ميشيل إيزارد : شعوب وممالك منعطف نهر النيجر وحوض الفولتا ، تاريخ أفريقيا العام ، اليونسكو ١٩٨٨م ، مجلد ٤ ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٣ .

للقاتل خاصة وأن أهل الموشى قد أعدوا العدة لمحاربتة . وفي هذا الصدد يقول السعدي: "فقاتلهم وقتل رجالهم وخرب أرضهم وديارهم وسبى ذرايهم فكل من أتى من هذا السبي من رجال ونساء صاروا مباركين ولم يكن في هذا الإقليم جهاد في سبيل الله إلا هذه الغزوة وحدها"^(١)، وإذا كان هذا العمل يدل على حرص الأسكيا الحاج محمد الكبير على نشر الإسلام وإعلاء كلمه الله ومحاربة البدع والخرافات في أيامه^(٢) فإنه يدل أيضا على تقديره لفقهاء المذهب المالكي الذين استعان بهم في كل أمور دولته مما أعان على التمكين للمذهب المالكي في ربوعها .

كما اتصل الأسكيا محمد عام (٩٠٢هـ / ١٥٠٢م) بالشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي^(٣) المتوفى عام (٩٠٩هـ / ١٥٠٩م) والذي يعد من كبار فقهاء المالكية في عصره . وذكر له الأسكيا جهل بعض علماء بلاده بالأمور الدينية واللغة العربية ، وبالتالي عدم أهليتهم الشرعية في تولي مناصب الدولة المهمة ، فكان رد الإمام المغيلي للأسكيا محمد ناصحاً له بقوله : "...وجب عليك أن تطلب عالماً من أهل الذكر، فالعلماء في هذه الأمة كالأنبياء في الأمم الماضية يجب الاعتماد عليهم والسعي إن بعدوا ..."^(٤) .

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٧٤ .

(٢) المغيلي : مصدر سابق ، ص ٤٦ .

(٣) المغيلي "هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني ، ولد في تلمسان شمال غرب الجزائر من أسرة بربرية من قبيلة مغيلة، وهو من العلماء القلائل الذين حفظت مؤلفاتهم وبقيت ذكراهم إلى يومنا هذا في بلاد السودان الغربي وتوفى عام "٩٠٩ هـ / ١٥٠٩ م" أنظر ، أحمد بابا : نيل الابتهاج ص ٥٧٦، ٥٧٧ ،

Abd-Al-Aziz Abd-Allah Batran: A Contribution to the Biography of sheikh Muhammad Ibn, Abd-Al-kariam Ibn Muhammad, Autonomy , the journal of African history vol ١٤, no. ٣١٩٧٣ Cambridge University press , p ٣٨١٣٩٤ .

(٤) المغيلي : أسئلة الاسكيا ، ص ٣٢ .

Abd-Al-Aziz Abd-Allah Batran: Idel , p ٣٨٢

وقد أصبح هذا التوجيه حافزاً للأسكيا محمد الكبير فعمل بكل قوة لرعاية العلماء واستقطابهم ودعوتهم من جميع أنحاء العالم الإسلامي ، ويعد محمد عبد الكريم المغيلي من الوافدين إلى بلاط أسكيا محمد في مدينة جاو ، واتخذ الأسكيا محمد مستشاراً دينياً له ، كما أقام الإمام المغيلي حلقات علمية ، ومارس نشاطه في التأليف ، وكان له مناظرات دينية مع العلماء^(١).

والجدير بالذكر أن الأسكيا الحاج محمد الكبير كان مقرباً لهؤلاء العلماء الفقهاء ، فإن دخلوا عليه أجلسهم وقربهم منه^(٢) ، وارتفعت مكانتهم عنده لدرجة أنه حضر إلى جاو قادماً من تنبكت خصيصاً لاستقبال القاضي أبي البركات عند رجوعه من الحج عام (٩٢٤هـ / ١٥١٨م)^(٣).

وقد سار الأسكيا داوود على نهج الأسكيا محمد الكبير في التمكين والسيادة للمذهب المالكي ، وقد ساعده على ذلك أنه كان حافظاً للقرآن ، فقيهاً عالماً بأحكام هذا المذهب ، فقد قرأ كتاب "الرسالة" لأبي زيد القيرواني المتوفى عام (٣٨٦هـ / ٩٦٦م)^(٤) على يد أحد فقهاء المالكية^(٥). وفي عهده انتشرت كتب المذهب ، بفضل اتخاذه نسخاً ينسخون له الكتب التي كان يهديها إلى العلماء والفقهاء . كما قام بإنشاء

(١) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٧٠ ،

usman Muhammad bugE :cit,op,٨٦.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١١ ، ٥٥ .

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٧٦ .

(٤) ابن أبي زيد القيرواني (أبو محمد، عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النغزاي القيرواني) ولد عام "٣١٠هـ / ٩٢٢م" شيخ المالكية بالمغرب، كان إماماً بارعاً في العلوم ، واسع الثقافة والإطلاع متبعاً طريق السلف داعياً إليه بالقلم واللسان والعمل، كثير الحفظ واسع العلم والرواية فصيح اللسان والقلم يقول الشعر ويمجدة مع صلاح وورع وعفة.

(٥) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

خزائن الكتب^(١)، حيث كانت الكتب هوايته المفضلة والتي كان يقدمها للعلماء والعارفين ليعين بذلك طلاب العلم على الاطلاع على كتب المذهب.

كما كان الأسكيا داوود شديد الكرم والاحترام للفقهاء وكذلك كان كثير الاحتفاء بهم، ومن ذلك استقباله الحار للقاضي محمود كعت حينما قدم إلى جاو حيث أكرمه كرماً يليق بالعلماء^(٢)، كما كان يزورهم إذا مرضوا، ويستمر في عيادتهم إلى أن يتماثلوا للشفاء^(٣).

ويرجع العامل الثاني لسيادة المذهب المالكي في دولة صنغى إلى تولى عدد من فقهاء المالكية عدداً من الخطط الدينية والتي يأتي في مقدمتها خطة القضاء والفتيا. وكان يعين هؤلاء الفقهاء (المفتين - القضاة) أسكيا، وهم بذلك تابعون للسلطة المدنية، ومع ذلك فإنهم كانوا في الأحكام التي يصدرونها مستقلين تماماً يعتمدون

(١) المصدر السابق والصفحة، إبراهيم طرخان، دولة صنغى، ص ٣٧.

(٢) كما كان معروفاً كذلك بالأعمال الخيرية، فقد حدث أن منح الفع محمود كعت صاحب الفتاش ما عينه بنفسه لتجهيز بناته الأربع وأبنائه الخمسة بمناسبة زواجهم وكانت المنحة ضياعاً وخيولاً وعبداً وملابس. وتكاليف العرس قد يساعد فيها السلطان إذا كان الطالب له جاء عنده وهذا ما فعله الفع كعت صاحب تاريخ الفتاش، وكان في تلك الفترة يتولى أمر القضاء في مدينة تنبكت فعندما أراد أن يزوج أولاده الخمسة وبناته الأربع أرسل إلى الاسكيا داوود مع كاتبه نكر لنبار يطلب منه أن يعينه على متطلبات العرس قائلا: (فنادى الفع كعت) كاتبه بكر لنبار فجاء فقال له أردت أن أبعثك إلى أسكي بحاجة لنا، فقال أنا رسولك بلا شك فقال قل لاسكى إنى محتاج قصصناه فإن لي أربع بنات وخمسة بنين مقبلون علي الزواج ونطلب منه أربع زرايى، وأربع إماء وأربع كلات وأن يعينني في جهازهن البنات وأما البنون أريد لهم العمامة وأريد منه كسوة العام قميصين وعمامتين وقلنسوتين والمدايتين فرسا (ورمكه عتيقة) ومزرعة وعبدها وبذرهما وأربعين حلاية .. ونريد منك يا أسكى الفع أن تخبره وتبلغه رسالتى، أنظر كعت، ص ١٠٨.

(٣) ومن هذا ما حدث مع الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت عندما مرض في كاغ في بعض أسفاره وكان السلطان أسكي داوود يأتيه كل ليلة يسمر عنده حتى برئ تعظيماً له، أنظر محمود كعت: مصدر سابق، ص ١١٥.

فقط علي الأحكام الشرعية المستمدة من روح الإسلام وحده ووفق مذهب الإمام مالك . ولذلك كان الأساكي حريصين في اختيارهم على أن يكون المعينون من الفقهاء البارزين في العلم و المتصلعين في الفقه المالكي^(١)، والذين يتمتعون بالورع والصلاح والزهد .

ويرجع الفضل إلى أسكيا محمد في تنظيم القضاء في دولته ، إذ أكثر من القضاة بحيث لم تخل مدينة من المدن الكبرى من قاضي مثل تنبكت وجاو وجني وغيرها من المدن، إذ إنه عين في كل بلد من بلاده قاضيا^(٢) يفصل بين الناس وفق الشريعة الإسلامية . وقد تولي قضاء دولة صُنغى الإسلامية عدد من القضاة ممن اتصفوا بالعدل وحسن السيرة . ففي مدينة تنبكت تولى القضاء قضاة ينتمون إلى عائلة أقيت ، ويأتي في مقدمتهم الفقيه القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت (١٨٦٨-٩٥٥هـ / ١٤٦٣-١٥٤٨م)^(٣)، وكان قد عينه أسكيا محمد عام (٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) لاشتهاره بالعلم والصلاح والفقه^(٤).

(١) وقد أئسم تعاملهم مع المذهب بالسماة الآتية :

"أ" التزام نصوص المذهب وعدم الخروج عنها إلى غيرها إلا ما كان على سبيل الاستثناس عند من تبيأت لهم متانة العلم وسعة الأفق من المفتين .

"ب" الإفتاء والقضاء بالقول المشهور في المذهب ، وعدم الخروج عنه إلا قيا ندر
 "ج" طغيان طابع التقليد في الإفتاء والقضاء وندرة طابع الاجتهاد، أنظر الفكر السامي : ج ٤ ، ص ٣١٨ .
 (٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٥٩ .

(٣) أحمد بابا : " أحمد بن أحمد بن عمر أقيت ت ١٠٣٦هـ / ١٦٢٧م " نيل الابتهاج بتطريز الديقاج ، تقديم عبد الحميد عبد الله المرامه ، مكتبة الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا ، ط ١ ، ١٩٨٩م ، ص ٦٠٧ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٨ ، الارواني : مصدر سابق ، ص ٩٠ .

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٨ ، محمد بن مخلوف : شجرة النور الذكية في طبقات المالكية ، دار الفكر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٦٠٤ ، Levztion , N : Islam in west Africa, p٣٤٣ .

كذلك كان حال القضاء في مدينة جني^(١) ، فقد تولى عدد من فقهاء المالكية منصب القضاء هناك ، منهم فودي محمد بن سانوا الونكري ، وكان فقيهاً وعالمًا كبيراً ، وصلت شهرته العلمية وصلاحه إلى أسكيا الحاج محمد الكبير فولاه قضاء مدينة جني عام (٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) بعد عودته من الحج^(٢).

أما قضاة مدينة جاو فقد تولى خطة القضاء فيها الفقيه القاضي محمود كعت الذي كان معاصراً للأسكيا محمد الكبير و أسكيا داوود ، وشغل منصب القضاء نظراً لشهرته الواسعة في الفقه وكذلك لسعة علمه^(٣).

كما تولى فقهاء المالكية خطة الفتوى وهي خطة ضرورية للناس كافة حيث يحتاجونها في مختلف مناحي الحياة ، سواء في العبادات أو المعاملات . ويعد محمد بن عبد الكريم المغيلي من أهم من تولوا هذه الخطة في عهد أسكيا الحاج محمد الكبير ، منذ أن وصل إلى جاو عاصمة دولة صُنغِي في عام (٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) . فقد وجه له أسكيا الحاج محمد الكبير عدة أسئلة مهمة تتناول مسائل اجتماعية ودينية وسياسية ،

(١) مدينة جني من أهم المراكز الثقافية في السودان الغربي ، تتمتع بموقع ممتاز في جزيرة وسط المياه على أحد روافد نهر النيجر وتقوم على هضبة صخرية لها سهل فسيح تغطية المياه في الخريف ثلاثة أشهر من فيضان نهر النيجر وتقع على مسيرة مائتي ميل إلى الجنوب الغربي من تنبكت ، وهي مدينة قديمة جداً يرجع تأسيسها للقرن الأول الهجري ، وقد وصلت مدينة جني درجة من الازدهار والثقافة جعلتها تحتل المركز الثاني بعد مدينة تنبكت ، لذلك كان الاساكى يهتمون بها ويعينون لها القضاة الصالحين ، ويساعدون هؤلاء القضاة على بناء مأوى لطلاب العلم وبناء المساجد . أنظر السعدي : تاريخ السودان ، مصدر سابق ، ص ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٧ .

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٥٩ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ١٨ .

(٣) مادهو بانيكار : الوثنية والإسلام ، ترجمه وتعليق أحمد فؤاد بليغ ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٨م ، ص ٥٤٧ .

ومن خلال أسئلة الأسكيا محمد يتضح مدى حرصه على إصلاح حال البلاد وفق الشريعة والمذهب المالكي^(١).

أما العامل الثالث الذي أعان في تمكين المذهب المالكي وسيادته فهو ازدهار تدريس الفقه المالكي على يد عدد من فقهاء السودان الغربي . وقد نبغت أسرتان كبيرتان في هذا المجال ، الأسرة الأولى أسرة أقيت والأسرة الثانية أسرة بغيغ ، بالإضافة إلى عدد آخر من فقهاء المالكية من غير هاتين الأسرتين .

ويأتي على رأس أسرة أقيت الشيخ الفقيه عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٢٩ هـ / ١٥٢٢ م) والذي فر من مدينة تنبكت بسبب اضطهاد حاكم صُنغى سني على لفقهاء هذه المدينة ، وظل في مدينه ولاته التي رحل إليها حتى وفاته يدرس الفقه فاستفاد الطلاب منه استفادة كبيرة^(٢) . وكان للأسرة الثانية وهى أسرة بغيغ جهود كبيرة في مجال التدريس ساهمت في تحقيق سيادة المذهب المالكي في تلك البلاد . ويأتي على رأس هذه الأسرة القاضي الفقيه محمود بن أبى بكر الجنوى بلدا الونكرى أصلا ، وهذا الفقيه العالم والد كل من الفقيهين أحمد بغيغ المتوفى عام (٩٧٨ هـ / ١٥٧٠ م)^(٣) والفقيه محمد بغيغ (٩٣٠-١٠٠٢ هـ / ١٥٢٣-١٥٩٣ م) . والأخير من أعلام المذهب المالكي وهو أستاذ ومعلم للفقيه أحمد بابا التنبكتي^(٤).

(١) تذاكر مع الاسكيا الحاج محمد في جملة من المسائل الفقهية وألف في السودان عشرات الكتب والشروح أعضاء الحياة العلمية في السودان الغربي .أنظر أحمد بابا :نبيل الانتهاج بتطريز الديباج ، مصدر سابق ص ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، كما كان مفتيا ورأساً لسياسة الاسكيا الحاج محمد ، حيث ألف له كتابا أطلق عليه أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيل ، الاروانى : السعادة ، مصدر سابق ، ص ٨٥ . وللمزيد عن هذه الخطط الدينية أنظر الفصل الثالث من هذه الدراسة .

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٧ ، أنظر الاروانى : مصدر سابق ، ص ٨٣ ، ٨٢ .

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٢٩ ، البرتلى ، مصدر سابق ، ص ٢٨ .

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٦٠٢ .

وكان العامل الرابع لسيادة المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي زمن دولة صنغى هو قيام الكثير من فقهاء المالكية في تلك البلاد بالشرح والتعليق على أمهات الكتب في الفقه المالكي . وكان لانتهاهم لمذهب الإمام مالك أثر كبير في تأليف المختصرات والشروح والحواشي والتعليقات على مؤلفات هذا المذهب ، وخاصة مختصر خليل الذي يعتبر مؤلفه هو حامل لواء مذهب الإمام مالك في زمانه بمصر ، والكتاب يضم المشهور من الآراء مجردا من الخلاف في فروع فقهية كثيرة جدا مع الإيجاز البليغ ، وقد حظي مختصر خليل هذا بنصيب كبير من الدراسة والتأليف ألفوا عليه الحواشي والتعليقات ، منها تقييد أو شرح وضعه الفقيه محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي المتوفى عام (٩٣٦هـ / ١٥٣٠م)^(١) . كما كان للفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٥٠هـ / ١٥٤٣م) تقييد في سفرين ضما شرحاً لمختصر خليل ، ولأهمية هذا الشرح أقبل عليه طلاب العلم بالدراسة والتحصيل^(٢) . كما وضع أيضاً العاقب بن عبد الله الأنصمى المتوفى بعد عام (٩٥٠هـ / ١٥٤٣م) تعليقا على مختصر خليل^(٣) .

وقد حازت هذه المؤلفات الفقهية لهؤلاء الفقهاء الكثير من الإقبال ، فسعي إلى طلبها العلماء وطلاب العلم مما أعان على سيادة المذهب المالكي في تلك البلاد ، وكان هذا بفضل ظهور جيل من الفقهاء والعلماء أخذوا على عاتقهم تدريس هذا المذهب والتأليف فيه ، وذلك بفضل تمسك الحكام وأعلام الفقهاء والعلماء به ومن ورائهم المحكومون كافة .

(١) المصدر السابق ، ص ١٦٨ ، ١٧١ .

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٦٠٧ .

الفصل الثاني

عوامل انتشار المذهب المالكي وسيادته في بلاد السودان الغربي

أولا - العوامل الداخلية:

- ١- تغلب المذهب المالكي على غيره من المذاهب والنحل الإسلامية
- ٢- ملائمة المذهب لطبيعة أهل السودان الغربي .
- ٣- دعم السلطة الحاكمة للمذهب المالكي .

ثانيا - العوامل الخارجية:

- ١ - ذبوع صيت الإمام مالك إمام دار الهجرة .
- ٢ - التأثير المغربي.
- ٣- رحلات الحج والرحلات العلمية .

بعد أن عرضنا للعوامل التي أدت إلى انتشار المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي نحن الآن بصدد الحديث عن العوامل الداخلية والخارجية التي أدت إلى توطين هذا المذهب وسيادته في تلك البلاد في عهد دولتي مالي وُصْنغِي الإسلاميتين.

أولا - العوامل الداخلية :

١ - تغلب المذهب المالكي على غيره من المذاهب والنحل الإسلامية :

من الواضح لدينا أن أصحاب المذاهب الإسلامية من السنة والخوارج الصفرية والأباضية كان لهم إسهام كبير وواضح في نشر الإسلام في بلاد السودان الغربي خلال القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي. ففي خلال هذا القرن نشطت التجارة التي أسهمت بدورها في نشر الإسلام و كذلك نشر بعض أرائهم الدينية ، وقد ساعد على ذلك حيوية التجار ، ودور السلطة السياسية في الشمال الإفريقي وبلاد السودان الغربي وتوفير الأمن على طول الطرق التجارية^(١).

وقد استمر نشاط تجار الفرق الإسلامية الدعوي للإسلام خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، ومع نهاية هذا القرن انتهى دور الخوارج الصفرية في السودان الغربي بسقوط دولتهم في سجلماسة عام (٢٩٧هـ / ٩٠٩م) ، وبدأ كذلك دور الأباضية في الضعف بعد سقوط دولتهم في تاهرت عام (٢٩٦هـ / ٩٠٨م) ، وكان هذا بسبب قيام الدولة الفاطمية الشيعية في المغرب ، فقد سعت تلك الدولة جاهدة من أجل بسط نفوذها على العالم الإسلامي بشكل عام ، لذلك كانت رغبة خلفائها في الاستفادة من المبادلات التجارية عبر الصحراء

(١) الحبيب الجنحاني : المغرب الإسلامي - الحياة الاقتصادية والاجتماعية (٤٤٣هـ / ١٠٠٩م) الدار

التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٧٨ ، ص ١٠٢ ، ١٤٦ .

الكبرى ، ليتسنى لهم الحصول على كميات الذهب لتساعدتهم في تمويل فتوحاتهم وضرب عملتهم . ولكن فشلت الدولة الفاطمية الشيعية في بسط نفوذها ، كما فشلت في نشر مذهبها في بلاد المغرب ، وبالتالي في بلاد السودان الغربي .

ثم شهد القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي استمرار نشاط تجار السنة المالكية في بلاد السودان الغربي مع الغياب التام لتجار الفرق الإسلامية الأخرى ، وفي هذا القرن قام المرابطون بدور دعوى في تلك البلاد ونشروا الإسلام على أساس المذهب المالكي، ولذلك حدث انتصار للمذهب المالكي في تلك البلاد، إذ أصبح مذهب الحكام والمحكومين .

وتوضح مرحلة ظهور المذهب المالكي في السودان الغربي والتي عرضنا لها في هذه الدراسة كيفية تغلب المذهب المالكي على غيره من المذاهب حتى توطن بمفرده في بلاد السودان الغربي^(١) .

٢ - ملاءمة المذهب المالكي لطبيعة أهل السودان الغربي :

اختار أهل السودان الغربي مذهب الإمام مالك دون سواه من المذاهب الإسلامية الأخرى، حيث بزغ مذهب مالك مع بدايات انتشار الإسلام بفضل جهود دعائه من المغاربة وانفرد أهله بالمذهب ، كما شكل هذا المذهب عمقاً ثقافياً في السودان الغربي مثلما شكل المذهب الحنفي عمقاً ثقافياً في الدولة العباسية و لذلك سوف أناقش الأسباب التي من أجلها اعتنق أهل السودان الغربي لمذهب مالك معللة أسباب اختيارهم لهذا المذهب وتوطنه عندهم .

ومن أسباب اعتناق أهل السودان الغربي للمذهب المالكي أن هذا المذهب يعد أقرب المذاهب الفقهية لمزاج وطبيعة أهل السودان الغربي ، وذلك لسهولة

(١) أنظر الفصل التمهيدي .

المذهب ووضوحه ، فهو مذهب يعتمد على القرآن الكريم^(١) ويأخذ بالنص الصريح الذي لا يقبل تأويلاً^(٢) . ويأخذ من القرآن الكريم نصاً أو إشارة أو مفهوماً ، ويقدم القرآن على ما عداه من السنة^(٣) ، ويوثق الحديث بالقرآن . كما تأتى السنة في المرتبة الثانية ، حيث يأخذ بالمتواتر منها ، وبخبر الآحاد^(٤) مثلما يأخذ مالك بعمل أهل المدينة^(٥) فيأخذ بفتاوى الصحابة وما أجمعوا عليه من فتاوى . كما يأخذ بالقياس ، والمصالح المرسلة ، والاستحسان ، ويأخذ بفقه سد الذرائع ، وقد قابل هذا المنهج ميلاً وهوى لدى أهل السودان الغربي ، لأنه يتفق مع طبيعة الفطرة في بساطتها ووضوحها دون تكلف أو تعقيد ، ولأن أهل السودان الغربي كأهل المغرب يميلون إلى البساطة ويفرون من النظريات المتطرفة والتأويلات البعيدة المتكلفة ، كما أن المذهب المالكي خلا من تداخل الآراء فبقى بعيداً عن الشوائب نقياً^(٦) .

كما أن فقه الإمام مالك ينفر من الجدل ويستند إلى الحديث^(٧) وإذا كان فقه الإمام مالك مرحلة متطورة إلا أن النقلة بالنسبة لأهل السودان الغربي لم تكن

(١) الإمام مالك : الموطأ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، بدون تاريخ ، من مقدمة المحقق ، ص ٥٠٠.

(٢) ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين ، ج ٢ ، ص ٢٢ .

(٣) ابن العربي "أبو بكر بن عبد الله" : أحكام القرآن ، تحقيق على محمد البجاوي ، صادر الجبل ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ١٥٦ .

(٤) السبكي "تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين" : قاعدة في الجرح والتعديل ، تحقيق عبد الفتاح أبو غرة ، ط ٢ ، دار الوعي ، حلب ، ١٩٣٧م ، ص ١٣٠ .

(٥) الذهبي "شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي" : سير أعلام النبلاء ، ط ٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ج ٨ ، ص ٨١ .

(٦) عمر الجيدى : محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ، منشورات عكاظ ، مطبعة النجاح ، بدون تاريخ ، ص ٣١ .

(٧) الرازي : الجرح والتعديل ، ج ١ ، ص ١٨٤ . السيوطي : (جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي "طبقات الحفاظ ، تحقيق على محمد عمر ، مكتبة مصر ، ط ١ ،

مفاجئة بل كانت متدرجة ، حيث أدت طبيعة أهل السودان الغربي إلى النفور من أي مذهب يقوم على الرأي ، ومن ثم وجدوا ضالتهم في المذهب المالكي الذي يمثل مدرسة المدينة^(١) التي توافرت فيها أحاديث الرسول ﷺ بعيدا عن رأى فقيه أو قياس جديد .

وإذا علمنا من ناحية أخرى أن أهل السودان الغربي قد تميزوا بحساسية مفرطة تجاه مسألة السُّنة ، ويسعيهم إلى تتبع آثارها وإلى مقاومة أعدائها من أهل البدع وأهل الأهواء يمكن أن نجد تفسيراً لتفضيلهم للمذهب الإمام مالك^(٢) .

وهناك خاصية أخرى في المذهب المالكي ربما جعلت أهل السودان الغربي يفضلونه على ماعداه وهى تلك التي تتعلق بأصوله فهو يتميز بكثرة الأصول ، وكثرة هذه الأصول بين أيدي المفتى تسمح له باختيار أصلحها وأقربها للعدل ، وأكثرها توفقا مع الواقع الإفريقي . ولذلك كان المذهب المالكي يتميز بكثرة مراعاته للعرف^(٣) .

كما ساهمت جهود فقهاء المالكية المغاربة الأوائل في نشر مذهب الإمام مالك بطريق غير مباشر ، فقد كانوا أسوة حسنة من خلال تمسكهم بأقوال مالك وتطبيقها على أنفسهم وخاصة ما يتعلق منها بالبعد عن السلطان ، ومن ثم عدهم العامة نماذج يحتذى بها ، فأقبلوا على الأخذ بالمذهب حكاما ومحكومين بل صار الانتفاء لهذا المذهب مصدر فخر ، فنجد منسا موسى (٧١٢-٧٣٧هـ / ١٣١٢-١٣٣٧م) حاكم دولة مالي يفخر باعتناق هذا المذهب ويقول وهو في القاهرة : "أنا مالكي

١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، ص ٧٩ .

(١) الذهبي : سير الإعلام ، ج٨ ، ص ٨٣ .

(٢) نجم الدين الهنتاى : المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن ال ٥ / ١١م ، تبر الزمان

، تونس ، ٢٠٠٤ ، ص ٦٤ .

(٣) المرجع السابق ونفس الصفحة .

المذهب"^(١) وهكذا اقبل ملوك وأهالي تلك البلاد على هذا المذهب والتزموا بفقهاء في كافة العبادات والمعاملات^(٢).

٣- دعم السلطة الحاكمة للمذهب المالكي :

ساعدت الظروف مجتمعة علي جعل مذهب الإمام مالك أمراً مقبولا من الوجهة السياسية لدى الحكام ، ويعد هذا العامل من أهم العوامل التي أدت إلى توطين المذهب المالكي في منطقة السودان الغربي . فقد أصبح المذهب المالكي بفضل جهود هؤلاء الحكام أحد المقومات الأساسية للدول التي قامت في تلك المنطقة ، فكان دور السلطة الحاكمة كبيراً في جمع أهالي السودان الغربي على مذهب واحد هو المذهب المالكي . ولذلك عملوا على نشره وأوجدوا له الحماية خوفاً من الفرق الأخرى سواء أكانت سياسية ، أو اعتقادية ، أو فرقاً شيعية ، أو خارجية ، وهذه الفرق لعبت دوراً في تشكيل المغرب المجاور جغرافياً لبلاد السودان الغربي.

وقد عرضنا من قبل لدور بعض حكام دولة مالي الإسلامية في نشر هذا المذهب وذيوعه^(٣) كما بينا دور بعض حكام دولة صُغى الإسلامية في تحقيق السيادة الكاملة لهذا المذهب^(٤).

وخلاصة القول إن المذهب المالكي انتصر في بلاد السودان الغربي بفضل ودعم السلطة الحاكمة لهذا المذهب ، إذ تولى فقهاء المالكية جميع خطط الدولة مثل خطة القضاء وخطة الفتوى وخطة الكتابة وغيرها من الخطط الدينية^(٥) ، مما يعنى أن

(١) المقرئزي : الذهب المسبوك ، ص ١٤٢ .

(٢) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٧٧ .

(٣) عن دور حكام مالي في تحقيق ذيوع المذهب المالكي أنظر الفصل الأول من هذه الرسالة .

(٤) عن دور حكام صُغى في تحقيق السيادة للمذهب المالكي أنظر الفصل الأول من هذه الرسالة .

(٥) عن تولى من فقهاء المذهب المالكي للخطط الدينية أنظر : الفصل الثالث من هذه الدراسة .

جميع الأحكام القضائية صارت وفق المذهب المالكي ومن ثم تم التمكين لهذا المذهب بين سكان تلك البلاد خاصة وأن تطبيق أحكامه يعين على هذا الأمر^(١).

العوامل الخارجية:

إذا كان للعوامل الداخلية التي عرضنا لها أنفاً أثر كبير في التزام أهالي السودان الغربي بالمذهب المالكي وتمسكهم به وتوطنه في بلادهم ، فإن للعوامل الخارجية والتي ستعرض لها نفس الأثر ، وأهم تلك العوامل هي :

١ - ذبوع صيت الإمام مالك امام دار الهجرة :

كانت المدينة المنورة دار حديث وإسناد ، فكان أهل الفتوى بها من التابعين أمثال سعيد ابن المسيب المتوفى عام (٩٣هـ / ٧١١م)^(٢) وعروة بن الزبير المتوفى عام (٩٣هـ / ٧١١م)^(٣) ، وخارجة بن يزيد المتوفى عام (١٠٣هـ / ٧٢١م)^(٤) ، وسليمان بن يسار المتوفى عام (١٠٧هـ / ٧٢٥م)^(٥) ، وعبد الله بن عتيبة بن مسعود المتوفى عام (٩٨هـ / ٧١٦م)^(٦) ، فكانوا هم الفقهاء الذين دارت عليهم الفتوى ، ونواة لعلم

(١) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٧٨.

(٢) الرازي : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٥٩.

(٣) أبو حجر "شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني المتوفى عام ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م" : تهذيب التهذيب ، حيدر أباد ، الدكن ، ١٦٢٥هـ / ، ج ٧ ، ص ١٨.

(٤) خارجة بن يزيد : روى عن الواقدي ، وكان يقسم الموارث في المدينة ، أنظر شمس الدين الذهبي : تذكرة الحفاظ ، تحقيق السيد مصطفى ، دائرة المعارف ، حيدر أباد ، بدون تاريخ ، ج ١ ، ص ٨١.

(٥) ابن خلكان "شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الشافعي المتوفى عام ٦٨هـ / ١٢٨٢م" وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، دار الطباعة ، المديرية المصرية ، القاهرة ١٢٧٥هـ ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ ، ابن حجر العسقلاني : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٥٧.

(٦) حدث عن عائشة وأبي هريرة ، وكان يعنى بالحديث ، أنظر ابن خلكان : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص

١١٥ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص ٢٣١.

الفقه في المدينة المنورة . ثم أتى من بعدهم محمد بن المنكدر المتوفى عام (١٣٠هـ / ٧٤٧م)^(١) ، ومحمد بن شهاب الزهري المتوفى عام (١٢٤هـ / ٧٤١م)^(٢) ، إلى أن توجت المدينة المنورة بالإمام مالك بن أنس الذي ذاع صيته وفاق أقرانه ، والتف حوله طلاب العلم وكثر تلاميذه الذين انتشروا في الأقطار الإسلامية كافة^(٣).

ولد الإمام مالك^(٤) على أرجح الأقوال في عام (٩٣هـ / ٧١١م) وتوفى عام (١٧٩هـ / ٧٩٥م) وفي حدائته جود القرآن ، ولازم عبد الرحمن بن هرمز الملقب بالأعرج الذي توفى في عام (١١٧هـ / ٧٣٠م)^(٥) ثلاث عشرة سنة . ثم أخذ في طلب العلم بمختلف فنونه وفروعه ، وبذل الجهد في طلبه ، فأخذ عن ابن شهاب الزهري الذي كان صاحب علم غزير تعلمه علي أيدي بعض التابعين خاصة سعيد بن المسيب

(١) حدث عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وعن سليمان بن أبي رافع ، وابن عمر ، وعنه حدث عمرو بن دينار والزهري وغيرهم ، وقال مالك فيه : "كان سيد القراء" ، أنظر ابن حجر : تهذيب التهذيب ، ج٩ ، ص ٤٧٣ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج١ ، ص ١١٤ .

(٢) محمد بن شهاب الزهري : روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب ، وحدث عنه عطاء بن أبي رباح وعمر بن عبد العزيز ، وقال عنه البعض إنه أول من دون العلم أنظر ابن كثير "عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى عام (٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) ، البداية والنهاية ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ ، ج٩ ، ص ٣٤ ، السيوطي : مصدر سابق ، ص ٤٢ .

(٣) الأصبهاني "أبو نعيم أحمد بن عبد الله" : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ ، ج٦ ، ص ٣١٦ .

(٤) ذكر ابن الأثير : نسبة إلى ذي صبح واسمه الحرث بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعه ، وهو من عرب يعرب بن قحطان وأصبح ، صارت قبيلة ، والمشهور إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي مولده سنة ٩٣هـ ، ووفاته ١٧٩م ، أنظر ابن الأثير "على بن محمد ت ٦٣٠هـ / ١٦٣٣م" : اللباب في تهذيب الأنساب ، بيروت ، ج١ ، ص ٦٩ .

(٥) عبد الرحمن بن هرمز الملقب بالأعرج كان مولى للهاشميين ، وكان قارئاً محدثاً تابعياً روى عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ، وروى عنه الزهري وأبو الزناد توفى سنة ١١٧هـ ، أنظر عياض : مصدر سابق ، ج١ ، ص ١٠٢ .

وغيره. كما درس على أيدي نافع مولى عبد الله ابن عمر ، واتجه إلى فقه الرأي بالمدينة ، فدرس على ربيعة بن عبد الرحمن الملقب (بربيعة الرأي)، ولم يكن الرأي عند ربيعة كالقياس المعروف في العراق ، ولكن الرأي في المدينة قوامه التوفيق بين النصوص المختلفة فكان يتبع الرواة ويتقى الثقات منهم .

ثم جلس الإمام مالك للتدريس فذاع صيته في البلاد واشتهر ذكره ، وقد أوتى فراسة قوية في فهم الرجال ، وإدراك قوة عقولهم ولهذا قال : "إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون منه ، ولقد أدركت سبعين ممن يقولون : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأساطين فما أخذت منهم شيئا ، وأن أحدهم لو اتّمن على بيت مال لكان أمينا ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن"^(١). وقد بلغ الإمام مالك درجة كبيرة من العلم أهله لان يكون أفقه الناس وأعلمهم بسنة نبيهم ﷺ ، كما كان مالك لا يفتى إلا بما هو واضح نير^(٢) وكان يأخذ الرواية الموثوق بها . ولا يسارع في الفتوى ، وكان يتعد عن الجدل وفي شأنه يقول : "ما أجبته في الفتوى حتى سألت من هو أعلم مني هل تراني موضعا لذلك سألت ربيعة وسألت يحيى بن سعيد فأمراني بذلك فقلت فلو نهيك قال كنت أنتهي لا ينبغي للرجل أن يبذل نفسه حتى يسأل من هو أعلم منه"^(٣). وكان مالك يقول : "ليس الجدل من الدين في شيء"^(٤) ، وعندما سئل عن الصلاة خلف أهل البدع وغيرهم قال : " لا أري أن يصلي خلفهم " . جمع الإمام مالك إلى علم الحديث علم الفقه حتى صار حجة فيهما معا ،

(١) الرازي : مصدر سابق ، ج١ ، ص ١٢ .

(٢) عياض : مصدر سابق ، ج١ ، ص ١٠٢ ، السيوطي : تزيين المالك ، مصدر سابق ، ص ١٥ .

(٣) ابن الجوزي " جهال الدين أبو الفرج الجوزي " : صفوة الصفوة ، تحقيق محمود فخوري ، محمد رواسي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٦٨ م ، ج ٤ ، ص ٩٩ .

(٤) المرجع السابق ، ٣٢ ، ٣٣ .

وكتابه الموطأ^(١) خير شاهد على ذلك وهو الكتاب الذي يُعد سنداً للمحدثين أمثال "البخاري"^(٢)، والنسائي^(٣) وأبي داود^(٤)، وغيرهم.

عاش الإمام مالك حياة دينية علمية ، ولذلك قصده طلبة العلم من كل الآفاق في أواخر عهد أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ / ٧٥٤-٧٧٥م)^(٥) وازدحموا عليه في خلافة الرشيد (١٧١-١٩٣هـ / ٧٦٧-٨٠٩م)^(٦)، وظل علي تلك الحال إلى يوم وفاته^(٧).

(١) أشهر نسخ الموطأ نسخة يحيى بن يحيى بن كثير وسلاسي ، وقد رحل إلى الإمام مالك ونقل عنه الموطأ ، أنظر السيوطي : تزيين الممالك، مصدر سابق ، ص ١٤.

(٢) هو : "أبو عبد الله ابن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برد زيه ، ولد ببخارى سنة (١٤٩هـ / ٧٦٦م) واجه إلى علم الحديث وحفظ كتاب ابن المبارك وكيع وقطع البلاد والأقطار طولاً وعرضاً طالباً للحديث ، وكان لا يجارى في حفظ الحديث سندا ومتناً ، ومن مؤلفاته قضايا الصحابة والتابعين والتاريخ الكبير ، وكتاب الضعفاء ، والمسند الكبير وكتاب الاثرية ، وكتاب الجامع الصحيح ، للمزيد أنظر ابن كثير "عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م" البداية والنهاية ، دار الفكر العربي ، بدون ، ج ١١ ، ص ٢٤.

(٣) أبو عبد الرحمن بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار ٢١٥-٣٠٣هـ / "عرف بالنسائي نسبة إلى نسا بلدة مشهورة بخراسان ، ويقال النسوي، وكان أحد أعلام الدين وأئمة الحديث ، إمام أهل عصره بين أصحاب الحديث في معرفة الجرح والتعديل ، أنظر ابن كثير: مصدر سابق ، ج ١١ ، ص ١٢٣.

(٤) أبو داود هو "سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأسدي السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ / ٨١٧-٨٨٨م) رحل لطلب العلم ، وكتب عن أهل العراق والشام وخراسان ، وأخذ الحديث عن المشاهير ، أثنى العلماء عليه ووصف بالحفظ التام والعلم والوافر والفهم الثاقب في الحديث وغيره مع دين وورع ، أنظر ابن كثير : مصدر سابق ، ج ١١ ، ص ١٢٥.

(٥) السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب ، العصر العباسي الأول ، مؤسسة شباب الجامعة ، أسكندرية ، ١٩٩٣ ، ص ٥٨.

(٦) المرجع السابق : ص ٦٩.

(٧) العسقلاني : مصدر سابق ، ج ١٠ ، ص ٥.

قال ابن عيينة: "مالك عالم أهل الحجاز وهو حجة زمانه"^(١)، وقال الشافعي: "إن ذكر العلماء فمالك النجم"

وينقل القاضي عياض عن الإمام الشافعي قوله: "ما كتب الناس بعد القرآن شيئاً أنفع من موطأ مالك"^(٢)، ويقول أيضاً الإمام مالك عن كتابه: "إنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول الصحابة والتابعين، ورأيي هو إجماع أهل المدينة لم أخرج عنهم"^(٣). ولهذا اعتنى الناس بكتاب الموطأ، فقد اعتنوا بتدريسه بالإضافة إلى شرحه والتعليق عليه فظهرت شروح عديدة على أيدي الكثيرين من تلاميذ الإمام مالك المتشربين في طول البلاد وعرضها^(٤).

فقد ظهر علماء وفقهاء من أبناء بلاد السودان الغربي أخذوا على عاتقهم نشر هذا المذهب في تلك البلاد، دفعهم إلى هذا سيرة صاحبه وملاءمة مذهبه لسكان تلك البلاد. ومن أشهر فقهاء المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي أحمد بن سعيد المتوفى عام (٩٧٦هـ/١٥٦٩م) ويعد أحد أعلام المذهب المالكي، ولذلك كان مدرسا للموطأ، وقد جلس لتدريسه منذ عام (٩٦٠هـ/١٥٥٣م) وحتى وفاته،

(١) عبد العزيز الشناوي: الأئمة الأربعة حياتهم ومواقفهم وأرائهم، مكتبة الإيمان بالمنصورة، ٢٠٠٤م، ط ١، ص ٢٧.

(٢) عياض: ترتيب المدارك، ج ٢، ص ٧٠٢.

(٣) المصدر السابق: ص ٧٢.

(٤) جملة الذين شرحوا الموطأ "أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن بطليموس المتوفى في عام (٥١٥هـ/١١٢١م) تحت أسم المقتبس، وعبد الملك حبيب صاحب "الواضحة"، وابن عبد البر صاحب كتاب التمهيد على الموطأ، وأبو وليد الباجي: صاحب الاستغناء، أنظر، ابن فرحون: الديباج المذهب، مصدر سابق، ص ١٧، وابن حجر: تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٥، والسيوطي: مناقب مالك، مصدر سابق، ص ٥١.

وانتفع به جمع كبير من العلماء في مقدمتهم الشقيقان الفقيهان محمد بغيغ^(١) و أحمد فقد قرا عليه الموطأ^(٢).

كما كان الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٩١هـ/١٥٨٣م) من علماء المذهب المالكي ، وكانت له رحلة إلى بلاد المشرق للحج التقى خلالها بأعلام مذهب مالك في كل من مكة والقاهرة وأخذ عنهم ، وحين عاد إلى بلاده جلس لتدريس كتاب الموطأ في مدينة تنبكت^(٣).

كما أسهم الفقيه العالم محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (٩٣٠-١٠٠٢هـ/١٥٢٤-١٥٩٣م) في التمكين لهذا المذهب بتلك البلاد وهو من أعلام منطقة السودان الغربي فهو أستاذ وشيخ الفقيه أحمد بابا (٩٦٢-١٠٣٦هـ/١٥٥٥-١٦٢٧م) ، ويذكر الأخير أنه لازمة أكثر من عشر سنين فقرأ عليه كل كتب الفقه المالكي ، ومنها الموطأ إذ يقول "ختمت عليه الموطأ قراءة فهم^(٤)" وهكذا تعلق فقهاء السودان الغربي وطلابه بالإمام مالك وكتابه الموطأ.

كما يرجع تعلق أهل السودان الغربي بمذهب الإمام مالك لأن صاحبه سكن المدينة المنورة موطن دار الهجرة ولم يبرحها إلا حاجاً^(٥) ، كما أن المدينة المنورة قد انطوت سياسياً عندما دخل (أبو حمزة الخارجي)^(٦) المدينة وروع أهلها وقتل منهم

(١) هو ابن الفقيه محمود بن أبي بكر بغيغ ، وهو من أشهر شيوخ أحمد بابا وتلميذ لوالده أنظر أحمد بابا: مصدر سابق ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٢) أحمد بابا: مصدر سابق ، ص ١٤٣ ، ١٤٢ .

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٦٠٢ .

(٥) السيوطي : تزيين الممالك في مناقب مالك ، مصدر سابق ، ص ٤٢ .

(٦) أبو حمزة الخارجي الأباضي هو : " المختار بن عبد الله بن مازن بن تجاسر بن سليمة بن مالك بن فهم أمير مكة المكرمة والمدينة المنورة في خلافة مروان بن محمد سنة (١٣٠هـ/٧٤٧م) ، أصله من سلالة "

كثيرين ، ومنذ ذلك الحين انزوت عن السلطان السياسي بسبب ما جرى لها من محن آخرها في عام (١٣٠ هـ / ٧٤٧ م)^(١).

سُلَيْمَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ فَهْمٍ الْأَزْدِيِّ الَّذِي قَتَلَ وَالِدَهُ مَالِكَ بْنَ فَهْمٍ ، وَكَانَ أَوَّلَ أَمْرِ أَبِي حِزَّةَ ، أَنَّهُ كَانَ يُوَافِي مَكَةَ كُلَّ سَنَةٍ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى خِلَافِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ إِلَى خِلَافِ آلِ مَرْوَانَ ، فَلَمْ يَزَلْ يَخْتَلِفُ فِي كُلِّ سَنَةٍ حَتَّى وَافَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَحْيَى فِي آخِرِ سَنَةِ ١٢٨ هـ / ٧٤٥ م أَنْظَرَ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ الْحُسَيْنِيَّ الْفَاسِيَّ ، الْعَقْدَ الثَّمِينِ فِي تَارِيخِ الْبِلَادِ الْأَمِينِ ، تَحْقِيقَ مُحَمَّدٍ الْطَنَاحِيِّ ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ١٥٣ ، عَارَفَ أَحْمَدُ عَبْدَ الْغَنِيِّ : تَارِيخَ أَمْرَاءِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، مَكْتَبَةُ كِتَابَانَ ، لُبْنَانَ ، بِدُونِ تَارِيخٍ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(١) أَبُو حِزَّةَ الْمَعْرُوفُ بِالْخَارِجِيِّ . تَغَلَّبَ عَلَى مَكَةَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةً ، بَعْدَ الْحِجِّ مِنْهَا ، وَحَضَرَ الْمَوْقِفَ بِعَرَفَةَ ، وَمَا شَعَرَ النَّاسَ إِلَّا بِهِ وَهُوَ مَعَهُمْ فِيهَا ، وَسَأَلَهُ أَمِيرُ مَكَةَ إِذْ ذَاكَ ، عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي الْمَسْأَلَةِ ، حَتَّى تَنْقُضِيَ أَيَّامَ الْحِجِّ ، فَفَعَلَ أَبُو حِزَّةَ ، فَلَمَّا كَانَ النَّفْرَةُ الْأُولَى ، هَرَبَ فِيهِ عَبْدُ الْوَاحِدِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَاسْتَوَلَى أَبُو حِزَّةَ عَلَى مَكَةَ ، وَتَوَجَّهَ مِنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ ، فَلَقِيَهُ بِقَدِيدٍ ، جَيْشٌ أَنْفَذَهُ عَبْدُ الْوَاحِدِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَغَلِبَهُمْ أَبُو حِزَّةَ ، وَسَارَ أَبُو حِزَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَتَلَ فِيهَا ، ثُمَّ جَاءَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ السَّعْدِيِّ مِنَ الشَّامِ ، مِنْ قَبْلِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، فَلَقِيَهُمْ وَقَتَلَ أَبُو حِزَّةَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي مَكَةَ ، فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، وَكَانَ الَّذِي قَدَّمَ إِلَى مَكَةَ ، عَبْدَ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى الْكَنْدِيُّ الْأَعُورَ ، الْمَلَقَبَ طَالِبَ الْحَقِّ ، الشَّائِرَ بِالْيَمَنِ ، فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَقِيلَ فِي سَبْعِمِائَةٍ ، وَطَالِبَ الْحَقِّ : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ : قَدَّمَ أَبُو حِزَّةَ ، وَبَلَجَ بْنَ عَقْبَةَ الْأَزْدِيَّ الْخَارِجِيَّ مِنَ الْحِجِّ ، مِنْ قَبْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى الْحَضْرَمِيِّ طَالِبَ الْحَقِّ مُحْكَمًا مَظْهَرًا الْخِلَافَ عَلَى مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، فَبَيْنَمَا النَّاسُ يَعْرِفُهُ ، مَا شَعَرُوا إِلَّا وَقَدْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ أَعْلَامُ ، وَعِمَائِمُ سُودَ عَلَى رُءُوسِ الرِّمَاحِ ، وَهُمْ سَبْعِمِائَةٍ ، فَفَزِعَ النَّاسُ حِينَ رَأَوْهُمْ ، وَسَأَلُوهُمْ عَنْ حَالِهِمْ ، فَأَخْبَرُوهُمْ بِخِلَافَةِ مَرْوَانَ وَآلِ مَرْوَانَ ، فَرَأَسَلَهُمْ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى مَكَةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ الْهَدَنَةَ ، فَقَالُوا نَحْنُ بِحِجْنَا أَضْنُ ، وَعَلَيْهِ أَشْحَ ، فَصَالَحَهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ جَمِيعًا آمِنُونَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، حَتَّى يَنْفِرَ النَّاسُ النَّفْرَةَ الْأَخِيرَةَ ، فَوَقَفُوا بِعَرَفَةَ عَلَى حُدَّةٍ ، وَدَفَعَ بِالنَّاسِ عَبْدُ الْوَاحِدِ ، فَتَزَلَّ بِمَنْىَ فِي مَتَزَلِّ السُّلْطَانِ ، وَنَزَلَ لِأَبِي حِزَّةَ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ، فَأَرْسَلَ عَبْدُ الْوَاحِدِ إِلَى أَبِي حِزَّةَ الْخَارِجِيِّ ، عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعَبِيدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، بْنَ حَفْصِ بْنِ عَاصِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ وَرَبِيعَةَ بْنَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فِي رِجَالِ أَمْثَالِهِمْ ، فَدَخَلُوا عَلَى أَبِي حِزَّةَ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ قَطْرِيٌّ غَلِيظٌ ، فَتَقَدَّمَهُمْ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَانْتَسَبَا لَهُ فَانْتَسَبَا لَهُ فَبَسَّ فِي وَجُوهِهِمَا ، وَأَظْهَرَ الْكَرَاهَةَ لِهَآ ، ثُمَّ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ الْقَاسِمِ ، وَعَبِيدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، فَانْتَسَبَا لَهُ ، فَهَشَّ إِلَيْهِمَا وَتَبَسَّمَ فِي وَجُوهِهِمَا وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا خَرَجْنَا إِلَّا لِنَسِيرَ بِسِيرَةِ أَبِيوَيْكُمَا ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ : وَاللَّهِ مَا خَرَجْنَا لِنُفَضِّلَ بَيْنَ آبَائِنَا ، وَلَكِنْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ الْأَمِيرَ بِرِسَالَةٍ ، وَهَذَا رَبِيعَةٌ يَخْبِرُهَا . فَلَمَّا ذَكَرَ لَهُ رَبِيعَةُ نَقَضَ الْعَهْدَ ، قَالَ أَبُو حِزَّةَ : مَعَآذَ اللَّهِ أَنْ نَنْقُضَ الْعَهْدَ أَوْ نَخِيسَ بِهِ ، وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ وَلَوْ قَطَعْتَ

رقتي هذه، ولكن تنقضي الهدنة بيننا وبينكم. فرجعوا إلى عبد الواحد فأخبروه، فلما كان يوم النفر الأول، نفر عبد الواحد فيه، وخلق مكة، فدخلها أبو حمزة بغير قتال، فقال بعضهم في عبد الواحد: زار الحجاج عصابة قد خالفوا دين الإله ففر عبد الواحد ترك الحلائل والإمارة هارباً ومضى يخطط كالبعير الشارد ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينة، فضرب على أهلها البعث، وزادهم في العطاء عشرة، واستعمل عليهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فخرجوا، فلما كانوا بالحرّة تلقّتهم جزر منحورة، فمضوا. وفي عام (١٣٠هـ / ٧٤٧م) كانت الواقعة التي كانت بقديد، بين أهل المدينة وأبي حمزة الخارجي، قد ذكرنا أن عبد الواحد بن سليمان، ضرب البعث على أهل المدينة، واستعمل عليهم عبد العزيز بن عبد الله فخرجوا، فلما كان بالحرّة، لقيتهم جزر منحورة فتقدموا، فلما كانوا بالعقيق تعلق لواؤهم بسمرة، فانكسر الرمح فتشام الناس بالخروج، وفيها خرج (قاله خليفة) عبد الله بن يحيى الأعور الكندي بحضر موت وتسمى بطالب الحق، فغلب على حضر موت واجتمع عليه الإباضية، ثم صار إلى صنعاء، وعليها القاسم بن عمر الثقفي، وهو في ثلاثين ألفاً، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزم القاسم، وكثر القتل في أصحابه، وسار عبد الله، وقد خندق القاسم على نفسه، فبيته في وضح الصبح، فهرب القاسم، وقتل أخوه الصلت وطائفة، ودخل عبد الله بن يحيى صنعاء، فأخذ الأموال وتقوى، وجهاز إلى مكة عشرة آلاف ووليها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك فكره قتالهم، فوقفوا بعرفات، ووقف الناس، ثم غلبوا على مكة، فنزح عبد الواحد إلى المدينة. وقال في أخبار سنة ثلاثين ومائة: وفيها قتل بقديد خلق من أهل المدينة، وذلك أن عبد الواحد لما غاب عن مكة، وتقهر عن المدينة، كتب إلى المدينة يخبره ببخلان أهل مكة، فعزله ووجه جيشاً إلى المدينة، فسار من مكة المتغلب عليها من جهة عبد الله الأعور، وهو أبو حمزة، واستخلف على مكة أبرهة بن الصباح الحميري، ثم التقى أبو حمزة هو وأهل المدينة بقديد، في صفر من السنة نفسها، فانهزم أهل المدينة، وقتل من قتل، ودخل أبو حمزة المدينة، فقتل حمزة ابن مصعب بن الزبير، وابنه عمارة، وابن أخيه مصعب بن عكاشة، وعتيق بن عامر بن عبد الله بن الزبير، وابنه عمرو، وصالح بن عبد الله بن عروة بن الزبير، وابن عمهم الحكم بن يحيى، والمنذر بن عبد الله بن المنذر بن الزبير، وسعيد بن محمد بن خالد بن الزبير، وابن لموسى بن خالد بن الزبير، وابن عمهم مهند. قال خليفة: قتل أربعون رجلاً من بني أسد بن عبد العزى، وقتل يومئذ أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، فأصيب يومئذ من قريش ثلاثمائة رجل، ثم تقابلوا من أسفل مكة ومن أعلاها، ومن قبل وقتل أبو حمزة، وقتل خلق كثير من جيشه، أنظر محمد بن أحمد الحسيني الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمود محمد الطناحي، ط ٢، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ١٥٣، عارف أحمد عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة المنورة، مكتبة كنان، لبنان، بدون تاريخ، ص ١٠٤، ١٠٥.

ومنذ ذلك الحين اعتزلت السياسة^(١) وأصبحت موثلاً للزهاد والعلماء الذين حولوها إلى حاضرة علمية ، يتوافد عليها طلاب العلم من أنحاء العالم الإسلامي^(٢) لدراسة أحاديث رسول الله ، كما أن الإمام مالك جعل منها موثلاً لعلم ، وتوافد عليه طلاب العلم^(٣) من بقاع مختلفة تنقل عنه فقهه .

ولذلك جذبت المدينة المنورة عدداً من أبناء السودان الغربي الذين أقاموا بها مجاورين للحرم المدني الشريف ، فجاور منهم أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (٩٣٢-٩٩١ هـ / ١٥٢٦-١٥٧٤ م) التنبكتي المولد ، وهو عم العالم الشهير أحمد بابا وقد اتصف أبو بكر هذا بالخير والورع والزهد ، فحج وجاور بالمدينة المنورة ، ثم عاد إلى بلاده وأخذ أولاده ورجع مرة أخرى إلى بلاد الحجاز وسكن المدينة المنورة وظل مجاوراً بها حتى وفاته^(٤) . وإذا كانت المصادر قد أفادت بمجاور واحد من أبناء السودان الغربي في المدينة المنورة فالمرجح أن هناك كثيرين قد جاؤوا .

ويرجع لشخصية الإمام مالك توطين المذهب المالكي في السودان الغربي ، لأن الإمام مالكا كان هو الأعظم في تمييز البدعة عن السنة فيقول الإمام مالك: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة، لأن الله تعالى يقول: "اليوم أكملت لكم دينكم"^(٥)» .

(١) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، بدون، ص ٣٩٠، ٣٩١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، ج٩، ص ١٧٤، ١٧٥.

(٣) محمد أبو زهرة: مالك حياته وعصره، أراؤة وفكره، ص ٧٥.

(٤) السعدي: مصدر سابق، ص ٤١.

(٥) سورة المائدة: الآية ٣.

٢- التأثير المغربي .

كان للعامل الجغرافي دوره في توجه المغاربة إلى بلاد السودان الغربي لنشر الإسلام، فقد تيسر الاتصال بينهم وبين أهالي تلك البلاد عبر الصحراء الكبرى بالرغم من بعد الشقة وأخطار الرحلة لا نعدام الحواجز الطبيعية^(١) وإذا كان للعامل الجغرافي أثره في نشر الإسلام في تلك البلاد، فقد كان لهذا العامل أثره أيضاً في نشر المذهب المالكي في تلك البلاد، فمن المعروف تمسك أهل المغرب بالمذهب المالكي والعمل على نشره، وهو أمر من الشهرة بمكان بحيث لا يحتاج إلى بيان^(٢).

ويعتبر ترحيب أهل السودان الغربي بهذا المذهب مظهراً من مظاهر الائتلاف بين الجانبين، ومن هنا رأينا المغرب يصير الوطن الأب في نفوس ومشاعر أهل السودان المالكيين^(٣).

ومن الجدير بالذكر أن الصلات بين بلاد المغرب وبين السودان الغربي كانت ضاربة بجذورها في أعماق الزمن، حيث كان الحضور المغربي في بلاد السودان الغربي قديماً. ففي دولة غانة الوثنية كانت الوفود المغربية موجودة ومشاركة في إدارة تلك الدولة وخاصة الفقهاء الذين تمتعوا بوضع اجتماعي ممتاز، فهم المقربون للملك الذي اتخذ منهم عدداً كبيراً لإدارة دولته^(٤)، وكان ملك غانة وموظفوه يكونون لهم الاحترام والتقدير، وكان هذا قبل أن يصبح الإسلام الدين الرسمي لها.

(١) محمد أمين المؤدب: جوانب من الصلات الثقافية بين المغرب وغرب أفريقيا، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٩٩م، ط١، ص ٥٨٨.

(٢) النشريسى: مصدر سابق، ج٢، ص ١٦٩.

(٣) عباس الجراري: الموحدون ثورة سياسية ومذهبية، مجلة المناهل المغربية، العدد الأول ١٩٧٤، ص ١٠٥.

(٤) وكان يلاط ملك غانة موظفون ذوو درجات عالية من المسلمين مثل المترجمين، ولما كانت مصالح

وقد أدى وجود تلك العناصر المغربية بصفة دائمة في غانة إلى تقوية الروابط بين سكان غانة والمغاربة الذين توافدوا من جهات المغرب كافة^(١)، وكان ذلك من أجل خدمة مصالحهم الاقتصادية المشتركة من ناحية، بالإضافة إلى استفادة السودانيّين من تلك العناصر المغربية في شتى المجالات المتعددة من ناحية أخرى^(٢).

واستمر توافد المغاربة على بلاد السودان الغربي بوجه عام وغانة بوجه خاص، تحديداً في فترة سيطرة المرابطين على المغرب الأقصى إذ استمرت الاتصالات الأهلية والدبلوماسية بين المرابطين ودولة غانة، يدل على ذلك المراسلات بين يوسف بن تاشفين وملك غانة التي ذكرها صاحب الاستبصار^(٣). وأسهمت هذه الاتصالات في استقرار أعداد كبيرة من المغاربة من أهل العلم والفقهاء وقراء القرآن الذين أصبحوا منتشرين في السودان الغربي كله، وقد ذكر الزهري عن أهل جناوة

مملكة غانة الحيوية ترتبط شمالاً بالمغرب، كان أغلب هؤلاء المترجمين مغاربة، حيث يقومون بالاستقبال والترجمة للوفود التي تأتي للملك، أنظر البكري: مصدر سابق، ص ١٧٥.

(١) الدول المستقلة بدأت في الظهور من منتصف القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، فظهرت دولة بني مدرار في عام (١٤٠ هـ / ٧٥٧ م) والدولة الرستمية في عام (١٦٠ هـ / ٧٧٦ م) دولة الادارسة العلويين في أقصى المغرب سنة (١٧٢ هـ / ٧٨٨ م) وكانت فاس عاصمتهم وحاضرتهم، كما ظهر في الريف بنو الحمريون، وفي أفريقية ظهر بنو الأغلب في سنة (١٨٤ هـ / ٨٠٠ م)، وشيعتهم من بني عيم، وفي نهاية القرن الثاني الهجري / التاسع الميلادي وتحديدًا في سنة (٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) ثم ورث الفاطميون هذه الممالك المستقلة وكان مناصروهم من بني حمدون بالمسيلة، أنظر مصطفى أبو ضيف عمر: أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري المرابطين والموحدين وبني مرين، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٢ م، ص ٢٦٣، ٢٧٣، محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الإفريقية، نشر معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة، ١٩٧٨ م، ص ٦٤، ٦٥، ٦٦.

(٢) البكري: مصدر سابق، ص ١٧٥.

(٣) مجهول: (كان حيا في أواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر للشئون الثقافية العامة، بغداد، بدون تاريخ، ص ٢١٩، حسين مراد: الصلات بين بلاد المغرب والسودان الغربي، ص ٣٩٠.

ويقصد بهم أهل غانة^(١) عند القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي أن "عندهم العلماء والفقهاء والقراء"^(٢)

كما أن دولة مالي حين أسلم ملكها كان يوجد في دولته بعض دعاة المغرب وفقهائه ، ويتضح ذلك من قصة إسلامه^(٣) أما منطقة التكرور فقد انتشر فيها الإسلام أيضا بفضل جهود المغاربة^(٤).

وعلى أية حال يؤرخ لبداية الاتصالات بين بلاد المغرب و بلاد السودان الغربي بالقرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي^(٥) ، وقد أثمرت هذه الاتصالات خلال القرون التالية بأن أصبح الإسلام دينا رسميا للوحدات السياسية كافة في تلك البلاد خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي. كما استمر تأثير مالكية المغرب في السودان الغربي خلال القرون التالية .

كما انتشر الإسلام في مملكة جني بفضل جهود المغاربة وكان بها عدد كبير من الفقهاء "حوالي أربعة آلاف ومائتين" ورغم أن هذا العدد مبالغ فيه ، إلا أنه لم يكن جميع أهل جني قد أسلموا بعد ، وأسلموا جميعا في نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي . الذي شهد مجيء أعداد كبيرة من الفقهاء وخاصة المغاربة منهم إلى بلاد السودان الغربي .

(١) يقصد دولة غانة ، فقد عرفهم الزهري قائلا : "وأهل جناوة الذين حاضرتهم غانة " ، أنظر الزهري " محمد بن أبي بكر الأندلسي كان حيا في سنة ٥٤١-٥٥٦هـ / ١١٤٦-١١٦٠م " كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد صادق الحاج ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٢٥ ، أحمد الشكري : مرجع سابق ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) البكري : مصدر سابق ، ص ١٧٥ .

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص ١٢ ، ١٣ .

(٥) البكري : مصدر سابق ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

وقد استمر تدفق فقهاء بلاد المغرب إلى بلاد السودان الغربي زمن دولة مالي الإسلامية (٦٢٨-٨٣٤هـ / ١٢٣٠-١٤٣٠م) بفضل تشجيع سلاطينها وخاصة منسا موسى (٧١٢-٧٣٧هـ / ١٣١٢-١٣٣٧م) الذي أرسل يطلب الفقهاء من المغرب والمشرق والأندلس، وعمل على استقدامهم إلى بلاده^(١). يشهد على ذلك استقدام منسا موسى للفقهاء عبد الله البلبالي من مدينة فاس، وقد ولاه منسا إمامة المسجد الجامع بتنبكت^(٢). كما وفد زمن منسا موسى أيضا الفقيه أبو العباس الدكالي الذي تولى منصب القضاء في هذه الدولة^(٣).

وقد استمر توافد المغاربة في عهد منسا سليمان (٧٤١-٧٦١هـ / ١٣٤١-١٣٦٠م) الذي أحسن استقبالهم، وقد شاهد ابن بطوطة العديد منهم أثناء رحلته إلى مالي في عهد هذا المنسا. فالتقي في مدينة ولاتة بأحد فقهاء مدينة سلا^(٤) ويدعى الفقيه ابن بداء^(٥)، كما التقى ابن بطوطة أيضا بقاضي مدينة ولاتة وهو الفقيه المغربي محمد بن عبد الله بن ينومر، كما التقى بأخيه يحيى وكان فقيهاً ومدرساً هناك^(٦). كما التقى ابن بطوطة بشيخ المغاربة في مدينة تكده^(٧) ويدعى الفقيه إبراهيم بن إسحاق بالإضافة

(١) الجزيري "عبد القادر بن محمد، أنهى من تأليفه ٩٧٦هـ / ١٥٦٨م": درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطرق مكة المعظمة، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ص ٦٦٧.

(٢) أبو بكر إسماعيل: الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، مكتبة التوبة، الرياض، ١٩٧٧م، ط ١، ص ٣٣.

(٣) ابن بطوطة: رحلته، مصدر سابق، ص ٦٦٧.

(٤) سلا مدينة تقع بالمغرب الأقصى على ساحل المحيط الاطلنطي، منها إلى مدينة مراكش عشر مراحل، لها نهر كبير وفي غرب هذا النهر أختط عبد المؤمن بن علي مدينة سهاها المهدية، أنظر ياقوت الحموي: مصدر سابق، ص ٢٣١.

(٥) ابن بطوطة: مصدر سابق، ص ٦٦١.

(٦) المصدر السابق والصفحة: ص ٦٦١.

(٧) تقع مدينة تكدا على بعد ١٨٠ كيلومتر ألي الشمال من مدينة أغاديس الحالية، المصدر السابق، ص ٦٧٩.

إلى الخطيب محمد ، والمدرس الفقيه أبي حفص المسوفي^(١) والشيخ التلمساني الذي يعلم الناس القرآن الكريم والفقه^(٢) ، والشيخ المزوري المراكشي الذي قابله أيضاً^(٣) ، والمقرئ عبد الواحد بشمعة^(٤) والشيخ الموصلي^(٥) وسعيد بن علي الجزولي^(٦) .

ولكثرة الوجود المغربي في دولة مالي وجد ابن بطوطة حياً من أحياء العاصمة خاصاً بهم ويدعى "محلة البيضان" ومن اللافت للنظر أن أهل تلك البلاد يطلقون على المالكين من البيض لقب "توري"^(٧). وكان كبير المغاربة في العاصمة محمد بن الفقيه الجزولي قد التقى به ابن بطوطة كما التقى بصهره الفقيه عبد الواحد .

أما مدينة "جاو" عاصمة دولة صُنغى فقد امتد إليها المد المغربي بحيث كان وجودهم فيها كبيراً ، يشهد على ذلك وجود مسجد في هذه المدينة يدعى مسجد البيضان ، وإمامه الفقيه محمد الفيلاي ، وكان هناك أيضاً الفقيه محمد بن عمر المكناسي ، والفقيه محمد الوجدى التازي أي من مدينة تازة المغربية^(٨) . ولم يقتصر الحضور المغربي في مدينة جاو على الفقهاء فقط بل امتد ليشمل الأسر والبيوتات

(١) المصدر السابق: ص ٦٧٩ .

(٢) حسين مراد: المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٨٢ .

(٣) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٦٥ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٦٦٤ .

(٥) وهو من علماء بجاية أنظر ، الغبريني "العباس أحمد ، المتوفى (٧٠٤هـ / ١٣٢٦م) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق رابح بونار ، الوطنية للنشر والتوزيع ، وطبعة المطبعة الثقافية الجزائرية ، ١٣٢٨هـ ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٦) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٧ .

(٧) المصدر السابق: ص ٦٦٤ .

(٨) المصدر السابق ، ص ٦٧٩ .

الشريفة ، ومنها انتقال بعض أفراد أسرة الأشراف السعدية سلاطين المغرب الأقصى للإقامة في جاو وبالقرب منها^(١) .

كما قدم إلى مدينة تنبكت الشيخ يحيى بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن التغلبي التادلسي^(٢) الشريف المتوفى عام (٨٦٨هـ / ١٤٦٣م) والذي بني بها مسجداً سمي باسمه "مسجد سيدي يحيى" . وكان هذا الشيخ إماماً بلغ الغاية في العلم والصلاح ، وكان يعلم الناس في مسجده^(٣) ويدرّس لهم بعض كتب الفقه المالكي ، ومن هذه الكتب الفقهية التي كان يقوم بتدريسها كتاب "تهذيب البرادعي"^(٤) .

كما سكن مدينة تنبكت أيضاً وغيرها من مدن السودان الغربي عائلات مغربية اشتهرت بالعلم يؤكد ذلك ما ذكره السعدي : "أخبار العلماء من ورقلة"^(٥) وبعض المدن الأخرى مثل فزان^(٦) و غدامس^(٧) و

(١) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٤٩ .

(٢) مجهول : مخطوطة نسب سيدي يحيى ، مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية (تنبكت) رقم ٢٤٠ .

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٠ ، ٥١ ، الارواني : مصدر سابق ، ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص ٤٧ .

(٥) ورقلة : تقع في الجنوب الشرقي للجزائر ، وأتت تسمية ورقلة من السكان الأوائل بها وهم بنو الوركلان ، أو بنو الوركجان بحيث اشتق اسم ورقلة من ذلك ، ويقول البكري : "فإن أردت من تادمكة إلى القيروان فإنيك تسير في الصحراء خمسين يوماً إلى وارجلان ، وهي سبعة حصون للبربر أكبرها يسمى أغرم أن يكامن ، أي حصن العهود ، أنظر البكري : مصدر سابق ، ص ٣٧١ .

(٦) فزان : "أسم يطلق على المنطقة الواقعة بين طرابلس شمالاً وتبستي جنوباً ، وهي منطقة تتناثر فيها الواحات التي تعد امتداداً لواحات القسم الأوسط من الصحراء الكبرى ، وأن من مدن فزان مدينة جرمه ومدينة تساهو التي تسمى جرمه الصغرى ، أنظر الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٤٠ .

(٧) غدامس : "مدينة بالمغرب ثم في جنوبيه ، ضاربة في بلاد السودان بعد بلاد زافون ، تدبغ فيها الجلود الغداسية ، وهي من أجود أنواع الدباغ ، لاشي فوقها في الجودة ، وفي وسطها عين أزلية ، وعليها أثر بنيان رومي ، وأهلها بربر يقال لهم : تناوريه " ، أنظر البكري : المسالك والممالك ، ج ٢ ، هامش ص ٢٢٥ ، وقد عرفت منطقة درعه استقرار منذ القديم ، وقامت بدور كبير في التواصل بين مختلف الجهات ،

توات^(١) ودرعة^(٢) و تافيلالت^(٣) وفاس^(٤) -----

لوقوعها على طريق القوافل التجارية الرابطة بين بلاد المغرب وبلاد السودان ، وكانت بها مراكز تنطلق منها وتنتهي إليها تلك القوافل ، طيلة العصر الوسيط والحديث ، أنظر الادريسي : " الشريف الادريسي السبتي المتوفى عام ٤٩٣-٥٦٠هـ / ١١٠٠-١١٦٥م " تحقيق الوافي نوحى ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ص ٢٧٦ .

(١) توات هي صحراء في اعلى المغرب ذات نخيل وأشجار وعيون بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشر يوما وعدد قصور في القرن الحادي عشرة قصر أوسطها بودة وتيمي وتمنيط واختلف المؤرخون في تسمية توات فهناك روايات تتعلق بتحديد ماهية التسمية ومن هذه الروايات رواية عبد الرحمن السعدي الذي قال إن سلطان مالي كنان موسى كان ذاهبا إلى الحج برفقة جماعة كبيرة من أهل بلده فلما وصلوا هذه الديار أصيب البعض منهم بمرض معروف عندهم باسم توات فانتظرهم السلطان ومن معه عليهم يشقون بسرعة من مرضهم لكن إبطأ بهم المرض وصار الحال إلى ما لا يرضون فتركهم السلطان في هذه الأرض وسار بمن معه وهؤلاء الذين بقوا وجدوا هذه الأرض مخضرة وذات بساتين وواحات فمكثوا بها واستقروا وصاروا يسمونها بالمرض الذي أصيبوا به وهو توات ، عبد الرحمن السعدي : تاريخ السودان ، ص ٧ .

(٢) درعة : " من درعة إلى سجلماسة مسيرة أربعة أيام ، وعلى وادي درعة شجر كثير وثمار عظيمة وهناك شجر التاكوت الذي يشبهه شجر الطرفاء ، وبهذا التاكوت تدبغ الجلود الغدامسية ، وعلى وادي درعة سوق في كل يوم من أيام الجمعة في مواضع مختلفة منه معلومة ، وربما كان عليه في اليوم الواحد سوقان ، وذلك لبعده مسافته وكثرة الناس عليه ، وطول عمارته المتصلة سبعة أيام " ، أنظر البكري ، مصدر سابق ، ص ٣٣٨ .

(٣) تافيلالت : هي سجلماسة والتي تعرف الآن باسم تافيلالت ، وتقع سجلماسة في شمال وادي درعة ، على طرف الصحراء جنوبا في آخر بلاد العمران ، وتليها المقازة الكبرى التي تؤدي إلى بلاد غانة من بلاد السودان وكان يسكن تلك المقازة قبائل الملثمين من صنهاجة من مسوقة ولتونة ، أنظر سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، ج٢ ، نقلا عن صاحب كتاب الاستبصار ، ص ٤٠٩ .

(٤) فاس : وهي مدينة بالمغرب الأقصى وسميت بفاس لأنهم لما شرعوا في حفر أساسها وجدوا فاسا في موضع الحفر ، وتم بناء مدينة فاس في عام ١٩٢هـ / وهي مدينتان يشقهما نهر ، الأولى فاس القديمة والمياه تجري بأسواقها وحماماتها ، حتى يقال إنه ليس بالشرق ولا بالمغرب مدينة تضاهيها في ذلك ، إلا أن أرضها ذات ارتفاع وانخفاض ، وفيها عدة عيون ، وقال أبو عبد الله العسلي : " عدتها ثلاثمائة وستون عينا ، وقال ابن سعيد : " لم أرقط حمامات في داخلها عين تنبع إلا في فاس ، وقال : " وهي أكثر مياهها من دمشق " وقال : " وفاس هي مدينتان : أحدهما بناها إدريس بن عبد الله ، أحد خلفاء

والسوس^(١) " إلى غير ذلك من البلاد^(٢) والعائلات المقيمة فيها . ومن هذه العائلات عائلة تعلی و علی رأسها محمد ابن الصديق الذي أصبح إماماً للمسجد الكبير^(٣) ، وعائلة الخضر الذين كان جدهم كاتباً عند سني علی^(٤) .

وتعددت العائلات المغربية التي سكنت مدينة تنبكت ، ومنها عائلة أبو القاسم التواتي المتوفى عام (٩٣٥هـ / ١٥٢٩م) والذي كان له حلقة يدرس فيها للأطفال بجوار مسجده^(٥) الذي تولى فيه الإمامة . وقد تولى الإمامة من بعده في هذا المسجد السيد منصور الفزاني وهو من عائلة الفزاني^(٦) ، وهناك أيضاً عائلة الفلالي ويأتي على رأسها الإمام الفقيه محمد بن أبي بكر بن أكداد الفلالي المتوفى عام (٩٨٩هـ / ١٥٨١م) والذي تولى الإمامة في الجامع الكبير^(٧) في تنبكت وجني وجاو . وهناك عائلات أخرى منها عائلة الهواري^(٨) في جني ، وعائلة الدليمي من

الادارة بالمغرب ، وتعرف بعدوه الأندلس ، والأخرى بنيت بعدها تعرف بعدوه القرويين ، وقال في الروض المعطار : " وكان بناء عدوة الأندلسيين في ستة اثنتين وتسعين ومائة ، وبناء عدوة القرويين في ستة ثلاث وتسعين ومائة ، وعدوة القرويين أكثر عيوناً ويساتين وأشجاراً من عدوة الأندلسيين ، ورجال عدوة الأندلسيين أشجع ورجال عدوة القرويين أجمل ، والثانية فاس الجديدة ، وهي ثلاث مدن بناها أباء ملوكها القائمين بها الآن حين ملكوا المغرب الأقصى ولما نزلوا بنوا ثلاث مدن على ضفة النهر الغربية ، أنظر ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(١) السوس : " وهي مدينة من أقصى المغرب في الإقليم الثاني ، قال ابن سعيد : " حيث الطول ثمان درج والعرض ست وعشرون دقيقة ، وهي على طرف من البر داخل في البحر أربعين ميلاً ، وفي جانبها الشمالي نهر يأتي من الشرق من جبل لمطة ، أنظر القلقشندي : مصدر سابق ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٢) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٢١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢١ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢١٨ ، الارواني : مصدر سابق ، ص ١٢٤ .

(٥) السعدي : مصدر سابق ، ص ٦٨ .

(٦) الارواني : مصدر سابق ، ص ١٢٤ .

(٧) نفس المصدر والصفحة .

(٨) الولاتي : " أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي " ، فتح الشكور في معرفة

مراكش^(١) وعائلة الكابري وجدها محمد الذي جاء من المغرب للدراسة في مدينة تنبكت وتولى القضاء في هذه المدينة^(٢). وعائلة البلبالي ويأتي على رأسها الفقيه الحافظ مخلوف بن علي بن صالح البلبالي المتوفى عام (٩٤٠هـ / ١٥٣٣م) والذي انتشر علمه وفقهه في مدينة تنبكت فقد درس بها، وكانت له نوازل وأبحاث مع الفقيه العاقب الأنصمى، ثم غادر تنبكت إلى مراكش وقام بالتدريس فيها ثم عاد إلى وطنه الأصلي وهو واحة بالقرب من توات وبها توفي^(٣).

كما وفد الإمام الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني^(٤) المتوفى عام (٩٠٩هـ / ١٥٠٣) ويعد من أشهر المغاربة الذين وفدوا إلى تلك البلاد وخاصة مدينة جاو وقد انتفعت تلك البلاد بفقهه وعلمه. دخل الإمام المغيلي بلدة تكدة، واجتمع بحكامها ومكث بين ظهرائي أهلها مدة من الزمن، ونشر العلم بين أهلها، وأقرأ أهلها وانتفعوا به، حيث كان يمارس فيها التدريس والوعظ، وأفاد أهل تلك

أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨١م، ص ١٠٨.

(١) السعدي: مصدر سابق، ص ٣٠٨.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) السعدي: مصدر سابق، ص ٣٩، الولاتي: مصدر سابق، ص ١٥٨، ١٥٩.

(٤) المغيلي: "هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني"، من أعلام القرن التاسع والعاشر الهجريين / الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، ولد بمدينة تلمسان "التي تقع في الجزائر بينها وبين مدينة وهران المشهورة حوالي ١٥٠ كيلو متر، وقيل إنه ولد في مدينة فاس المغربية والمغيليون من الأسر العلمية القديمة بسلا، أنظر أحمد بابا التنبكتي: نبيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله المرامه، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ١٩٨٩م، ص ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨.

البلاد كثيراً^(١) ومن الذين شهدوا دروسه في تكدة الفقيه محمد بن أحمد بن محمد التازختي المعروف بأيد أحمد^(٢).

ومن أخذ الفقه عن الإمام المغيلي الفقيه عبد الله الأنصمى المتوفى عام (٩٥٠هـ/١٥٤٣م) والذي أصبح فقيهاً ومن أعيان مذهب الإمام مالك^(٣). ثم رحل الإمام المغيلي إلى مدينة جاو واجتمع بسلطانها أسكيا محمد ووضع له مؤلفاً إجابة عن مسائل عرضت عليه^(٤) فأزال الشوائب التي علق بالدين، وصحح الكثير من أموره التي كانت مغلوطة في أذهان العامة، ووجهه أسكيا محمد للعقيدة الصحيحة^(٥).

وهكذا كان للفقهاء المالكية وللعائلات المغربية دور بارز في استقرار ودعم المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي، ولم يقتصر الأمر على تأثير مالكية المغاربة فقط بل سجد دوراً كبيراً للمالكية المشرق خلال رحلات الحج والرحلات العلمية، وخاصة فقهاء مالكية مصر الذين كان لهم نفس الدور والتأثير في دعم مذهب الإمام مالك.

٣. رحلات الحج والرحلات العلمية.

دأب مسلمو السودان الغربي على تنظيم رحلات جماعية للخروج إلى الحجاز من أجل أداء مناسك الحج، وزيارة الروضة الشريفة، غير مكترئين بالمعوقات والصعاب. وتعد أهم ظاهرة طبعت هذه الرحلات هي الإشراف الفعلي للملوك

(١) أحمد بابا: مصدر سابق، ص ٥٧٨.

(٢) كلمة أيد معناها (ابن) في لغتهم، وهو من بلدة قرية من والاته المشهورة، السعدي مصدر سابق، ص ٣٩.

(٣) أحمد بابا: مصدر سابق، ص ٥٧٨، السعدي مصدر سابق، ص ٤١.

(٤) أحمد بابا: مصدر سابق ص ٥٧٧.

(٥) أبو بكر إسماعيل ميقا: الحركة العلمية والثقافية، ١٧٠.

وأمرء الحواضر الإسلامية السودانية عليها ، بالإضافة إلى رعاية شؤون الحجاج مادياً وأديباً . وهكذا أصبح خروج المسلمين من السودان الغربي ملوكاً وجماعات ، إلى الحج واتصلهم بالشعوب الإسلامية المختلفة في المغرب ومصر والحجاز تأكيداً لروح الأخوة الإسلامية التي فرضها الإسلام^(١). ومن الواضح أن المغرب كان محور التقاء هذه الوفود من حجاج أهل السودان الغربي حيث ينضمون إلى وفود الحجاج المغاربة ، ثم يتجهون في ركب واحد صوب مصر ، ويخرجون مع ركب الحجاج المصريين إلى أرض الحجاز، مما أتاح لهم الفرصة للاحتكاك والتفاعل ، وبخاصة بينهم وبين رواد المعرفة وأهل العلم في تلك البلاد .

وقد ارتبطت رحلة الحج بالرحلة في طلب العلم حيث أصبحت الرحلتان لدهيم وجهين لعملة واحدة ، ومن ثم كانت هذه الرحلة من المسائل المحمودة في السودان الغربي عموماً باعتبارها عاملاً مهماً في توثيق الصلات والروابط مع أهل المغرب خاصة والمشرق على وجه العموم . وقد تضاعفت سبل الاتصال عن طريق الرحلة في طلب العلم والرحلة للحج إلى المشرق الإسلامي مما أوجد تلاهما ودعمهما للروابط الثقافية بين أهالي و فقهاء السودان الغربي ونظرائهم من حواضر المشرق والمغرب الإسلاميين ، وقد نتج عن هذه الرحلات تبادل المعارف والآراء في مختلف العلوم العقلية والنقلية وعلى أية حال فقد أعانت رحلة الحج فقهاء السودان الغربي على الاتصال بعلماء المغرب والمشرق كما أتاح لهم الاطلاع على الكتب والمصنفات في شتى ألوان المعارف الإسلامية ودراستها ، فكانت الحركة مستمرة بين السودان الغربي من جهة ، وفاس ومصر والحجاز من جهة أخرى للاستزادة من العلوم

(١) شوقي عطا الله الجمل : الحضارة الإسلامية العربية في غرب أفريقيا سماتها ودور المغرب فيها ، مجلة

المنهل المغربي ، العدد السابع ، السنة الثالثة ، ١٩٧٦ ص ١٣٤ .

الدينية والحصول على الإجازة من العلماء بعد التعمق في دراسة الفقه وأصوله وسائر العلوم الدينية وخاصة الفقه المالكي^(١).

وقد كانت القاهرة معبرا مهماً لفقهاء السودان الغربي في أثناء رحلتهم لتأدية فريضة الحج ، وكان لفقهاء المالكية في مصر فضل في توطين المذهب . وهكذا كانت رحلة السودانيين دائمة إلى مصر وهم في طريقهم إلى الحجاز ، وبذلك كانت القاهرة محطة مهمة لأبناء السودان الغربي^(٢).

ومن أبرز المراكز العلمية في القاهرة والتي كان يتوافد عليها أبناء السودان الغربي وهم في طريقهم إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مدرسة ابن رشيق والتي بناها في مدينة القسطنطينية القاضي والفقيه المالكي المصري علم الدين بن رشيق عام (١٢٤٠هـ / ١٢٤٢م) والذي تولى تدريس المذهب المالكي بها . وأصبحت هذه المدرسة مركزاً لتدريس المذهب المالكي حيث بلغت في هذا الأمر شهرة عظيمة . وكان بناء هذه المدرسة من تبرعات أبناء بلاد السودان الغربي لتكون مركزاً لإقامة الوافدين إلى مصر من تلك البلاد^(٣).

(١) رشيد الزواوي : التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي ، مجلة الحضارة الإسلامية ، العدد ١ ، ١٩٩٣ ، ص ٣٢٤ ، ٣٣٩ .

(٢) تمتعت القاهرة بأهمية كبيرة لحجاج دولتي مالي وُصْنفى، حيث مثلت لهم أهم محطة تجارية وعلمية وثقافية ، وذلك لوقوعها على طريق حج هاتين الدولتين ، ومتهمي طرق الصحراء للذهاب إلى الأراضي المقدسة عن طريق القاهرة ، أنظر بن خلدون : مصدر سابق ، ص ١٨٩٥ ، إبراهيم على يوسف الشامي : الحج وأثره الحضاري في دولتي مالي وُصْنفى (١٠٠٠-٦٣٦هـ / ١٢٣٨-١٥٩١م) ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .

(٣) المقرئزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط ١٩٨٧م ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ .

كما كان للأزهر الشريف دور ومكانة كبيرة في نفوس أبناء السودان الغربي الذين أرادوا أن ينهلوا من معين فقهاء المالكية به ، وقد قام الأزهر الشريف باستقبال الكثير من هؤلاء الوافدين الذين تزايدت أعدادهم ، ولذلك أسس لهم رواقاً خاص بهم في الأزهر عام (٦٣٨هـ / ١٢٤٠م) عرف برواق التكاثر^(١). وقد ساعد الأزهر على توطين المذهب المالكي بين أبناء هذه البلاد ، وهكذا كان الأزهر عنصراً فعالاً وإيجابياً في دعم الصلات الثقافية بين مصر وتلك البلاد^(٢).

وتذكر لنا كتب التاريخ والتراجم أسماء بعض ممن وفد إلى مصر من بلاد السودان الغربي وأقاموا للدراسة بها ونهلوا من فقهاء المالكية تعاليم هذا المذهب ومن هؤلاء ، فالح ابن عثمان التكروري المتوفى عام (٦٩٥هـ / ١٢٩٣م)^(٣) ، وكذلك الشيخ عثمان فقيه أهل غانة وكبيرهم علماً وديناً وشهرة ، وكان قد جاء إلى مصر عام (٧٩٩هـ / ١٣٩٧م) ، وكان قد التقى بابن خلدون الذي نقل عنه أخبار تلك البلاد في كتابه العبر^(٤).

كما وفد إلى القاهرة ركب حجاج السودان الغربي بصحبة السلطان منسا موسى الذي جاء إلى مصر عام (٧٢٤هـ / ١٣٣٤م)^(٥) وتشير المصادر إلى أن هذا الوفد حظي بكثير من الإكبار والإجلال وتروي أنه ضم أكثر من أربعة عشر ألف حاج^(٦) وقد جاء هذا الوفد إلى أرض مصر في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد

(١) القلقشندي : مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٢٨١ ، المقرئزي : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ .

(٢) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٨٤ .

(٣) المقرئزي : المواعظ ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ ، ٣٦٤ .

(٤) ابن خلدون : تاريخه ، ج ٢ ، ص ١٨٩٤ .

(٥) المقرئزي " تقي الدين أحمد بن علي المتوفى عام "٨٤٥هـ / ١٤٤٢م" : كتاب السلوك لمعرفة دول

الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ما بين عام ١٩٣٦-١٩٥٨م

، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .

(٦) المقرئزي : الذهب المسبوك ، ص ١١٢ .

بن قلاوون (٦٩٣-٧٤١هـ / ١٢٩٣ - ١٣٤١م). وقد كان منسا موسى ومن معه على نمط واحد في العبادة والتوجه إلى الله عز وجل كما أنه كان كثير الحضور لمجالس العلم الخاصة بفقهاء المالكية وكان هو ومن معه في غاية السكينة والوقار^(١).

وقد اهتم منسا موسى ومن معه بتحصيل الفقه المالكي على أيدي فقهاء مصر المالكيين مثل القاضي المالكي شرف الدين أبي الروح عيسى الزواوي المتوفى عام (٧٤٣هـ / ١٣٤٧م)، والذي كانت له مكانة كبيرة في الفقه المالكي جعلته إماماً لهذا المذهب بمصر، ولذلك انتهت إليه رئاسة الفتوى على مذهب الإمام مالك بالديار المصرية^(٢).

كما جلس منسا موسى ومن معه أيضاً إلى الفقيه محمد بن أحمد بن ثعلب المصري المشهور بابن كشتغدي وهو قاضي ومدرس المالكية في مصر، وسمع منه وطلب العلم على يده، بل وطلب منه أن يقوم بشرح لمختصر أبي الحسن الطليطلي^(٣) وقد اصطحبه معه منسا موسى عند عودته إلى بلاده.

كما جاء إلى مصر ضمن ركب حجاج السودان الغربي عام (٨٩٠هـ / ١٤٨٤م) عدد كبير من أبناء تلك البلاد والتقوا بفقهاء المالكية في مصر، منهم أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٤٣هـ / ١٥٣٦م)، وقد التقى هذا الفقيه بخالد الأزهري^(٤) وهو من أعلام النحو مما كان سبباً في ارتفاع شأن أحمد بن

(١) العمري: مسالك الإبصار، ج٤، ص ٧١.

(٢) ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ص ٢٨٣.

(٣) القاضي عياض: مصدر سابق، ج٦، ص ١٧١، ١٧٢، أبين فرحون: مصدر سابق، ص ٢٩٤، ٢٩٥.

(٤) هو خالد بن عبد الله بن أبي بكر الجرجاني وهو من أعلام النحو للمزيد، أنظر السخاوي "محمد بن عبد الرحمن المتوفى عام ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م" الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ج٣، ص ١٥٣، ١٥٤.

عمر بن محمد أقيت في مجال العلم حيث أصبح فقيها لغويا نحويا وانتفع به جمع كثير من أبناء وطنه حين عاد إليه ، كما التقى بالإمام جلال الدين السيوطي المتوفى عام (٩١١هـ/١٥٠٥م) ، وكان للإمام السيوطي هذا العديد من المؤلفات في التفسير والحديث والأصول وغيرها من العلوم^(١).

وقد استمرت رحلات الحج وطلب العلم إلى الحجاز والمشرق ، فعندما حج أسكيا محمد الكبير عام (٩٠٢هـ/١٤٩٦م) كان في صحبته عدد كبير من الفقهاء^(٢) ، بما لا يدع مجالا للشك في أن هؤلاء الفقهاء السودانيين وغيرهم قد التقوا بأعلام فقهاء مصر المالكيين الذين ذاعت شهرتهم في المذهب المالكي شرقاً وغرباً ، ومن هؤلاء الفقهاء المصريين شمس الدين اللقاني (٨٥٧-٩٣٥هـ/١٤٤٢-١٥٢٨م) ، وكان من حفاظ مختصر خليل وانفرد بإقراء هذا المختصر هو وأخوه ناصر الدين (٩٥٨-٨٧٣هـ/١٤٦٨-١٥٥١م)^(٣) حيث كانا من العلماء الأجلاء وكان عليهما مدار المذهب بمصر^(٤) ، ولذلك تفقه عليهما العديد من أبناء السودان الغربي مثل الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت (٨٦٨-٩٥٥هـ/١٤٦٣-١٥٤٨م) الذي جاء بصحبة ركب الحجيج السوداني عام (٩١٥هـ/١٥٠٩م) ، وأقام في القاهرة فترة التقى فيها بالأخوين اللقاني ودرس عليهما ثم عاد إلى بلاده فقيها وإماما فاشتهر بعلمه هناك وظل ملازما للتدريس وخاصة الفقه المالكي في بلاده بعد عودته وكان أكثر ما كان

(١) للمزيد عن السيوطي أنظر السخاوي : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٦٠ ، ٦٤ .

(٢) ومن فقهاء رحلة أسكيا محمد ، الفقيه صالح جور ، ومحمد تنك ، والقاضي محمود يدبغ ، والشيخ مور محمد ، والقاضي محمود كمت ، أنظر محمود كمت : الفتاش ، ص ١٦ .

Brent Singieton : Aselect bibliography of the Songhay Empire
Africa, vol. ٣١٢٠٠٤, p ٣٦٠.

(٣) عن شمس الدين اللقاني وأخيه ناصر الدين اللقاني أنظر : أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص ٥٨٦ ، ٥٨٧ .

(٤) المصدر السابق : ص ٥٨٦ ، ٥٨٧ .

يدرسه من كتب هذا الفقه المدونة ، والرسالة ، ومختصر خليل . وانتشر عنه إقراء مختصر خليل في بلاد السودان الغربي ، كما وضع شرحاً لموطأ الإمام مالك في سفرين كبيرين^(١) .

كما أخذ عن اللقائين الفقيه محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي المتوفى عام (٩٣٧هـ / ١٥٣٠م) والذي كان مصاحباً للفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت^(٢) في رحلة حجه سالفة الذكر، والذي خضر دروسهما في الفقه وخاصة كتاب مختصر خليل^(٣) . كما التقى التازختي أيضاً بالفقيه القلقشندي الذي كان محدثاً وفقياً^(٤) مما جعل هذا الفقيه عند عودته إلى بلاده فقيها عالماً محدثاً ذائع الشهرة ، ووضع تقييداً على مختصر خليل^(٥) .

كما جاء إلى القاهرة من بلاد السودان الغربي مع الحجيج وفد للأخذ من فقهاءهم وهم في طريقهم إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ، وكان هذا في عام (٩٥٦هـ / ١٥٤٩م) ، وكان في طليعة هذا الوفد الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (٩٢٩-٩٩١هـ / ١٥٢٢-١٥٨٣م) الذي التقى في القاهرة بجماعة من أعلام المذهب المالكي ، منهم ناصر الدين اللقاني ، والفقيه الأجهوري المتوفى عام (٩٥٧هـ / ١٥٤٩م) والذي كان مداوماً على تدريس مختصر خليل لطلبة العلم مما

(١) السعدي تاريخ السودان ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٣) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٥٨٧ ، السعدي مصدر سابق ، ص ٣٩ ، ٤٠ ، الارواني : مصدر سابق ، ص ٩٣ ،

(٤) هو : إبراهيم بن علي بن أحمد إسماعيل القلقشندي "وكان محدثاً وفقياً، أنظر السخاوي : مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٥) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

كان سبباً في ارتفاع مكانته وذيوع صيته في مجال العلم وخاصة الفقه المالكي حتى قال عنه ابنه الفقيه أحمد بابا : "...إنه أعرف من رأيناه في الفقه..."^(١).

وخلاصة القول إن مرور وإقامة أبناء السودان الغربي في القاهرة قد هيأ لهم الفرصة للقاء أعلام المذهب المالكي من المصريين ، وكذلك غير المصريين ممن طاب لهم المقام في القاهرة منهم الفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن الحاج الطرابلسي المعروف بالتاجوري المتوفى عام (٩٦٠هـ / ١٥٥٢م) وهو من أعلام المذهب المالكي ، وكان قد تتلمذ على يد الأخوين اللقائين وغيرهما ، وكان مدرسا للموطأ والرسالة والتهذيب ، والتقى في مصر الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت ، وكذلك الفقيه محمد بغيج الذي شهد له حلقاته الدراسية^(٢) ، وهكذا كانت رحلات الحج والرحلات العلمية عاملاً مهماً من عوامل توطيد المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي. وكان هذا واضحاً من خلال مجموعة كبيرة من العلماء والفقهاء الذي تزودوا بمعارف مدن المشرق وفي مقدمتها القاهرة لينقلوها إلى مدنهم في بلاد السودان الغربي.

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٢٦٢.

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٦٣.

الفصل الثالث

فقهاء المالكية والحياة السياسية في بلاد السودان الغربي

١- فقهاء المالكية والعرش

أ- في دولة مالي .

ب- في دولة صنغى .

٢- الخطط والولايات التي تولاها فقهاء مالكية السودان الغربي .

أ- الكتابة .

ب- القضاء والفتيا .

ج- الخطابة والإمامة.

نظراً للمكانة التي احتلها فقهاء المالكية في دولتي مالي وُصْنُغى بالإضافة إلى الوضع الاجتماعي والنفوذ والتأثير الذي حظوا به بين العامة والخاصة ، فقد ارتبطوا بعلاقات مع السلطة الحاكمة كانت في أغلبها علاقات طيبة إلا أنها كانت تسوء بين الطرفين في أحياناً أخرى.

فقد لعب فقهاء المالكية في السودان الغربي أدواراً مختلفة في جميع مناحي الدولة الثقافية والاجتماعية والسياسية ، حيث شغل البعض منهم وظائف عليا وخططا دينية كبرى، من قضاء ، وإمامة ، وخطابة ، وكتابة ، جعلتهم يساهمون بشكل كبير ومباشر في الجهاز الإداري والسياسي للدولة .

فالارتباط بين الفقهاء والسلطة أصبح قاعدة سياسية تشكل من عناصر تتمحور حول علو صفة العالم ووظائفه ، فترفعه عن ماهو طبيعي مادي ، وتجعله أشد حرصاً على القيام مقام الناصح المرشد الأمين ، لأن الخطأ مرتبط بما هو عادى، فالملك عطاء وليس اكتساباً، والسلطان مملوك قبل أن يكون مالكاً أو ملكاً^(١) .

ولذلك ارتكز مجتمع السودان الغربي وخاصة في المرحلة المبكرة من انتشار الإسلام على الفقهاء في العملية التعليمية ، بالإضافة إلى النظام السياسي والإداري ، كما كان الحال في دولة غانة التي اعتمدت عليهم في الجهاز الإداري للدولة ، ولكن نما هذا التأثير للفقهاء مع نمو التأثير الإسلامي في دولة مالي منذ القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، وفي دولة وُصْنُغى منذ بدايات القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، عندما سعى حكام هذه البلاد إلى التعريف بأنفسهم

(١) المغيل : رسالة في أمور السلطنة ، مجله كلية الآداب ، فاس ، العدد الخامس ، ١٩٨٩ ، ص ٩٨ .

كحكام مسلمين، لدرجة جعلتهم يستشيرون هؤلاء الفقهاء ، ومنذ ذلك الوقت تطورت العلاقة بين الفقهاء والحكام^(١).

وهكذا كانت العلاقة بين الفقهاء والسلطة الحاكمة قد بدأت في الظهور منذ قيام دولة غانة بعد أن قام حكامها باستقطاب بعض المسلمين للاستفادة من تجاربهم وممارستهم فأعان هؤلاء الفقهاء والتجار والكتاب والمستشارون المسلمون ملكها على تسيير أمور دولته^(٢) وقد استمر هذا الأمر في دولتي مالي وصُغني .

١- فقهاء المالكية والعرش :

أ- فقهاء المالكية والعرش في دولة مالي :

كان بلاط دولة مالي الإسلامية مليئاً بالفقهاء والعلماء ، وكان أكثرهم من الشمال الإفريقي ، وقد أسندت إليهم معظم الخطط الدينية . وقد حظي هؤلاء العلماء الفقهاء بمنزلة كبيرة لدى حكام مالي حيث كانوا من المقربين إليهم ، فهاهو الفقيه أبو عباس الدكالي^(٣)، الذي كان معاصراً لمنسا موسى وكان يتولى خطة القضاء ، وقد تمتع هذا الفقيه بمقام واحترام كبيرين^(٤).

كما كان هناك الفقيه القاضي أنفار قم الذي كانت له علاقة خاصة مع منسا موسى والذي كان يوقره ويحترمه كثيراً ، حيث كان هو الوحيد الذي يضافحه^(٥)

(١) TrimIngham J . s :Islam in west Africa ,op ,cit ,p ١٠٠

(٢) البكري : المسالك ، ج٢ ، ص ٣٦٣ .

(٣) نسبة إلى مدينة دكالة وهي : " تعرف كذلك باسم "يمويمن" وتقع بين مدينة مراكش وبين البحر المحيط ، وهي مدينة كبيرة وهي نهاية في العبارة ، أنظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٦١٩ .

(٤) ابن بطوطة : رحلته ، ص ٦٥٥ .

(٥) يعتبر هذا حدثاً عظيماً جداً ، حيث كانت العادة هناك في السلام على ملوك السودان يكون بواسطة رمي التراب ، أو الدقيق على رأسه للتذلل على الأرض والسجود له ، أنظر محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٣٥ .

وبالإضافة إلى الفقهاء الذين كانوا موجودين في دوله مالي ، عمل منسا موسى أثناء رحله حجه الشهيرة^(١) إلى جلب عناصر حجازية وقرشية حتى ينعم بحضور شرفاء يؤازرون سلطته ويكملون مشروعاتها " ... فاجتمع عليه أربعة رجال من قريش قيل إنهم من موالى قريش وليسوا من أشراف قريش ، وأعطى لكل واحد منهم أربعة آلاف " ... فالحاجة كانت ملحة لأشخاص يتوسم فيهم الشرف ، حيث المنع الأصلي للدين الإسلامي مما يضيف هالة و قدسية أكبر لمملكته^(٢).

ويذكر لنا ابن بطوطة أن مجلس منسا سليمان كان يحضره الخطيب والقاضي ، وكان هؤلاء ضمن حاشيته المقربين^(٣) . ومما يدل على مكانة الفقهاء لدى حكام مالي ما حدث في بلاط منسا سليمان ، حيث قامت زوجته قسا بالتآمر عليه مع ابن عمه وبعد اكتشاف أمرهما عزم منسا سليمان على معاقبة زوجته التي هربت إلى دار الخطيب بعد عدم تمكنها من المسجد . فلم يلحقها أي أذى ، ورغم ما عرف عن منسا سليمان من تسامح ، لكنه كان لايسامح أحداً يرتكب أية جريمة و لذلك ساد الأمن في دولته^(٤).

ب ـ فقهاء المالكية والعرش في دولة صُنغي :

كان الفقهاء أكثر حضوراً في عهد دولة صُنغي بحيث كان هناك إطار من المعارضة ومن التحالف أيضاً بين الفقهاء والعرش وخاصة علاقة السلطة مع العلماء . فقد تباينت هذه العلاقة . ففي عهد بني علي (٨٦٩-٨٩٨هـ

(١) المصدر السابق، ص ٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٧.

(٣) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٧.

(٤) المصدر السابق : ص ٦٧٠ ، ٦٧١.

/١٤٦٤-١٤٩٢م^(١) كانت هناك علاقة عدائية مع بعض العلماء، ولكن في عهد أسرة الأساكي تبدلت هذه العلاقة العدائية إلى علاقة مودة واحترام في معظم الأحوال وخاصة في الفترة الأولى من عهد آل أسكيا^(٢).

وفي عهد سني على بير وقع صدام بينه وبين بعض فقهاء المالكية، ومن مظاهر هذا الصدام قيام كثير من الفقهاء بشن حملة كلامية وفقهية ضده وصلت إلى حد التشكيك في إسلامه واعتبروه مسلماً بالاسم أو وثنياً متظاهراً بالإسلام^(٣).

وبسبب هذا الموقف الذي اتخذته هؤلاء الفقهاء حدث لهم تنكيل علي يد سني على وخاصة عندما أخضع مدينه تنبكت عام (٨٧٣هـ / ١٤٦٨م) بعد أن انتزعها من حكامها الطوارق^(٤) وجعلها العاصمة الثانية لدولته، حيث كانت تنبكت المدينة

(١) هو ابن السلطان سن سلمن دام، ورغم قبح سيرة سني على وظلمه وفجوره، فإنه كان المؤسس الحقيقي لإمبراطورية صنغى، ففي عهده توسعت دوله صنغى وتجاوزت شهرتها وأخبارها الآفاق، حيث كان عارياً شجاعاً "وكان منصوراً، وما قابل أرضاً قصده، إلا خربها، وما كسر له جيش كان فيه، أنظر محمود كعت: مصدر سابق، ص ٤٣، السعدي: تاريخ السودان، ص ٣٦، البرتلى: ص ١١٢، الشيخ الأمين عماد: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطينين الإسلاميتين مالي وسنغى، رسالة ماجستير، كلية الآداب قسم تاريخ، جامعة القاهرة فرع الخرطوم، ١٩٧٦م، ص ٦٧.

(٢) محمود كعت: مصدر سابق، ص ٤٣.

(٣) المصدر سابق، ص ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، السعدي: مصدر سابق، ص ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، وكذلك: نقولاً زيادة: المغرب والسودان في أيام المنصور الذهبي، بيروت، ١٩٦٧م، ص ٣.

. Mine Horace :op,cit ,p٨

Op.cit, p٢٤٨. Lansie

Levtzion,N: op,cit,p,٣٤٢.

(٤) الطوارق هم: "هم من مسوفة يتسبون إلى صنهاجة يرفعون نسبهم إلى حير، وهم على دين الإسلام، وأتباع السنة، للمزيد أنظر السعدي، ص ٣٥، ٣٦، أحد مختار العبادى: تاريخ المغرب والاندلس،

Lansine Kaba:op,cit, p بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٩، ص ١٦،

٢٤٨. Levtzion,N:op,cit,p,٣٤٢.

الوحيدة التي شهدت معارضة لسياسته على المستويين العلمي والفقهي ، وعلى المستوى السكاني أيضا ، حيث جمعت هذه المدينة بين جنباتها الكثير من الفقهاء ورجال العلم ، والكثير من العائلات الارستقراطية الكبرى من ذوى الأصل الصنهاجي^(١) أو الذين يدعون هذا النسب^(٢) مثل أسرة أقيت وأسرة بغيغ وأسرة الحاج وأسرة أندغ محمد التي كانت تتقاسم مع هذه الأسر القضاء والخطابة و الإمامة والشرف والجاه^(٣) هذا بالإضافة إلى الطوارق الذين حكموا هذه المدينة منذ نهاية دولة مالي بواسطة أسرة نص^(٤) ، حيث سيطروا على مقاليد الأمور التي انعكست على مدينه تنبكت في النمو الاقتصادي والازدهار الثقافي ، كما كانوا يعينون من يشاءون من أفراد هذه الأسر العلمية .

ويرجع الصراع الذي كان قائماً إلى التباين بين مصالح الطرفين ، فسني على كان همه الأكبر ألا ينازعه أحد في السلطان^(٥) ، ولا يكون هناك ولاء لشخص آخر

(١) يقول البكري عنهم : "... وخلف بني لمتونه قبيلة من صنهاجة تسمى بني جداله ، وهم يجاورون البحر ليس بينهم وبينه أحد ..." وكما يضيف عن انتشارهم فيقول "...المصاقبون لبلاد السودان بنو جداله ، هم آخر الإسلام خطة وأقرب بلاد السودان منهم صنفانة بين آخر بلادهم وبينها ستة أيام ، وصنفانة مدينتان على ضفتي النيل ..." البكري : المسالك والممالك ، ص ٣٥٩ ، وللمزيد أنظر ابن خلدون : تاريخه ، ص ١٨٨١ ، ١٨٨٢ ، ١٨٩٦ ، ١٨٩٧ .

(٢) تحدثت العديد من كتب المصادر عن بحث العديد من الأسر السودانية عن الأصول العربية أو البربرية للارتباط بالنسب الشريف ، أو عن سمو اجتماعي ، أنظر : B : La FamILL : cuoq , Aqit de Tomboutou, Revue des Belles Lettres Arabes, ١٩٧٨N. ٤١, premier Smestre, p٨٩.

(٣) Levztion, N: Islam in West Africa, ٣٤٢.

(٤) كانت مدينة تنبكت تحت حكم الطوارق الذين ولوا عليها أميرا من صنهاجة شنقيط ، وكان تامينو كال أكيل أغ أملويل أكملويل ، ذلك الأمير الذي كان ينتمي إلى الملمشين من مسوفة حاكما لها ، ومن ذلك الوقت كان الطوارق حكام تنبكت وسلاطينها حتى عام ١٤٦٩م ، أنظر ابن الوزان الزياتي : وصف أفريقيا ، ص ٥٣٩ .

(٥) جيلة إحمد التكتيك : ملكة سنغاي الإسلامية في عهد الاسكيا محمد الكبير ، منشورات مركز جهاد

سواه ، حتى يتحقق حلمه الأكبر في تكوين وتأسيس مملكة شاسعة ، ولذلك اتجه للاستيلاء على مدينة تنبكت وخاصة بعد نجاحه في غزو جني عام (٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م)^(١) ومن ثم اصطدم سني علي بفقهاء مدينة تنبكت بسبب نفوذهم القوي الذي كبل يده في أكثر من ظرف، فقد شكلت هذه الفئات حاجزاً قوياً أمام أهدافه ، وذلك عن طريق حصرها لقواته وسلطته بسبب قوتها الدينية والسياسية وقدرتها على التأثير في الرأي العام وفرض شروطها ورغباتها على الجهاز السلطوي كما سنرى فيما بعد .

كما أن سني علي قد أسس دولة كبيرة واسعة بمجهوده الحربي الكبير ولذلك كان لا يرضى لنفسه أن يصبح أسيراً كملوك مالي الذين شاهد صنيع العلماء بهم ، ومن ناحية أخرى خشي من طوارق مسوفة أن يهددوا نفوذه باسم الدين . ولهذا الأمر عامل سني العلماء والطوارق بقسوة ، فهرب ملك الطوارق حاملاً معه علماء مدينة تنبكت ، وقيل إنه حملهم على ألف جمل . وبالرغم من ذلك قام سني علي بقتل خلق كثير منهم محمود وأحمد أندغ محمد^(٢) ، كما قام بإذلال أهلها بعد أن اعتبرهم أصدقاء حميمين للطوارق ومتعاطفين معهم^(٣) .

الليبيين للدراسات التاريخية ، سلسلة الدراسات التاريخية رقم ٢٦ ، ليبيا ، ١٩٩٨م ، ٤٥ .

(١) سينيكي مودى سيسوكو : الصنغى من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر ، "تاريخ أفريقيا العام" ، ج٤ ، اليونسكو ، ١٩٨٨م ، ص ٢٠٤ .

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٦٥ ، ٦٦ ، Clarke.B : west Africa and Islam , London ١٩٨٢, pp ٤٨٤٩

(٣) كان السلطان "عقيل" زعيم جماعات الطوارق صديقا للعديد من الأسر النبيلة ، وأستطاع بنفوذه أن يستميل حاكم مدينة تنبكت محمد أندا ، الذي سمح الحكم الذاتي للمدني للحاكم في أن يطور علاقاته مع حاكم صنغى ، وعلى الرغم من أن حكومة هذه المدينة كانت تابعة للطوارق إلا أنها اعترفت بسيادة صنغى الدولة المجاورة التي أصبحت القوة العظمى للإقليم ، ثم ساءت العلاقة بينهم بعد موت محمد أندا (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) فتولى ابنه وخليفته عمر الذي تباهى بقوته وأهان سني علي في أول خطاب له ، مما أغضب سني علي فأعلن الحرب على مدينة تنبكت ، فقام السلطان عقيل بعزل عمر بن محمد أندا ،

ولعل أسوأ مانسب إليه أنه أمر بالقبض على ثلاثين بتا من بنات العلماء الأبقار ليكنَ من جواريه ، منهن ثلاثة من أسرة آل أقيت يزعم أن هذه الأسرة تتعاون مع الطوارق ولما تأخرن عن التوجه إليه وهو في مرسى مدينة كابره على النيجر ، أمر بقتلهن جميعاً وعرف هذا المكان بعد هذه الحادثة "فناء قذر الأبقار"^(١) و الباحثة لا تستطيع أن تجزم بحدوث هذا الحادث لان مصدر هذا الحدث كان معادياً لسني علي . كما كان حكم سني علي صارماً تجاه رعيته ، فقد فرض العمل الإجباري القائم على السخرة ، كما فرض التجنيد الإلزامي ليؤكد استعدادات جيشه للحرب ، وذكر عته أنه أثناء نوبات من الغضب والشك كان غالباً ما يسجن الأسر النبيلة في مدينة تنبكت خلال الفترة من عام (٨٧٤هـ/١٤٦٩م إلى عام ٨٧٨هـ/١٤٧٣م) ، ومرة أخرى خلال السنوات الآتية (٨٩٠-٨٩٨هـ/١٤٨٥-١٤٩٢م)^(٢).

وعلي الجانب الآخر يجب أن نشير إلى أن سني علي لم ينكل بكل الفقهاء بل نكل ببعضهم فقط^(٣) ، حيث عامل البعض الآخر معاملة حسنة وحافظ على وظائفهم

وانتشر بقواته من الطوارق من أجل السيطرة على الموقف ، وفي تلك الفترة قدم ===الحاكم المعزول "عمر" خلماته لسني علي وأحاطه بكافه المشاكل المحلية ، وبأخبار صحة السلطان العلية ، وهون له من شأنه ، وأنه ضعيف في كل شيء ، في قدرته وجسمه ، وأنه رجل نحيف قصير جداً ، وأرفق برسالاته نعل سلطان الطوارق ، لكي يتأكد سني علي من ضالاه جسمه ودعاه لكي يغزو تنبكت ، أنظر الفتاش : مصدر سابق ، ص ، ٤٤ ، ٤٥ .

Lansie kaba;op,citl, p٢٤٨ t.rimingham : Op,cit,p١٠٤..

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٦٦ .

T.rimingham: op,cit,p١٠٠ .

(٢)

(٣) levtzion.N .Islam in west African politics : accommodation and tension between the ulama Nehemia Levtzion: Islam in west Africapop,cit,٣٣٩. and the political authorities ,cahiers etudes africaines

وخططهم مثلما فعل مع الفقيه عبد الله البلبالي " وهو أول البيضان " المغاربة " الذين قصدوا بلاد السودان الغربي، حيث قام بالصلاة بالناس في المسجد الجامع بتبكت في أواخر دولة الطوارق وفي أوائل دولة سني علي ، وقد احترمه سني علي كثيراً جداً وكان من عباد الله الصالحين ...^(١) كما نجد سني علي بعد رحيل فقهاء تبكت إلى ولالة يقلد القضاء للفقيه حبيب حفيد عبد الرحمن التميمي ، كما كان يحترم ابن عم الفقيه المأمون الذي رفض قول السوء في سني علي " فقال لا أقول على سني علي سوءاً لأنه أحسن إلى ولم يعمل سوءاً كما عمله في الناس ...^(٢) " .

والجدير بالذكر أن سني علي لم يكرر حوادث إهانة الفقهاء بعد ذلك ، فوصل الفقهاء وكبار القوم بالهدايا والصلوات . وتحدثنا المصادر عن سبي من نساء الفولانيين من قبيلة سنفتير حيث بعث كثيراً من نسائهم إلى " كبراء تبكت وبعض العلماء والصالحين بالمدينة ، وأمرهم أن يتخذوهن جواري وقد تزوج الإمام عبد الله البلبالي واحدة منهن وكان اسمها عائشة الفلانية^(٣) ، ومع ذلك فقد بالغ سني علي في إكرامه لبعض الفقهاء وأقر بفضلهم وأهميتهم يدل على ذلك مقولته الشهيرة .. " لولا العلماء لا تحلو الدنيا ولا تطيب ويفعل الإحسان في آخرين ويحترمهم "^(٤) .

ومهما قيل عن تصرفات سني علي المتأرجحة بين العمل الطيب والشرير ، فإن ما ذكر عنه في كتب المصادر والمراجع والتي تستعرض مساوئه وأفعاله و التي وصفته بأقبح الأوصاف وأرذلها والتي تشكك في إسلامه يحتاج إلى إعادة نظر ، فهذه

(١) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٧٨ ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٧

(٢) المصدر السابق : ص ٦٦ .

(٣) المصدر السابق : ص ٦٧ .

(٤) المصدر السابق والصفحة

المصادر تعتمد على المؤرخين السودانيين المالكيين المعادين لسني علي فهم طرف في النزاع من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الكثير من تصرفاته الوثنية ترجع بسبب الانتماء إلى دين أمه وتربيته بين أخواله الوثنيين ، كما أنه تعلم الطقوس السحرية ومزاولتها ولذلك أشيع عنه انه كافر^(١) .

لكننا نجد أيضا حديثاً عن تصرفات أخرى مطابقة للتعاليم الإسلامية، ومنها ما يستدل علي ذلك من اسمه ، كما أن بعض المؤرخين يشيرون إلى انه أتبع تعاليم الإسلام من خلال نطقه بالشهادتين^(٢) ، وصومه لشهر رمضان ، وتقديمه فروض الزكاة والصدقات على شكل حيوانات وذبائح ، هذا بخلاف أشياء كثيرة

(١) نلاحظ نوعاً من التناقض والتضارب في تاريخ سني علي ، ونأتي إلى المصدر الثاني لمعلوماتنا حول سني علي ، والذي وصفه بالكفر وسوء التصرف ، ويأتي هذا في إطار الأسئلة التي وجهها الاسكيا محمد إلى الإمام المغيلي وكان رد الإمام المغيلي عليه في إطار طرح الاسكيا لتلك الأسئلة ، نجد سؤال الاسكيا محمد يدور حول ما ذكر عن سني علي من سوء تصرف وكفر ، بسبب انتفاء سني علي إلى دين أمه وتربيته الوثنية ، وفي هذا المجال اعتمد الكثير من المؤرخين على مقوله أسكيا محمد عبر سؤاله وجعلوه مصدراً أساسياً ، رغم أن أسئلته تتأرجح بين ذكر الحقيقة وتشويهها ، فيذكر أنه كان يصوم رمضان ويتصدق بكثير من الذبائح وغيرها عند المساجد ونحوها ، ومع ذلك يعبد الأصنام ، ثم يذكر " ومن صفته أيضا أنه ما روى في جامع ولا مسجد هو ولا أحد من دائرته ... وفي دائرته ألوف من الرجال والنساء لا يستطيع أحد منهم أن يصلي صلاة ولا أن يصوم يوماً من رمضان خوفاً منه أن يعاقبه " ويظهر لنا مدى تناقض الأسئلة ، والتي نسبت معلوماتها إلى الإمام المغيلي الذي توخى الحرص عند الإجابة ، رغم ما عرف عنه من تصلب في الرأي وجهاد في أمور الدين وتطبيقه ، فكان رده داخل في إطار القاعدة الاستشارية والاستفتائية ، وما جواب المغيلي إلا تبعاً لما قدم له من معطيات يربطها بمقوله الشرع في هذه الأسئلة ، فيقول " فإن كان الأمر كما ذكرت فهو كافر " كما كانت بقية الأسئلة تهتم بكيفية محاوله استيلائه على ارث سني علي معتمداً على مسألة تكفيره وإثبات ذلك بفتوى من الإمام المغيلي ، أنظر محمد عبد الكريم المغيلي : أسئلة الاسكيا وأجوبة المغيلي ، تقديم وتحقيق ، عبد القادر زباديه ، ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ .

Lansie kaba: the pen , The swrd , and the crown, Islam and Revolution in songhay, p٢٥٦.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٤٣ .

من الهبات إلى ذوى الحاجة والفقراء. ولهذا فإن الاعتماد على هذه المصادر غير كاف للحكم على مواقف وتصرفات سني على خاصة الدينية منها^(١).

ويرى البعض أن الصراع كان في أساسه صراعاً سياسياً اقتصادياً ، وليس صراعاً بين الوثنية والإسلام ، والذي استعمل كوسيلة لضرب سني على ، ولم يكن صراع ثقافات مع العلم أن الهيئة العلمية المتمثلة في فقهاء المالكية لم تكن تسعى إلى الزعامة السياسية والرئاسة^(٢) ، بل كانت تسعى إلى تسيير السلطة القائمة من خلال إطار التوجيه الذي يؤثر تأثيراً مباشراً وغير مباشر في الجهاز الحاكم ، حيث يعتمدون على الدين والانتفاء الاجتماعي أو النسب الشريف . وبذلك فهم يحتلون مهمة الإرشاد والنصح والتخويف والترهيب ، وقد يكتفون بالمعارضة أو الرفض الذي يتطور في بعض الأحيان ليتخذ أشكالا أكثر تطورا من المعارضة الفقهية ويتخذ أشكالا أخرى تسعى إلى تغيير النظام القائم بنظام جديد .

حدث هذا عندما مات سني على بعد حكم استمر قرابة ثمانية وعشرين عاماً في ١٥ المحرم عام (٨٩٨ هـ / ٧ نوفمبر ١٤٩٢ م)^(٣) ، بعد أن أدى صراعه وسياسة

(١). وفي إطار الفتاوى التي طرحت على الإمام السيوطي ، كان هناك أسئلة حول سوء تصرف السودانيون في القضاء وأمور الدين والدنيا ، وابتعادهم عن الإسلام ، ولو قارنا ذلك بما قيل عن سني على ، وإن ثبت الأمر ، فقد تكون تلك مجرد تصرفات عامة كانت موجودة ومتشرة بين المجتمع ولم تكن لصيقة بشخص معين ، أنظر السيوطي : الحاوي للفتاوى ج١ ، ص ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤.

LansiekABa:op,cit,p٥٣٥٤.

(٢) وخير دليل على ذلك اعتذار الفقهاء عن الخطط الدينية خوفا من الظلم والمسؤولية ، ولكن هذا لا يشكل أي تناقض بين الهدف من تسيير السلطنة والقيام بوظائفها ، ولأن حضورهم على الساحة مرتبط بعلمهم ، لا بوضعهم في الهيئات السلطوية ، أنظر ،

Clssoko ,s .m .L , intelligentsia de Tombouctou,BIfAn, ١٩٦٩,t,xxx,p.٩٤٧,
Levtzion,N : Islam in west Africa, p ٣٣٩.

(٣) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٥١ ، ص ٥٥ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ٦٤ ، ص ٧٠ ، ص ٧١

القمع التي اتبعها مع بعض فقهاء مدينه تنبكت إلى تحالفهم مع القائد محمد تورى الذي سلك سياسة إسلامية واضحة أمدته بتعاون أكبر مع الفقهاء^(١). وكان عرشُ صنغى قد أرتقاه في عام (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) ابن سني على المدعو أبو بكر وكنيته (سني بارو) في وسط من المعارضة ، خاصة من محمد تورى المدعو (بمنساكورا والباراكوى) قائد المنطقة العسكرية حول بحيرة ديبو مما أدى إلى حدوث انقسام في الجيش الملكي وخروج محمد تورى علي سني بارو^(٢) وأتباعه الشروط الأساسية لإعلان الجهاد في سبيل الله^(٣) ، فأرسل الفقيه العالم محمد تل الشريف إلى بارو يدعوه إلى الإسلام وهو في بلده انفع ، فأبى وامتنع فأغلظ الكلام لذلك الفقيه وأرتكب معه امرأ عظيماً حتى هم بقتله فصدّه الله عن ذلك ، ورجع إلى القائد محمد وأبلغه الخبر من رفض سني بارو وما فعله به . ثم أرسل محمد تورى الفقيه صالح جور إلى سني بارو مرة أخرى فاتاه وأبلغه رسالة القائد محمد فما ازداد إلا عتواً وامتناعاً وتجبراً وأتى بأشد من فعلته الأولى ، حيث أشار عليه وزراؤه بقتل هذا العالم حتى تنقطع رسله ولكن منعه الله وقال له أذهب لمرسلك فإن رجع إلي بعد رسول منه قدمه في عنقه . وذهب إلى القائد محمد تورى وأخبره ما حدث ومدى رفضه الدخول في الإسلام ، هنا جمع محمد تورى أهل مشورته من الفقهاء والأكابر وشاورهم في أمره فأشاروا عليه بإرسال رسول ثالث يداريه ويلين له في الكلام لعل الله يهديه إلى الإسلام فأرسل الفقيه القاضي محمود كعت فامتنع وأزداد إصراره وأمر بضرب طبول الحرب وعاد وبلغ القائد محمد تورى بما حدث واستعد القائد محمد تورى للحرب وبايعه الجميع^(٤).

levtzion.N:op,cit,p٣٣٩ .

(١)

Lansie .op,cit,p٢٤٢.

(٢)

(٣) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٤٤ ، ص ٤٥ ، ص ٤٦ ،

Louis Brenner: Histories of Religion in Africa , Journal of Religion In Africa, vol.٣٠, Fasc. ٢ May, ٢٠٠٠. p١٤٥.

(٤) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٤٦ .

وهكذا وبعد رفض سني بارو القسم بالولاء للدين الإسلامي والاعتراف به دينا رسميا للدولة، التقى الطرفان محمد تورى وجيشه بجيش الموالين لسني بارو في معركة "أنافو" بالقرب من جاو عام (٨٩٩هـ / ١٤٩٣م) حيث فر على أثرها سني بارو إلى دندى في الجنوب، كما ذكر ذلك أحد المؤرخين بقوله "إن الله حرر المسلمين من الكرب والأسى، عدا الملك الجديد فإنه وضع حداً للمعاناة التي كانوا يتحملونها^(١) ومع هذا النصر بدأت حقبة جديدة في تاريخ دوله صنغى حيث انتهى حكم أسرة سني الذي استمر زهاء تسعة قرون^(٢) وقامت أسرة جديدة هي أسرة الأساكي^(٣) التي كان أول ملوكها الأسكيا محمد تورى

(١) كرم الصاوي باز: الصراع بين العرش والعلماء في سنغاي، في الفترة من ٨٩٩-٨٦٩هـ / ١٤٩٣-١٤٦٤م "مجلة الدراسات الإفريقية - العدد ٢٢، ٢٠٠٠م، ص ٧٨.

Lansie kABa:op,cit,p ٢٥٣.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة سنغاي، مجلد ١٢، ص ٢٦٥، أنظر في الملاحق، أسرة سني على .
(٣) اتخذت الأسرة الحاكمة الجديدة لقب الاساكي، واستمرت تحكم حتى نهاية صنغى على أيدي المراكشيين عام (٩٩٩هـ / ١٥٩١م أي بعد نحو قرن، حكم من الأسرة نحو ٢٢ سلطاناً مستقلين: ١٣ منهم مستقلين، ٩ كانوا من صنائع المراكشيين باشاوات تنبكت، أنظر في الملاحق، أسماء أسرة الاساكي، وترجع تسميه هذه الأسرة بلقب الاساكي إلى أن بنات سني على، عندما علمن بخبر ولاية محمد تورى، صحن: "أسكيا" ومعناه في كلامهم، كما يقول السعدي: "لا يكون إياه" وفسره بعض كتاب الغرب بمعنى المغتصب، فلما سمعه محمد تورى، أمر ألا يلقب إلا به، فقالوا أسكيا محمد، أنظر السعدي: تاريخ السودان، ص ٧٢==

Samba Gadjigo: Scribe, Griot, and Novelist: Narrative Interpreters of the Empire by Thomas A. Hale, Research in African == Songhay Literatures, Vol. ٢٢, No. ٤ (Winter, ١٩٩١) Indiana University Press,p.

٢١١,

Scribe, Griot, and Novelist: Narrative Interpreters of the : Ronald Niezen Songhay Empire by Thomas A. Hale, Journal of Religion in Africa, Vol. ٢٢, Fasc. ٢ (May, ١٩٩٢), BRILL pp. ١٨٤.

وقد أصبح لفقهاء المالكية في عهد هؤلاء الأساكي نفوذ كبير حيث كانت علاقاتهم قوية بالسلطة خاصة في عهد هؤلاء الأساكي الأقوياء ، فكانت لهم مواقف تبرهن على توجيههم للسلطة، وتبرهن كذلك على تحديهم لسلطة الحكام وإرادتهم ، فنجد أن الحكام خضعوا لهم واستجابوا من أجل دعم مشروعهم السياسي والديني المتمثل في وضع أسكيا محمد قواعد هذا المشروع ، فسعى للتقرب إلى الفقهاء وصاحبهم ، وقلدهم جميع الأمور وأعلى من مقامهم ورفع قدرهم وأشتهر أسكيا محمد بأنه كان يقدر العلم وأهله فإذا دخلوا عليه أجلسهم على سريره وقربهم ، وكان لا يقف لأحد إلا للعلماء والحجاج ولا يأكل معه إلا العلماء والشرفاء وأولادهم^(١) لأن هؤلاء الفقهاء هم وحدهم الذين يستطيعون التأثير على المسلمين في أنحاء دولته وهو الأمر الذي يحتاجه أسكيا محمد^(٢).

وارتفعت مكانة فقهاء المالكية في عهد أسكيا محمد وخاصة فقهاء تنبكت^(٣) فمن تقديره لهم أنه عندما كان يصل إلى هذه المدينة كان أول دار يدخله دار الفقيه القاضي الذي يكون في انتظاره، ويصنع لهم القاضي شيئاً من الأكل والشرب لأنهم يريدون التبرك به ، ويأكلون ويشربون بعد دعاء كثير على العادة . ثم يتوجه إلى المسجد الجامع بهذه المدينة وهناك يتلقاه علماء البلد الأجلاء ، وأكابر الأئمة وجميعهم يدخلون المسجد قبل قدومه ويتظرونه ويشيعه القاضي وشهوده فيدخل على الفقهاء في الجامع الكبير^(٤).

(١) الحاج مرحبا : فتح الحنان المنان بأخبار السودان ، معهد البحوث والعلوم الإنسانية ، نيامي النيجر ، رقم ١٠٨ ، ص ٢٣ ب .

(٢) أحمد بابير الأرواني : جواهر الحسان في أخبار ملوك السودان مخطوطة ، معهد البحوث والعلوم الإنسانية نيامي النيجر ، مخطوطة رقم ١٠٦ ، ص ١٣ ب ، Lansie kABa: op,cit, p ٢٥٦ .

(٣) Moreou , R : Africains Musulmans , inades edition prence

Africaine, ١٩٨٢, p ١١٩.

(٤) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١١٠ ، ص ١١١ .

وتتلخص سياسة الأسكيا مع العلماء والقضاة في الإحسان إليهم بكثرة العطاء ، وجعل هذه السياسة قاعدة لمن أتوا بعده فعليهم أن يحترموهم ويحسنوا إليهم وإلى ذويهم حيث اقتضت المصلحة أن يكون هناك تحالف بين الطرفين^(١).

ومن الأدلة على ذلك أنه عندما وهب الأسكيا محمد للفقير محمود جارية وأمره أن يتخذها سرية ففعل ، ثم أرسل أسكيا محمد ألف مثقال للفقير محمود وقال له : " إن ولدت سريتك ذكرا فسمه باسمي وأعطاه ألف مثقال " وبالفعل أنجبت هذه السرية للفقير محمود ابنه الذي تولي القضاء فيما بعد^(٢).

ويتحدث محمود كعت في تاريخ الفتاش عما كان للفقير صالح جور عند الأسكيا محمد من الإكرام والعطاء^(٣). ومن كثرة عطايا الأسكيا محمد للفقهاء وأحفادهم ما حدث مع حفدة الشيخ مور هوكار عام (٩١٣ هـ / ١٥٠٧ م). بعد أن غزا ونزل في قرية كبر و تلقاه هنالك ثلاثة رجال من حفدة الشيخ مور هوكار وهم مور الصادق ، ومور جيب ومور محمد الذين أخذهم سني على في زمنه واشتكموا إلى أسكيا محمد البؤس والشدة ، فأمر بالكثير من العطايا فدعوا له وشكروه وطلبوا منه أن يكتب لهم كتاب الحرمة حتى لا يتعرض لهم أحد بظلم ولا يتعدي عليهم أحد فرضي وأجاب^(٤).

Hunwik,J :secular power and Religijs Authority in Muslim society: the : case of songhay , the Journal of African History ,vol.٣٧,No.٢,p١٧٧.

(١) محمود كعت : ص ٧٢ ، ٧٣.

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٢.

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٢.

(٤) المصدر السابق ، ص ٧٢ ، ص ٧٣ ، ص ٧٤ ، ص ٧٥ ، أنظر في الملاحق نص كتاب أسكيا الحاج محمد لحماية أبناء العالم محمد هوكار عام (٩١٣ هـ / ١٥٠٧ م) ومنحهم امتيازات وإعفاءات من الضرائب والالتزامات المقررة بحكم العادة ، أنظر

ولم تقتصر علاقة الأساكي بفقهاء المالكية على عطف ورعاية الأساكي لهم بل تطورت هذه العلاقة من خلال قيام هؤلاء الفقهاء بدور التوجيه والنصح والإرشاد لهؤلاء الأساكي، يتضح هذا في أجوبة المغيلي عن أسئلة الأسكيا محمد إذ يقول له ناصحاً وموجهاً: "... إنما أنت مملوك لا تملك شيئاً، وقد رفعك مولاك على كثير من عباده لتصلح لهم دينهم ودنياهم لا لتكون سيدهم ومولاهم..."^(١). ويتضح أن غرض الإمام المغيلي من رده ذلك هو إثارة التخويف والترهيب من تسلط الحكام على الرعية.

وهناك واقعة أخرى تبرهن على دور الفقهاء وتوجيههم للسلطة الحاكمة، ودورهم في النصح والإرشاد، ومن هذا ما حدث بين الأسكيا محمد والفقهاء القاضي محمود بن عمر قاضي تنبكت المتوفى عام (٩٥٥هـ / ١٥٤٨م) فقد رفض القاضي تنفيذ أوامر أسكيا وقضاء بعض حوائجه، وعاتبه أسكيا الحاج محمد على ذلك فأجابه القاضي: "هل نسيت أم تناسيت يوم جئتني في داري وأخذت برجلي وثيابي فقلت: "جئت أدخل في حرمتك وأستودعك نفسي أن تحول بيني وبين جهنم فأنصرتني وأمسك بيدي حتى لا أقع في جهنم وأنا وديعتك" فهذا سبب طردي رسلك ورد أمرك، فقال الاسكيا نسيت ذلك والله ولكن ذكرته الآن، فأنا أستغفر الله وأتوب إليه"^(٢).

كما كان الأسكيا محمد لا يقدم على أمر إلا بعد مشورة هؤلاء الفقهاء وأخذ رأيهم في مسائل السلم والحرب، كما كانوا هم رسله في معظم الأحوال، ويتضح

(١) المغيلي: أسئلة الاسكيا وأجوبه المغيلي، ص ٢٣.

(٢) محمود كعت: مصدر سابق، ص ٦١،

song hay :A Reconsideratin f Autnmy,the Journal of African History ,vol.٣١,No.١ (١٩٩٠),p ١٥. Nehemia Levtzioncit,٠p,p٣٤١.

Michaal A .Games :Timbuktu under Imperia song hay :A Reconsideratin f Autnmy,the Journal of African History ,vol.٣١,No.١ (١٩٩٠),p ١٥ .

ذلك بعد عودته من رحلة حجه الشهيرة عام (٩٠١هـ / ١٤٩٥م) ، حيث أراد أن يغزو دولة موش فأخذ مشورة الفقيه مور صالح جور الذي أفتى له بأن يجعلها جهادا في سبيل الله فلم يخالفه في ذلك وبين له جميع أحكام الجهاد ، فطلب الاسكيا من الفقيه مور صالح أن يكون رسولا بينه وبين سلطان موش (١) فوافق أسكيا وأرسل هذا الفقيه إلى سلطان موش ، ويعد أن وصل وبلغه رسالة اسكيا طالباً منه الدخول في الإسلام رفض هذا السلطان وقال للفقيه ما بيننا وبينكم إلا الحرب . عاد الفقيه وأخبر الأسكيا بما حدث وقال له الآن ما عليك يا أسكيا الحاج محمد إلا قتالهم ، وبالفعل قاتلهم وخرّب ديارهم (٢)

وتكرر الأمر في الأخذ بمشورة الفقهاء عندما طلب الإمام المغيلي من الأسكيا محمد الكبير القبض على أفراد الجالية اليهودية التواتية في صُنغى لتورطهم في مقتل ابنه أثناء غيابه في رحلته إلى بلاد السودان . وجاءت هذه الجريمة تحريضاً من يهود توات الذين أرادوا الانتقام من المغيلي بسبب تحامله عليهم ، وتحريضه على هدم بيعهم . وكاد الأسكيا أن يلبي طلب الإمام المغيلي لولا استشارته للقاضي محمود بن عمر (٨٦٨-٩٥٥هـ / ١٤٦٣-١٥٤٨م) الذي تدخل واحتج على ذلك ، وأمر

(١) موش هي : "دولة ظهرت في منعطف نهر النيجر ، وكانت ذات تنظيم سياسى وعسكري ، وأهلها من المحاريين الذين هاجموا مدينة تنبكت زمن منسا موسى حاكم دولة مالي ، كما دخلوا في صراع عسكري مع سني على في زمن دولة صُنغى ، واكمل الصراع في عهد الاسكيا محمد الكبير الذي شن عليهم الحرب باسم الدين وانتصر عليهم . أنظر : ميشيل أيزارد : شعوب وممالك منعطف النيجر حوض الفولتا ، تاريخ إفريقيا العام ، اليونسكو ، ١٩٨٨م ، المجلد الرابع ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٥ .

الأسكيا محمد بإطلاق سراحهم ، مما كان سبباً في غضب الإمام المغيلي الذي قفل راجعاً إلى توات التي ظل بها حتى وفاته^(١).

وهناك أحداث تظهر مكانة هؤلاء الفقهاء عند الأسكيا محمد ، منها أثناء رحلة حج الاسكيا محمد الكبير (٩٠٢هـ/ ١٤٩٥م) وقفت الرحلة للراحة فقام الأسكيا محمد الكبير يقسم التمر بين أهل الرفقة كعادته ، فأعطى جميع الناس ونسى الفقيه محمد تل الذي حزن وحزن معه أهل منزله . وتحدث بعض أهل الرفقة بأن هذا أمر عن عمد ومنهم من اغتاب الأسكيا محمد ، وحين علم الأسكيا محمد بما حدث منه تجاه هذا الفقيه أنكب على يديه وقدميه يقبلهما ويعتذر له بالنسيان^(٢).

كما كان لبعض كبار فقهاء المالكية دور في الحفاظ علي دولة صُنغي من الاضطرابات والفتن الداخلية خاصة في الفترة التي أعقبت عزل أسكيا محمد واستيلاء ابنه موسي علي الحكم في عام (٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م) ، فقد منعوا هذا الأسكيا من التنكيل بإخوانه ومعارضيه منعاً للفتن الداخلية . ومن ذلك جهود الفقيه محمود بن عمر المتوفى عام (٩٥٥هـ/ ١٥٤٧م) للصلح بين الأسكيا موسى بن الأسكيا محمد الكبير وبين إخوته بعد أن قام بخلع أبيه من الحكم ، فطلب منه الفقيه القاضي محمود العفو عن إخوته وأن يتجنب الفتنة بينه وبينهم لما فيه من قطع الرحم والفساد في الأرض^(٣). وقد دخل بيت القاضي محمود (بنك فرم بل) ابن الأسكيا محمد وأستحرم به فبعث الأسكيا موسى يطلب شفاعته ، فقال : "كل من دخل دار

(١) المصدر السابق ، ص ٥٧٧.

Trimingham J.s :Islam in west Africa,,p٣٤٤.

Abd-Al-Aziz Abd-Allah Batran: op,cit, ,p ٣٨١.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٦٨.

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٨٢...٣٤٠ Trimingham J.s : op,cit, ,p

القاضي محمود فهو آمن^(١) ، كذلك خرج الفقيه مورم عن كني الذي شبه فعل أسكيا موسى بفعل سني على ، فخرج مع الطلبة من جنج فسلم على الأسكيا موسى وسلم عليه ودعاه ، ثم طلب منه أن يعفو عن درمكي وبركي وهما من قواد الجيش ، وقال له لا ترد شفاعتي حتى لا أكف لك عن الدعاء. ورغم صراحة الفقيه مورم عن كني وإظهاره لرأيه المعارض لسياسة أسكيا موسى ، فإن الأخير لم يتخذ أي موقف تجاهه^(٢) نظرا لقوة هذا الفقيه وقوة الهيئة التي ينتمي إليها، خاصة وأن أسرة الأسكيا مرتبطة عضويا بمساندة الفقهاء .

بعد مقتل الأسكيا موسى على يد أحد إخوته في عام (٩٣١هـ / ١٥٣١م) . لم تهدأ الحروب ، رغم اعتلاء الأسكيا محمد بنكن ابن عمر كمزاغ العرش بعد مقتل ابن عمه ، ثم اعتلى العرش أخوه إسماعيل الذي عمل على تهدئة الأجواء منذ عام (٩٣٦هـ / ١٥٣٧م) وأخرج أباه الأسكيا محمد من سجنه في جزيرة كنكاك ، وولى إخوته كرؤوس حكومات محلية، فأحسنوا السيرة واحترموا الفقهاء ، وضربوا على أيدي المرابين وحددوا الأسعار^(٣) .

ولما تولى الأسكيا إسحاق العرش عام (٩٤٦هـ / ١٥٣٩م) ، تقدم الفقهاء والأعيان لمبايعته بالملك ، وذهب هو بنفسه إلى مدينة تنبكت ودخل دار القاضي محمود أقيت طالبا منه الدعاء . وكان الأسكيا إسحاق صالحاً مباركاً كثير الصدقات حريصاً على صلاة الجماعة سباقاً إليها قبل غيره ولا يمنعه عنها المطر والوحل وظلمة الليل^(٤) .

(١) نفس المصدر ، ص ٨٣ .

(٢) السعدي : المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٣) - المصدر السابق والصفحة

(٤) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٨٨ .

وقد انتهز فقهاء المالكية حرص أسكيا إسحاق على العدل وتدينه الشديد فقاموا بنصحه وحثه علي السير في رعيته بالعدل ، ويتضح هذا الأمر حين زار هذا الأسكيا مدينة جني ودخل مسجد المدينة الكبير وأمر أن يحضر العامة والخاصة من سكان هذه المدينة ، ثم جاء الأسكيا ومن معه من الأعيان وامتلات الصفوف و الأساطين ثم أمر ترجمانه أن ينادى بالناس يعلمهم حالفا بلفظة "والله" فمأسفرت سفري هذا إلا لإصلاح البلاد ولمصالح العباد...والآن من يؤذى المسلمين ومن يظلم الناس في هذا البلد . ودخل الترجمان في الصفوف يتبعها ويقول ذلك والجماعة ساكنة ، وكان ممن حضر في تلك الجماعة الفقيه القاضي محمود بن أبي بكر بغنيغ وهو جالس بقرب الأسكيا ، فلما طال الحال عليهم فما رد أحد له جوابا قال له الفقيه محمود : "الحق ما تقول يا إسحاق فقال والله الحق فقال : إن علمناك بذلك الظالم فماذا تفعل له ، فقال له : ما يستحق من قتل أو ضرب أو سجن أو إجلاء أو رد ما أتلغه من المال وغرمه ، فقال له الفقيه محمود : "ما عرفنا هنا أظلم منك أنت ولا يغصب غاصب هنا مغصوبا إلا لك وبأمرك ويقوتك إن كنت تقتل الظالم فابدأ بنفسك ...!" فلما سمع الأسكيا بذلك تحيز ودهش وتنفس الصعداء وبكى وندم على قوله حتى رحمه الناس وحتى عبس وجه قومه على الفقيه محمود بغنيغ . وقال له بعضهم أنت القاتل للسلطان هذا القول ، وكادوا أن يسطوا عليه فردهم الأسكيا عن ذلك وانتهرهم فما صدر منه إلا الأذعان والخشوع والحشمة ، بل قال : صدقت والله وأنا تائب لله واستغفره ثم نهض إلى منزله بأكياً ، ثم ولاه قضاء مدينة جني بعد إباية من هذا الفقيه^(١).

وقد نهج أسكيا داوود الذي تولى العرش عام (٩٥٦- ٩٩٠هـ/ ١٥٤٩- ١٥٨٢م) (٢) نهج الأسكيا محمد الكبير في سياق احترامه وتودده للفقهاء ، فنجد

(١) المصدر السابق: ص ٨٨ ، ص ٨٩.

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ١٠٠ ، ١١٣.

مع والد أحمد بابا الفقيه أحمد ابن عمر بن محمد أقيت (٩٢٩-٩٩١ هـ / ١٥٢٢-١٥٨٣ م) والذي كان عظيم الجاه وافر الحرمة عند الملوك والناس كافة نافعا بجاهه ، ولذلك كان لا يرد له شفاعاة وكان هذا الفقيه يغلظ القول للملوك فمن دونهم ، وينقادون له أعظم الانقياد ، ويزورونه في داره ، ولما مرض في كاغ في بعض أسفاره ، كان أسكيا داوود يأتي إليه بالليل حتى يبرأ من مرضه وسمر عنده تعظيما لقدره^(١) .

وتظهر أخلاق أسكيا داوود الحميدة من خلال حسن ملاطفته مع القاضي العاقب عند بناء المسجد الكبير في تنبكت ، وقد سعى وشاة وتقولوا على لسانه ما لم يقل ، وأرسل له أسكيا أقوالاً لا ينبغي أن تُقال بينهما ، فأجابه القاضي بأجوبة قاسية لا يصبر عليها إلا مثل داوود . فلما أتاه أسكيا في سفره إلى مل وزاره في بيته وعليه الحاجب الذي رده وأبى أن يدخله عليه فوقف أسكيا على بابه على قدميه وقوفا طويلا وما أستأذن له في الدخول إلا بشفاعة بعض فقهاء البلد وأكابر شيوخه ، ثم أمر بفتح الباب له ودخل عليه متملقا متواضعا متذللا وانكب على رأسه فقبلها وجلس بجانبه مستوقراً حتى أرضاه ورضي وتوافقا بعد إباء وامتناع^(٢) .

كذلك حدث في عهد الأسكيا داوود خلاف بينه وبين الفقيه محمود كعت ، ويدل هذا الخلاف في نهايته على مدي تحدى سلطة الفقهاء لسلطة الحكام وإرادتهم ، وكذلك اعتراف السلطة الحاكمة بقدرهم^(٣) فقد قال الأسكيا داوود للفقيه محمود

(١) محمود كعت :مصدر سابق ، ص ١١٥ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٠٩ .

(٣) ومن ذلك : "في يوم مقدم بعض الحجاج من أهل تنبكت وجواليها في بعض السنين وكان منهم رجل من أهل كنت وهو من ممالك أسكي داوود وقد حج معهم ونزلوا بخارج بلد كاغ وعادة الحجاج في وقت دولة صُنغِي إذا قفلوا يتزلون خارج البلد ولا يدخلون إلا بعد مشاورة أسكيا ، واستئذانه ويخرج الأسكيا لملاقاتهم ويأتيهم بالكسوات واللباس ويسألهم الدعاء والتبرك بهم فلما قدم هؤلاء الحجاج

كعت " ولولا العلماء لكننا من الهالكين فجزأك الله عنا خيرا "، وبعد رجوع هذا الفقيه إلى بلده أرسل أسكيا عشرة أثواب وخمسة عبيد ، وقال له : " هذا جزاؤك لأنك حلت بيني وبين معصية الله وغضبه وأعوذ بعزة الله وقدرته من ذلك " (١).

وتعددت الروايات التاريخية التي تبين احترام أسكيا داوود لفقهاء المالكية منها ما حدث بينه وبين الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد سبط القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت الذي قدم له نقداً لا ذعاً (٢) عندما ذهب إليه بعدما عفا عن الفقيهين

المذكورون ونزلوا بخارج البلد على عاداتهم المألوفة وسمع بذلك الاسكيا داوود وكان عنده الفقيه كعت الذي خرج معه ومعهم بعض رؤساء البلد ، وبالفعل وصل إليهم وأتوه ونزل أسكيا بنفسه إجلالاً لهم وتعظيماً وقبل أيديهم وأقبل الرجل الكتوى الذي تقدم ذكره بأنه من ممالك أسكيا داود وهو لا يشعر به ولا يعلم أصله فصافحه وأراد تقبيل يده ، وكان هناك رجل بجانب أسكيا داود ، وقد عرف ذاك الحاج الكتوى المذكور وعرف أصله وأبويه وقال له : أخرج يدك من يد أسكيا أتصافحه بيديك وما خرجت من قوم يقدر على هذا فكيف أنت عبد وما أجراك على مصافحة السلطان وأخذ بيده ونزعها من يد أسكيا وحلف على قطع يده التي أدخلها في يد أسكيا وعظم القوم ذلك وتعجبوا من جرأته على يد أسكيا بإدخال يده فيها والفقيه كعت ساكت بجانبه ، فالتفت إليه أسكيا وقال : يا محمود ما تقول في هذه المسألة فما جزاء من جهل قدره وهنا قال الفقيه محمود كعت ألا أن تقطع يده وهذا أولى به فقال له أسكيا أنشدك بالله هل يجوز قطع يده على هذا فقال كيف لا يجوز قطع يد من وقف عرفة وطاف الكعبة ووضعها على الحجر الأسود ثم وضعها على الركن اليماني ورمى بها الجمرتين ثم زار الرسول ﷺ ووضعها على قبر أبي بكر وعمر ، ثم لم يكتف بهذه المزايا والفضائل والمحامد كلها حتى أتاك يصافحك بها لتعطيه غرضاً قليلاً حيثما من أعراض الدنيا ، بل حق هذه اليد أن يضمن صاحبها بها ويحفظها من النجاسة ولا يرضى أن يصافحك بها قلماً صافحك بها ظنتها ختمت لها بسوء الخاتم ، ونعوذ بالله من ذلك . محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ .

(١) المصدر السابق ، ص ١١٣ .

(٢) وكان هذا النقد عندما قال له الفقيه : عجبت منك حين دخلت عليك وما حسبتك إلا مجنوناً رذيلاً سفياً حين رأيتك تبصق في أكمام قمصان والناس يحملون على رؤوسهم التراب لك ، فضحك الاسكيا وقال : ما كنت مجنوناً أنا بعقلي ولكن كنت رئيس المجانين الفاسقين المتكبرين ، ولذلك جعلت نفسي مجنوناً وأدخلت الجن على نفسي تخويفاً لهم لئلا يتعدون على المسلمين ، أنظر محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١١٤ .

محمد بنغيع وأخيه أحمد بنغيع^(١) في كاغ . وبقي الفقيه أحمد بن محمد عنده فأمر الأسكيا بطعامه وناشد الفقيه أحمد بالله أن يأكل معه فأجاب فأكل ، ثم خرجا لمقابلة الفقيهين ، وعندما شهدهما أنكب على رأسيهما يقبلهما وحياهما بأحسن تحية وإكرام مع ضيافة عظيمة وزيارتهما كل ليلة إلى رجوعهما بالمنح التي زودهما بها^(٢).

وكان لفقهاء المالكية مواقف خاصة في الأزمات التي تعرضت لها صنغي ، وبخاصة في أواخر عهد الأساكي فعندما تعرضت البلاد إلى الحملة المغربية وبسبب مواقفهم المؤثرة داخل المجتمع أرسل المنصور السعدي مع جودر باشا عام ٩٩٨هـ / ١٥٨٩م^(٣) عندما دخل مدينة تنبكت رسالة إلى قاضيها الإمام العلامة أبي حفص

(١) بعدما رفضا منصب القضاء وألح عليهما في ذلك ولكنها رفضا وهربا ودخلا المسجد وأقاما به شهورا ويأتي رسل أسكي كل يوم إلى أن عفي عنهما ثم قال لا أعفو حتى يأتياي إلى كاغ ونتبرك برويتهما فخرجوا إليه وخرج معها الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد وبالفعل ذهب إليه الفقيه أحمد بن محمد وحده وترك الفقيهين المذكورين بمرسى كاغ ودخل عليه والتقاء في مجلس الجمعة على عادتهم وعبيده الخصيان واقفون على رأسه وكانوا نحو سبعمائة وعلى كل واحد منهم لباس الحرير ، وإذا أراد أسكيا أن يبصق أو يتفل أسرع إليه بعض الخصيان وبأسطاً له كفه ليبصق فيه ثم يمسح فاه من النخام ، ودخل الفقيه وتلقاه الاسكيا بالترحيب حتى كاد أن يقوم لملاقاته إلا أنهم أذا جلسوا على سريرهم في ناديم يوم الجمعة أو يوم العيد لا يقومون لأحد ولا يجلس أحد معه على سريره ، ثم أمر بإخراج الناس فأخرجوا ليخلوا بذلك الفقيه فلما انفرد به قام إليه وحمل حصير الصلاة بيده وفرشه له وأجلسه عليه وحمل إليه الوسادة وقبل يده ومسح وجهه بها ثم أخبره الفقيه بمكان الفقيهين بالمرسى وفرح الإسكيا بهما كثيرا ، ثم امر الفقيه الفع بكر الإنباري أن يأتيهما هنالك وأسرج الفرسين ليركبوهما وفعلوا وسمى لهم بيتا يتزلون فيه ، أنظر محمود كمت : مصدر سابق ، ص ١١٤ ، ص ١١٥ ، p١٥٥ ، Levztzion,N:op cit

(٢) محمود كمت : مصدر سابق ، ١١٥ .

Stephen Charles Cory: The Caliphate and political Legitimacy In Early Modern Morocco, A Dissertation submitted in partial satisfaction of the requirements for the degree of doctor of philosophy in History, University of California Santa Barbara, ٢٠٠٢, p١٤.

عمر بن الشيخ سيدي محمود بن عمر أقيت ، يبرر له أسباب الحملة ، وأن يحض الناس على الدخول في الطاعة ولزوم الجماعة^(١) ، لان هذا لا يحدث إلا بمساعدة الفقهاء .

وفي بداية حكم المغاربة حدثت الفتنة بين أهل تنبكت وبين القائد التركي ، فتدخل القاضي أبو حفص عمر بن محمد بن محمود أقيت ، وطلب الشفاعة من الأمير المغربي لمجموعة من أهل تنبكت ، وانتهى الأمر بقبول الأمير شفاعته لعظم قدره وعقد الصلح بين القائد وأهل تنبكت^(٢) .

وهكذا ارتفعت منزلة فقهاء المالكية بفضل توقيير حكامُ صنغي لهم واعترافهم بدورهم في حماية الملة ويفضل هذه المكانة أسندت إليهم العديد من الوظائف والولايات الدينية التي ستعرض لها .

(١) القشتالي : "أب. فارس عبد العزيز القشتالي المتوفي عام ١٠٣١هـ / ١٦٢١م" مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء ، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الكريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ١٩٧٧م ، ص ١٣١ ، ص ١٣٣ .

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

٢. الخطط والولايات التي تولاها فقهاء المالكية في السودان الغربي :

أ. خطة الكتابة^(١) :

اعتبر ابن خلدون خطة الكتابة إحدى الصنائع التي تؤدي إلى مخالطة الملوك، فأصبح لها بذلك شرف ليس لغيرها^(٢). وتبرز أهمية الكاتب في المرحلة التي يشب فيها عود الدولة ، ويشرع خلالها الأمراء في تحصيل ثمرات الملك من الخراج و الجبايات وغيرها ، وعندئذ يصبح أرباب الأقلام أوسع جاها وأعلى رتبة وأعظم نعمة وأقرب من السلطان مجلسا وأكثر إليه ترددا^(٣).

وكان رجال الدين يعتبرون طبقة من المتخصصين أساسا في فن الكتابة، ويمتلكون نظامهم الخاص بهم ، كما كانت خطة الكتابة تتجه إلى أن تكون وراثية^(٤). وقد تجلت حاجة دولتي مالي وُصْنغى للكتابة من أجل توجيه الأوامر للرعية وكتابة الرسائل والإشراف على جباية الموارد وما يتطلبه ذلك من حسابات ، فضلا عن نقل أخبار المعارك . لذلك كان من الطبيعي أن يحتل الكاتب مكانة مرموقة في سلم الهرم الوظيفي ، وأن تشمل رعاية الأمراء سواء في دولة مالي أو دولة صُنغى ،

(١) تشبه وظيفة الكاتب في عدة وجوه وظيفة كاتب الديوان التي كان لها أصولها وقواعدها ولاسيما في العصر العباسي الأول عندما اقترنت باسم عبد الحميد الكاتب ، أما في السودان الغربي عامة وفي تنبكت خاصة فقد اقترنت باسم كاتب موسى الذي تولى هذه الوظيفة في عهد السلطان منسا موسى ، وهي الوظيفة التي انحصرت في حل قرارات الحاكم إلى أقاليم دولته المختلفة ، والقيام بالأمور الكتابية الخاصة بالعلاقات الداخلية ، أنظر مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، ط١، ١٩٤١هـ / ١٩٩٨م ، ص ٥٢٨.

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٠٧.

(٣) المصدر السابق : ص ٣٠٨.

Triminghaam J.s :Islam in west Africa ,p٩٧.

(٣)

Levtzion,N:op,cit,p ٨٨.

ولذلك وضعت شروط ومواصفات صعبة لاختيار الكاتب حددها ابن خلدون^(١) بأن يختار "من أرفع طبقات الناس ، وأهل المروءة والحشمة منهم ، وزيادة العلم وعارضة البلاغة ... والقيام على الآداب والتخلق بالفضائل ... وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها".

وقد عرفت خطة الكتابة في مملكة مالي حيث كان الكاتب يساعد الفاربا^(٢) وينفذ أوامره، وكانت مهمة الفاربا تتلخص في السهر على حفظ الأمن والنظر في الأمور الإدارية ، ويساعده في عمله كاتب ينفذ أوامره . وحسبما يظهر من كلام ابن بطوطة فإن هذا الكاتب غالبا ما يكون فقيها عارفا بشئون الإنشاء وقواعد الشريعة الإسلامية^(٣).

ومن المؤسف أن المصادر لم تحفظ لنا سوى اسما واحدا ممن تولى خطة الكتابة في دولة مالي وهو كاتب منسا موسى^(٤) الذي رحل إلى فاس لتعلم العلم بأمر من السلطان منسا موسى سلطان دولة مالي الإسلامية^(٥).

كما لم تذكر لنا كتب المصادر سوى ثلاثة أسماء من كتاب دولة صنغى ، أولهم الكاتب إبراهيم الخضر^(٦) وكان في عهد سني على الذي رتبته كاتبا لديه إلى اليوم

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩.

(٢) الفاربا : هو نائب عن الملك في الإقليم الذي كانت مهمته تتلخص في السهر على حفظ الأمن والنظر في الأمور الإدارية ، فمثلا فريا سليمان الذى قبله ابن بطوطة ولقى عنده فقيها كاتبا يكتب له ، وهو الذى كتب له ما يريد وعرضه على فريا سليمان وهو بالقرب من مدينة تنبكت ، أنظر ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٦.

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٧٧.

(٤) هو : الإمام سيدي أحمد كان رحمه الله عالما عادلا رحل من أرضه إلى فاس للتعليم في دولة أهل مالي بأمر السلطان الحاج كنتك موسى أنظر ، الأروانى : السعادة الأبدية ، ص ١٢٣.

(٥) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٥٧.

(٦) إبراهيم الخضر وهو فاسى جاء لتبكت وسكن فيه في حومة الجامع الكبير ، في زمن سني على ، أنظر السعدي : تاريخ السودان ، ص ٦٨.

الذي أنقلب عليه وأمر سني على بقتله وأخذ جميع أمواله فنفذ أمره ولكن الخداء أخفوه عن أعين سني على ولم ينفذوا أمره إلى أن جاء اليوم الذي احتاجه فيه سني على حيث جاءت له رسالة ولم يكن عنده قارئ ليقوم بقراءة ما فيها فقال سني على " إن كان إبراهيم حيا لم نتوكل في هذا الكتاب " فقالوا له إنه موجود وهو حي أخرناه فأمر بإحضاره فقرأ الكتاب وردده إلي خطته وأعطاه ضعف ما ضاع له من المال وظل في خطة الكتابة بعد وفاة سني على وجمي عهد أسكيا الحاج محمد الكبير الذي أبقاه في مقامه عزيزا مكرما إلى أن توفي فخلفه ابنه حوي الذي كان كاتباً لناظر أسكيا في تنبكت وكان في رتبة وقدر عظيم^(١).

ثم ذكرت المصادر الكاتب على بن عبد الله بن عبد الجبار اليمنى و الذي كان يعمل كاتباً لدى الأسكيا الحاج محمد الكبير^(٢) ، وأشهده الأسكيا محمد الكبير على كتابة وثيقة عدم التعرض للشريف أحمد الصقلي هو ورهطه الذين جاءوا معه بالإضافة إلى ذريتهم في شئ من أمور السلطنة كما لهم الشفاعة في كل شئ إلا النفس التي حرم الله^(٣).

كما أمر الأسكيا الحاج محمد الكبير كاتبه عبد الله بن على بكتابة وثيقة حفدة الشيخ مور هوكار^(٤) الذين اشتكوا للأسكيا الحاج محمد البؤس والشدة التي عاملهم بها سني على . فأمر الأسكيا محمد كاتبه أن يكتب لهم وثيقة الحرمة التي يسرون بها في البلاد ليحموا بها أعراضهم وأشهد عليها كاتبه هذا ، وكذلك القاضي إسماعيل

(١) المصدر السابق ، والصفحة .

(٢) محمود كعت : الفتاش ، ص ١٥ ، ٧٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٨ ، ١٩ . وأنظر نص الوثيقة في الملاحق .

(٤) وهم مور الصادق ، مور حبيب ، مور محمد أنظر المصدر السابق ، ص ٧٢ .

بن محمود كعت^(١) وكان هذا الكاتب من أصحابوا الأسكيا الحاج محمد في رحلة حجه^(٢).

كما ذكرت لنا المصادر الكاتب الفقيه بكر الأنباري^(٣) الذي تولى خطة الكتابة على عهد الأسكيا داوود وهو الذي قام بكتابة وثيقة العتق لأولاد وأحفاد السيدة العجوز التي جاءت للأسكيا داوود لحاجة لها عنده^(٤). كما قام هذا الفقيه بتبليغ الاسكيا داوود رسالة القاضي محمود كعت الذي طلب منه أن يعينه على متطلبات فرح أبنائه الذكور والإناث^(٥). كما كان الفقيه بكر الأنباري ممن كتب وشهد على إعطاء الدية لابن القاسم بن مزاور الشريف الونكري لقتل الأسكيا داوود أخيه عن طريق الخطأ^(٦). هذا بالنسبة لخطة الكتابة التي تولاها عدد من فقهاء المالكية في دولة مالي الإسلامية وكذلك دولة صنغى الإسلامية.

(١) المصدر السابق : ص ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥.

(٢) المصدر السابق : ص ١٦.

(٣) هو الفقيه بكر الأنباري وكان يلقب بأسكي الفع بكر أنبار، أنظر، المصدر السابق، ص ١٤٧.

(٤) "جاءت هذه العجوز إلى الاسكيا داوود وطلبت منه أن لا يفرق بين أولادها وأحفادها وأسباطها البالغ عددهم سبعة وعشرين إذا باعهم أو وهبهم أن يكونوا لشخص واحد حتى لا يتفرقوا فأجابها بأنه أعتقهم شكرا لله ثم قالت له أريد منك أن تكتب لهم وثيقة بشهادة هؤلاء الجلساء الصالحين خوف دوران الزمان وانقلاب الأحوال وتغير الأمور ونادي على كاتبه ليكتب لهم وثيقة عتقهم وهو الذي أستنطق الأمة العجوز بأن تذكر أسماء أولادها فكتبهم في ذلك المجلس بشهادته وشهادة من حضر " أنظر محمود كعت : مصدر سابق، ص ١٠٣، ١٠٤.

(٥) محمود كعت : الفتاش، ص ١٠٨.

(٦) وكانت هذه الدية عن قتل أخي الشريف ابن القاسم مزاور وكانت عبارة عن أراضي في ثلاثة أماكن وكل مكان كان يساوي مائتي نفس، لأنه لم يستطع أن يستغفر لهذا الذنب بسفرة للحج والاستشفاع برسول الله ﷺ، أنظر محمود كعت : الفتاش، ص ١١٦، ١١٧.

وإذا كانت المصادر لم تقدم لنا إلا عددا قليلا من فقهاء المالكية في دولة مالي الإسلامية وكذلك دولة صُغى الإسلامية ممن تولوا خطة الكتابة فإن هذه المصادر قد أمدتنا بمعلومات وافية عمن تولي خطة الفتيا والقضاء في هاتين الدولتين .

ب - خطة القضاء والفتيا:

يعد منصب الإفتاء والقضاء من أشرف وأجل المناصب ، وكان رسول الله ﷺ أول من تولى منصب الإفتاء والقضاء في أمته ، ثم جاء من بعده الصحابة والتابعون ، ثم أئمة المسلمين وفقهاؤهم . وكان المفتون والقضاة محل تقدير وتبجيل بفضل مهمتهم الجسيمة في تبليغ الأحكام الشرعية ،^(١) ولذلك أجمع العلماء على أن الفقيه لا يتبوأ خطة الإفتاء أو خطة القضاء إلا إذا توفرت له شروط ومؤهلات معينة^(٢) . ومن أهم هذه الشروط هي تلك التي تتعلق بالجانب العلمي ، حيث يجب أن يكون عالماً لأن المطلوب منه أن يبين الحق وهو الحكم الشرعي المتعلق بالعبادة أو المعاملة^(٣)

(١) وكان الإمام مالك يكره التسرع في الفتوى ونقلت عنه أخبار كثيرة في هذا المجال ، منها قوله : " جنة العالم لا أدري فإذا أخطأها أصيبت مقاتله " وقوله : " من أحب أن يجيب عن مسألة فليعرض نفسه قبل أن يجيب على الجنة والنار ، وكيف يكون خلاصه في الآخرة ثم يجيب " أنظر فتاوى الشاطبي ص ٨٠ ، يرى الشاطبي : (أبو إسحاق بن موسى بن محمد اللخمي الشهير بالشاطبي المتوفى عام ٧٩٠هـ ١٣٨٨م) سوهو من كبار الفقهاء المجتهدين ، كان شديدا على أهل البدع ، أنظر، أحد بابا : كفاية المحتاج ، ج١ ، ص ٩١ .

(٢) قال الإمام مالك : (لا ينبغي للعالم أن يفتي حتى يراه الناس أهلا لذلك ، ويرى هو نفسه أهلا لذلك) ، أنظر القرافي : الفروق ، مطبعة دار المعرفة بيروت ، ج٢ ، ص ١١٠ .

(٣) ويشمل هذا الشرط :

أ - معرفته بكتاب الله عز وجل (بناسخة ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وتأويله ، وتنزيله ، ومكيه ومدنيه ، وما أريد به) أنظر ، ابن القيم الجوزية : أعلام الموقعين ، ج١ ، ص ٣٥ ،

ب - وكذلك معرفته بسنة رسول الله ﷺ بحيث يعرف من الحديث < مثل ما عرف من القرآن > أنظر نفس المرجع والصفحة

وكذلك اهتم العلماء ببعض الشروط الأخلاقية إلى جانب الشروط العلمية لمن يتولى خطة الفتيا أو القضاء حيث نجدهم يلحون على عدالة من يتولى مهمة الإفتاء والقضاء^(١) . وإن كانت الشروط المتعلقة بالجانب العلمي وبالجانب لإخلاقي متوفرة و موجودة فهي غير كافية لقيام الفقيه (المفتي والقاضي) بواجبه على أحسن وجه ما لم تكن له قريحة^(٢) وما لم يمتلك ملكة الإفتاء والقضاء والتمكن من التصرف في مخزونه المعرفي فيحسن تطبيق ما يعرفه من كليات علم الفقه على جزئيات الوقائع التي تعرض عليه ، وهو أمر عسير على كثير من الناس^(٣) وهذا لا يكتسب إلا بالدراسة والتجربة . كما يجب أن يكون الفقيه (المفتي - القاضي) على دراية واطلاع على كتب الفتاوى والنوازل ليعرف من خلالها كيفية تطبيق الأحكام على

ج - معرفته باللغة العربية وعلومها ، ومعرفته كذلك بالفقه وأصوله -وذلك يكون محكما لأبواب الفقه ، مستحضرا لنصوص المذهب الذي يفتي به) مع التمييز بين العام والخاص ، والمطلق والمقيد ، عارفا باصطلاحات العلماء . ويكون متقنا لقواعد الأصول إتقاناً يمكنه من تنزيل الأحكام على القضايا ، وإدراج الجزئيات تحت الكليات .

د - وكذلك تكون معرفته بأحوال الناس ، حتى يكون عارفا بظروف المجتمع ، مطلعاً على عادات الناس وأعرافهم وحيلهم ومكايدهم (فإن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعوائد والأحوال) ، أنظر ابن القيم الجوزية : مصدر سابق ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

(١) كما رواه أبو داود الطيالسي من حديث عائشة رضي الله عنها أنها ذكر عندها القضية فقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقضي بين اثنين في غمرة قط " ابن القيم الجوزية : مصدر سابق ، ص ٣٦ .

(٢) ابن الجوزية : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٠ ، ، وما يدل على كمال الفقيه (المفتي والقاضي) العدول عما سئل عنه إلى ما هو أنفع للمستفتي في دينه مع بيان المسؤل عنه ، وإجابة السائل بأكثر مما سأل عنه ، وإذا كان الجواب يقتضي منع المستفتي من شيء تدعوه الحاجة إليه فعلى المفتي أن يدلّه على عوض وبديل له ليفتح له الباب المتاح ، والإفتاء بلفظ النص وتعزيز الحكم الذي يفتيه بحجته ودليله ، أنظر ابن الجوزية : أعلام الموقعين ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ١٧٢ ، ص ٢٦٠ .

(٣) الشاطبي : فتاوى الشاطبي ، ص ٧٥ .

القضايا الجزئية^(١) ويضاف إلى ذلك صفات يجب أن يتصف بها الفقيه (المفتي - القاضي) كالرصانة والتثبت في الإفتاء والإحكام^(٢).

هذا ولم يكن عند أهل السودان الغربي قانون مدون قبل الإسلام يحدد نظام الإفتاء والقضاء، بل كانوا يتحاكمون بما توارثوه عن أسلافهم من أساطير وتقاليد وأعراف منتشرة بينهم، وكانت هذه التقاليد والأعراف عندهم بمثابة قوانين ثابتة لا يجوز مخالفتها وكان الإفتاء والقضاء مبنيين على تلك التقاليد والعادات المحلية، وكان نظام الإفتاء والقضاء عندهم عن طريق الملك وكاهن المعبد فهو يستفتيه في الأمور ويقوم هو (الملك) بتنفيذ ذلك الأمر لأنه هو الذي يملك سلطة التنفيذ^(٣).

ومنذ أن كرم الله أهل هذه البلاد وسخر لها همم المؤمنين لنشر دينه الخفيف بين ربوعها كان أهلها وحكامها يسألون ذوى العلم من الفقهاء عن أمور دينهم، ويستفتونهم حول تحكم ما ينزل بهم في حياتهم من أحداث ووقائع^(٤) وكان هؤلاء

(١) محمد بن الحسن الحجوى: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي مطبعة المكتبة العلمية، المدينة المنورة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م، ج٤، ص ٤٢٨.

(٢) رواه الدرامي في سنته، في باب الفتيا وما فيه من الشدة، ونصه: "أخبرنا إبراهيم بن موسى، حدثنا ابن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب، عن عبيد بن أبي جعفر قال: رسول الله ﷺ "أجراكم على الفتيا أجراكم على النار" أنظر سنن الدرامي ج١، ص ٥٧، دار إحياء السنة النبوية.

(٣) "بعلبي عودة الأسكيا محمد من الحج في عام (٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م) أراد أن يغزو بلاد الموش التي ظلت على وثنيتها وعلى عاداتها وأعرافها الوثنية القديمة، فأرسل إليهم رسولا يعرض عليهم الدخول في الإسلام، فأجابه كبيرهم بأنه لا يستطيع الجواب قبل استشارة كاهن المعابد، فتودي على هذا الكاهن الذي ذهب إلى كبير الأصنام يستطلع رايه بحضور رسول الأسكيا وملك الموش، وقد كان الجواب الذي أستطلعه الكاهن الكبير من كبير الآلهة، أن على ملك الموش أن لا يفرط في عبادة الأجياد" ولهذا رفض الملك طلب الأسكيا بالدخول في الإسلام، وهذا يظهر أن السودانيين قبل اعتناق الإسلام، كانوا يستشيرون ويستفتون رأى الكهنة في كل ما يقدمون عليه - للسعدي: مصدر سابق، ص ٧٤، وكذلك أنظر عبد القادر زبادة: أسئلة الاسكيا وأجوبة المغيل، ص ١٧٠.

(٤) أنظر السؤال الأول من أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيل عليها: عبد القادر زبادة، الحضارة العربية

الفقهاء (المفتون والقضاة) يقومون بالرد عليهم من خلال مصادر التشريع الإسلامي وخاصة كتب الفقه المالكي المعتمدة في الإفتاء والقضاء^(١).

ويعد منصب القضاء من أهم المناصب التي تولاها فقهاء المالكية في دولتي مالي وُصْنُغِي، وكان من أشهر قضاة دولة مالي الإسلامية القاضي أبو عباس الدكالي الذي شغل خطة القضاء بعاصمة مالي أيام السلطان منسا موسى، وكان هذا الفقيه قد أقام بمملكة مالي مدة طويلة وكان يشغل خطة القضاء بعاصمة مالي. كما تولى خطة القضاء الفقيه القاضي كاتب موسى الذي أرسله السلطان منسا موسى إلى فاس للأخذ عن فقهاء فساد شعلة من العلم وتقلد منصب القضاء بتنبكت، والفقيه القاضي محمد الكابري الذي توطن مدينة تنبكت وتولى القضاء بها وتوفي بها، وتقلد أيضا الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن وانسول خطة القضاء في مدينة كوكو، كما كان الفقيه القاضي عبد الرحمن قاضيا في نياني العاصمة أيام منسا سليمان^(٢) وفي أواخر دولة مالي تولى الفقيه المفتي الحاج جد القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر بن الحاج^(٣) خطة القضاء بتنبكت وهو أول من أفتى وأمر الناس بقراءة

والتأثير الأوروبي في أفريقيا الغربية جنوب الصحراء، دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩م، ص ١٦١، ١٦٢، ١٦٣.

(١) ومنعوا الفتوى من الكتب الغربية التي لم تشتهر حتى يعلم صحة ما فيها، وكذلك الكتب الحديثة التصنيف التي لم يتم تحقيق نقولها عن الكتب المشهورة، أنظر السيوطي: الحاوي للفتاوى، ج١، ص ٣٤٠.

(٢) هو من السودان، كان قاضيا في نياني العاصمة أيام منسا سليمان، لقيه ابن بطوطة وأثنى عليه كثيرا، أنظر، ابن بطوطة: مصدر سابق، ص ٦٧٤.

(٣) هو: الفقيه القاضي: "عبد الرحمن بن أبي بكر بن الحاج" ومن نسل هذا الفقيه القاضي علماء آخرون تولوا مناصب القضاء والتعليم في مناطق أخرى من مدن السودان الغربي من قبل أسبكي الحاج محمد، السعدي: تاريخ السودان، ص ٢٨، البرتلي: فتح الشكوك، ص ٨٨، ٨٩، الارواني: السعادة الأبدية، ص ٨٢.

نصف حزب من القرآن للتعليم في مسجد سنكرى بعد صلاة العصر وصلاة العشاء

وهذا يدل على أن القضاة في دولة مالي كان أغلبهم من المغاربة ، والقليل منهم كان من أهل تلك البلاد ، وهذا عكس الحال في دولة صُنغِي ، حيث وصل إلى منصب القضاة العديد من أهل تلك البلاد ، إذ أن خطة الإفتاء والقضاء كمنصب رسمي لم تظهر وتبلغ ذروتها في التنظيم إلا في عهد دولة صُنغِي الإسلامية ، حيث أصبح الفقيه (المفتى، القاضي) له سلطاته الواسعة ، بالإضافة إلى استقلاله في قضاياه^(١).

وقد قام بتنظيم خطة القضاء والإفتاء أسكيا الحاج محمد اقتباسا من المشرق أثناء رحلة حجه الشهيرة عام (٩٠١هـ / ١٤٩٥م) . وفي إطار التنظيمات المهمة التي قام بها في السلك القضائي ، حيث نصب في مدينة تنبكت وفي كل مدينة تستحق القضاء قاضيا^(٢) ، وكان هو الذي يولى منصب قاضي القضاة أو قاضي مدينة تنبكت ومدينة جني ، وهم بذلك تابعون للسلطة المدنية ، أما قضاة الأقاليم فيوليهم قاضي القضاة^(٣) ولذلك كان قاضي مدينة تنبكت يتمتع بمكانة عالية ، ويعتبر قاضيا من أكبر القضاة ، وله مكانة وحرمة خاصة . وعلى الرغم من تبعية هؤلاء القضاة للسلطة المدنية إلا أنهم في أحكامهم التي يصدرونها مستقلون تمام الاستقلال عن أي اعتبار خارج نطاق الأحكام الشرعية المستمدة من روح الإسلام وحده ووفق

(١) محمد الغربي : مرجع سابق ، ص ٣٩٣ .

(٢) كان أسكيا الحاج محمد الكبير هو أول من ولى القضاء في مدينة جني عام (١٤٩٨هـ / ١٤٩٨م) إذ إنه في السابق لم يكن الشرع مطبقاً عند الفصل بين الناس في خصوماتهم وقضاياهم ، بل كانوا يحتكمون إلى خطيب المسجد الجامع الذي يسعى بينهم بالصلح ، السعدي : تاريخ السودان ص ١٨ .

(٣) قاضي القضاة هو قاضي مدينة تنبكت بعد مشاوررة السلطان واتفاق أهل البلد على هذه الولاية السعدي : مصدر سابق ، ص ٧٥ ، ٧٦ .

مذهب الإمام مالك^(١) ، ولذلك كانوا حريصين في اختيارهم على أن يكونوا من الفقهاء البارزين في العلم و المتصلعين في الفقه المالكي ، متمتعين بالورع والصلاح والزهد^(٢).

ولم يكن أحد يتقلد منصب الإفتاء أو القضاء إلا إذا كان أهلا له خوفا من الله ، وخشية من خطورة تلك المسؤولية أمام الله ، وحتى أن كان أهلا لهذا المنصب فإنه كان يرفضه تورعا أيضا^(٣) لذلك كان الفقهاء يتهربون من تولي منصب الإفتاء والقضاء ولا يتولونه إلا بعد إلحاح شديد من الأسكيا^(٤). وكان بعض فقهاء السودان الغربي قد تهربوا من تولي منصب خطة القضاء ، ونرى ذلك بوضوح بعد وفاة القاضي العادل العاقب عام (٩٩١هـ / ١٥٨٣م)^(٥) في مدينة تنبكت ، وظل المنصب شاغراً لمدة عام ونصف العام^(٦) وما تولاها أحد لان أسكيا أرسل في طلب الفقيه

(١) وقد أئتم معاملهم مع المذهب بالسماح الآتية :

أ. التزام نصوص المذهب وعدم الخروج عنها إلى غيرها إلا ما كان على سبيل الاستثناء عند من تبيأت لهم متانة العلم وسعة الأفق من المفتين .

ب. الإفتاء والقضاء بالقول المشهور في المذهب ، وعدم الخروج عنه إلا فيما ندر

ج. طفيان طابع التقليد في الإفتاء والقضاء وندرة طابع الاجتهاد ، أنظر الفكر السامي : ج٤ ، ص ٣١٨ .

(٢) levzion . N : op,cit,p٩٩ .

(٣) ابن القيم الجوزية : مصدر سابق ، ج١ ، ص ٣٦ .

(٤) كان بعض أئمة المذهب المالكي قد بالغوا في التحذير من الدخول في ولاية القضاء وشددوا في كراهية السعي فيها ورغبوا في الإعراض عنها والحرب منها "حتى تقرر في أذهان كثير من الفقهاء و الصلحاء أن من ولي القضاء فقد سهل عليه دينه وألقى يده إلى التهلكة ، ورغب عما هو الأفضل " أنظر ابن فرحون : تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ، ص ١٢ .

(٥) هو : " العاقب بن محمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى التنبكتي قاضي تنبكت (٩١٣-٩٩١هـ / ١٥٠٧-١٥٨٣م) ، أنظر أحمد بابا : نبيل الابتهاج ، ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، محمد مخلوف : شجرة النور ص ٤١٤ .

(٦) تعطل القضاء في تنبكت سنة وخمسة أشهر وقام الإمام محمد بغيغ بالصلح بين الناس دفعا لما بدا بين الناس في ذلك الزمان من الخسارة وأكل بعضهم أموال بعض وضياع أموال الأيتام ، وكان إذا صلى

أبى حفص عمر بن الفقيه محمد المتوفى عام (١٠٠٦هـ / ١٥٩٧م) ليتولى هذه الخطة أكثر من مرة ولم يقبلها الفقيه حتى أرسل له أسكيا رسولا من عنده ليلغنه أنه إذا لم يقبلها سيوليها لجاهل ، وكل ما يحكم به هذا الجاهل يسأل عنه أمام الله تعالى ، وعندما وصل هذا الرسول إلى الفقيه عمر وأبلغه رسالة الأسكيا قبل خطة القضاء وهو يكي وكان هذا في عام (٩٩٣هـ / ١٥٨٥م)^(١).

وهناك واقعه أخري تدل علي تهرب فقهاء المالكية من ممارسة خطة القضاء ، وعلي حرص وحب الاسكيا محمد للفقهاء ومتابعته لهم لكل ما يتعرضون إليه من مضايقات ومن ذلك ، عندما قام الفقيه القاضي محمود بن عمر بقضاء فريضة الحج وترك القضاء من بعده للقاضي عبد الرحمن ، ثم عاد ومكث في تنبكت سنتين والقاضي عبد الرحمن يقضى ومارد القضاء للقاضي محمود الذي استتابه ، والقاضي محمود ساكت ولم يتعرض له إلى أن وقعت نازلة في مجلس القاضي عبد الرحمن وحكم فيها بما حكم به ، وسمع بذلك الفقيه القاضي محمود وأرسل إليه ينقض هذا الحكم لمخالفته بنص الكتاب والسنة والإجماع فأبى إلا إنفاذه ، وسكت الشيخ فبلغ الخبر أسكيا محمد الذي أرسل رسله ليردوا الحكم للقاضي محمود ويعزلوا عبد الرحمن ، وجاء الرسول وأجتمع علماء تنبكت و فقهاؤها في جامع سيدي يحيى ونادوا القاضي بأمر أسكيا فحضر وقال له الرسل : أسكيا يأمرك بأن تسلم الأمر للقاضي محمود لأنك نائبه ، وإذا حضر المنيب فالتائب معزول ، ثم عزلوه وأتوا القاضي محمود بأمر أسكيا بأن يرجع إلى مكانه ويتولى القضاء فأبى وامتنع وألحوا

الصبح يجلس بباب مسجد سيدي يحيى ويحضر بعض طلبته ويقول رحمه الله من له حق على من أمتنع به فليأت فجعل الناس يأتونه بدعواهم وليحكم بينهم فيأمر وينهى ويسجن ويضرب من يستحق الضرب ، أنظر محمود كعت : الفتاوى ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(١) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٢٤ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ١١٨ ، البرتلي : فتح الشكوك ، ص ١٧٨ . عندما سمع بأمر الاسكيا بتولية القضاء خرج هاربا إلى بعض القرى من بلاد أترم ، ثم رجع كامنا حتى ظفروا به .

عليه ، فلما سمع أسكيا برفضه و امتناعه أرسل إليه كبراء قومه فلم يقبل إلا بعد ما غلبوه بالحجج^(١).

وبين أيضا تهرب الفقهاء من خطة القضاء والإفتاء ما حدث مع الفقيه محمود بغيغ^(٢) المتوفى عام (١٠٠٢هـ/ ١٥٩٢م) والذي أرسل أسكيا إسحاق أحد أعيانه من الجيش ليقدمه قاضيا أحب ذلك أم كره ، فأتى رسول الأسكيا وجمع أهل جني وفقهاءها وسلطانها ، كما أحضروا الفقيه محمود بغيغ وهو لا يعلم لماذا حضر؟ فأخذوه وأمسكوا به وألبسوه قميص أسكيا الذي أرسله إليه في عنقه في عام (٩٥٩هـ/ ١٥٥١م) ، وعندما عرف الفقيه محمود أمر توليه خطة القضاء ظل يصرخ ويكي بكاء الصبي وقدموه جبرا وقرأوا عليه كتاب أسكيا، وبأمره أعطوه فرسا وحملوه إلى داره ، فلما دخل بيته استقبلته زوجته وقالت له لم رضيت القضاء فقال : لم أرض بذلك ! وإنما أجبروني به وكلفوني ، فقالت : " لو اخترت الموت عليه لكان أحسن منه " ^(٣).

ومن ذلك أيضا عندما طلب أسكيا داوود من الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد سبط القاضي محمود بن عمر المتوفى عام (٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م) أن يقنع كل من الفقيه محمد بغيغ وأخيه الفقيه أحمد بغيغ المتوفى عام (٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م) أن يتولى أحدهما قضاء مدينة جني وتوابعها ، وطلب أسكيا داوود من العلماء والأعيان في مدينتي جاو و تنبكت محاولة إقناعهما، ولكنهما أصرا على رفض تولي خطة القضاء . فلما زاد الإلحاح عليهما وتشفع فيهما الناس فأبى أسكيا وتشدد في ذلك حتى هربا ولجأ إلى

(١) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٧٥ ، ص ٧٦ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ٧٦ .

(٢) هو محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي عرف "ببغغ" (١٠٠٢-٩٣٠هـ/ ١٥٢٣-١٥٩٣م) أنظر أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ . كان الفقيه محمود بغيغ يفصل (يفتي) بين المولدين والمسافرين ، السعدي : تاريخ السودان ، ص ١١٨ ، البرتلي : فتح الشكور ص ١١٣ .

(٣) محمود كعت : الفتاش ص ١١٥ ، البرتلي : فتح الشكور ، ص ٢٨ .

المسجد الجامع وأقاما فيه شهورا وأثناء ذلك كان يأتيهما رسول أسكيا يوميا فلما رأى إصرارهما على الرفض سكت عنهما^(١).

وتكرر رفض الفقهاء لخطة القضاء ، ففي عهد أسكيا إسحاق عندما عرض هذا السلطان خطة القضاء على الفقيه عثمان درم ليتولى هذا الأمر على بلده تندرم ، ولكن الفقيه عثمان رفض هذا المنصب ولم يقبله إلا قهرا بعد مناقشات ومد وجزر^(٢) . وبعد موافقة الفقيه على تولي خطة القضاء ، يتم تنصيبه عقب صلاة من الصلوات الخمس في المسجد الجامع على مرأى من الناس بحضور الملك في ذلك اليوم المشهود ، ويأتي الفقيه الذي يريد الملك تنصيبه لخطة القضاء فيقلده هذا المنصب^(٣) .

ويحلف الفقيه أمام الملك بالله أو باسم من أسمائه الحسنى أنه سيلتزم في أحكامه بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ وخلفائه من بعده ، واجتهادات أئمة العلم من بعده ، وأنه لا يخاف في الله لومة لائم^(٤) ثم يقول الفقيه : "القوى عندي ضعيف حتى يؤخذ الحق منه ، وكذلك الضعيف عندي قوى حتى يستوفى له حقه " وعقب الحلف يقلده الملك خطة القضاء^(٥) .

وكان يعاون القاضي في أداء عمله العديد من فقهاء المالكية منهم من كان يتولي وظيفة متولي الشرع ، وهي حصر التركة بعد موت أي شخص له أملاك ، وكذلك كان هناك وظيفة شهود القاضي وهم من الفقهاء الذين يوقعون مع القاضي على الوثائق كوثائق الصلح الذي يعقد بين الجماعات السياسية المتخاصمة . كما كان

(١) المصدر السابق ، ص ٩٠ .

(٢) المصدر السابق والصفحة .

(٣) ما حدث مع الفقيه محمود بغيغ ، محمود كعت : الفتاوى ، ص ٩٠ .

(٤) أنظر محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٥) أبو بكر إسماعيل ميقا : مرجع سابق ، ص ٢٨٠ .

للفقيه القاضي أعوان يرسلهم للسلطة إذا لزم الأمر ويقومون كذلك بإيصال رغباته وأحكامه وفتاويه إلى السلطان إذا لزم الأمر^(١).

كما كان هؤلاء القضاة يقومون بمراعاة المساكين وتولى الأحوال المدنية مثل تسجيل المحررين من العبيد ، والنظر في تقسيم التركات والميراث كما كان من مهام القاضي الإشراف على العملية التعليمية ، فكانوا يعينون المدرسين ويساعدون المحتاجين من الطلاب، كما كانوا يقومون بإيواء الطلاب وتوزيع الجراية عليهم وعلى أساتذتهم^(٢).

كما كان من مهامهم تعيين إمام الجامع الكبير في تنبكت ، فقد كان تعيين الإمام يتم على يد القاضي^(٣). وكان من مهام القاضي القيام ببناء المساجد وتوسعة القائم منها للدراسة والصلاة حسبما يراه من حاجة المنطقة إلى ذلك بمساعدة من الملك والمحسنين. كما فعل الفقيه القاضي العاقب بن محمد أقيت^(٤) وكان له دور فاعل واضح في هذا المجال^(٥) فقد قام بتجديد مسجد محمد نض في الفترة ما بين (٩٧٦-٩٧٧هـ/ ١٥٦٧-١٥٦٨م)^(٦) وكذلك تجديد بناء المسجد الذي في سوق تنبكت عام (٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م).

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٢٧٦.

(٢) سيسكو : مرجع سابق ، ص ٢١٣ ، عبد القادر زبادة : مرجع سابق ص ٧٤، ٧٧.

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٦٠.

(٤) نفس المصدر : ص ١٧١، ١٧٠.

levtzion N, op, cit, ٩٦.

(٥) تذكر المصادر أن الفقيه القاضي العاقب قد أنفق من ماله الخاص في بناء هذه المساجد مالا لا يعرف نهايته إلا الله، أنظر محمود كعت : الفتاش ، ص ١٢٢.

(٦) سوزي أباطة : عائلة أقيت وإسهاماتها الثقافية في تنبكت ، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد ٢٦، ٢٠٠٤ م، ص ١٦٨.

. levtzion, N : op, cit, p ١٣٦.

كما قام الفقيه القاضي العاقب في عام (٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م) بتوسيع الجامع الكبير^(١) بالطوب اللبن ، وسوى المقابر القديمة وزادها على المساحة الأصلية للجامع القديم بعد عودته من رحلة حجه . وفي عام (٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م) قام بحركة تجديد وتوسيع في مسجد سنكري^(٢) على غرار مساحة الكعبة بعد أن أخذ مقاس مساحتها من حيث الطول والعرض ، فأستكمل بناء هذا المسجد على غرار مساحة الكعبة وما زاد وما نقص^(٣) عليها في شي^(٤) ، وفي عام (٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م) ابتداء

(١) يقال إن القاضي العاقب محمود بن محمد هو الذي بناه وأنفق على تجديده ، أنظر محمود كعت : الفتاش ، مصدر سابق ، ص ١٢١ ، ص ١٢٢ ، وكذلك السعدي : تاريخ السودان ، ص ١٠٩ ، ١١٠ ، وهو الآن معدوم ومجهول الموضع ، أنظر السعادة الأبدية ، ص ٧٤ .

(٢) السعدي : تاريخ السودان ، مصدر سابق ، ص ١٠٩ ، سنكري : كلمة صнгаوية مركبة من : صن ، ويعني المعلم ، وكري : يعني الأبيض ، أي المعلم الأبيض ، ماهر عطية شعبان : جامعة سنكري في تنبكتو ودورها الحضاري والثقافي في القرن السادس عشر ١٤٩٢ / ١٥٩٠ م ، مجلة الدراسات الافريقية ، العدد ٢٤ ، ٢٠٠٢ م ، ص ٩٠ ، ٩١ . انظر : S . Alpha : Les Familles latuna de Sonkore Cherif , p : ٣٠ , revue Sonkore N ٤ , ١٩٩٣ , Etude sur L'islam au Soudan , p : ٦٢ .

(٣) يقول السعدي عن بناء مسجد سنكري : " فقد بنته امرأة واحدة أغلالية ذات مال كثير في أعمال البر ، ولكن لم نجد لبناته تاريخاً ... ثم جده القاضي العاقب نهاية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، يقول السعدي في إشارة إلى ذلك : " ... وفي يوم الخميس الثاني عشر من المحرم سنة ست وثمانين بعد تسعمائة ، وفي عهد الملك أسكيا داود تم توسيعه وإكمال ما تبقى من بنائه ، وذلك نظرا لازدياد الطلاب الوافدين إليه بكثرة ، واتساع حلقات العلم فيه ، فنال شهرة ضاهت شهرة بعض أبرز الجامعات الكبرى في العالم الإسلامي في تلك الحقبة بل في العالم أجمع . " أنظر السعدي : تاريخ السودان ، مصدر سابق ، ص ١١١ .

Ali Ould Sidi : Monuments and Traditional Know-how: the Example of Mosques in Timbuktu, ISSN ١٣٥٠-٠٧٧٥, No. ٢٢٩-٢٣٠ (Vol. ٥٨, No. ١-٢, ٢٠٠٦) UNESCO ٢٠٠٦ ٤٩ Published by Blackwell Publishing, ٩٦٠٠ Garsington Road, Oxford, OX٤ ٢DQ (UK) and ٣٥٠ Main Street, Malden, MA ٠٢١٤٨ (USA), p ٥١.

الفقيه القاضي العاقب بتجديد وتوسيع مسجد سيدي يحيى^(٦) وانتهى من تلك التجديدات والتوسعات عام (٩٧٧هـ/١٥٦٩م)^(٧) كما قام ببناء مسجد الهنا (٩٩٤هـ/١٥٨٥م)^(٨).

وبعد الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد أندغ محمد^(٩) أشهر من تولى خطة القضاء في دولة صُغنى الإسلامية ، والفقيه عبد الله بن الفقيه أحمد برى^(١٠) والذي كان مفتيا

(١) أنه لما حج وأراد الانصراف والقول إلى تنبكت ، أستأذن خدم الكعبة أن يجد الكعبة ويكيله بقدمه طولا وعرضا فأذنوا له وكالة بالحبل طولا وعرضا ، وجاء بالحبل المكيل ، فلما أراد بناء وتجديد مسجد سنكرى أخرج ذلك الحبل وكال تلك العرضة التي أراد بناءها فيه على الأوتاد على جهاتها الأربع وبني عليها وهو على مقدار الكعبة، ما زادت وما نقصت عليها بشي ، أنظر ، محمود كمت : الفتاش ، ص ١٢١.

(٢) شيد هذا المسجد محمد نفس ، من قبيلة أجرة الصنهاجية ، وحاكم تنبكت من قبل سلطان الطوارق آنذاك السلطان أكل ، أنظر السعدي ص ٢٢ ، ومن المحتمل تشييده حوالي منتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، وعندما جاء إليه صاحبة وحيية الفقيه العالم سيدي يحيى التادلسي المتوفى عام "٨٦٦هـ/١٤٦١م" أكمل تشييد هذا المسجد، وعينة أماما فيه . Ali Ould Sidi . ٥٠ op,cit, (٣) السعدي : تاريخ السودان ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٤) الأروانى : السعادة الأبدية ، ص ٩١ .

(٥) هو : الفقيه أبو عبد الله أندغ محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح معدن العلم والصلاح ومنه تنسل كثير من شيوخ العلم والصلاح منهم من جهة الإباء ومنهم من جهة الأمهات ومنهم من جهتهما معا . فهو عالم جليل قاضى المسلمين ، قال عنة أحمد بابا رحمه الله هو أول من خدم العلم من أجداده فيما أعلم وهو جد جدي لأمة أبو أم جدي (لفظ أندغم حمد من الألفاظ الدالة على التعظيم والتبجيل عند أهل غرب أفريقيا في ذلك الوقت .، أنظر السعدي : المصدر السابق ، ص ٢٧ ، الأروانى : مصدر سابق ، ص ٨٢ ، البرتلى : مصدر سابق ، ص ١١٢ . أبو بكر ميقا : تاريخ التعليم في السودان الغربي ص ١٩٤ .

Lamse kABa , L:op,cit,p٢٤٤

(٦) عبد الله ابن الفقيه أحمد برى بن الفقيه أندغم حمد الكبير ، وهو من ذريته من جهة الأب والأم معا لان أمة أخت الفقيه أبى العباس أحمد بن أندغم حمد، أنظر البرتلى : مصدر سابق ، ص ١٥٨ . الأروانى : مصدر سابق ، ص ٨٦ .

شرعياً في زمانه نابغاً في علوم القرآن وتوثيق الأسانيد . أما شيخ الإسلام أبو البركات الفقيه القاضي محمود بن عمر^(١) والذي تولى القضاء عام (٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م) فشدد في الأمور وسدد وتوخي الحق في الأحكام وكان ذا ثبات عظيم في الأمور وهدى تام وسكون ووقار وكذلك اشتهر علمه وصلاحه في البلاد ، وظهرت ديانتته وورعه وصلاحه وعدله في القضاء ونزاهته وكان لا يخاف في الله لومة لائم مع صلاح ودين ولذلك طار صيته في الأقطار شرقاً وغرباً^(٢).

وتولى خطة القضاء بعد وفاة القاضي محمود ابنه محمد^(٣) الذي تولى القضاء عام (٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م). وقد ساعده على النبوغ في خطة القضاء وغيرها أنه كان ذا فهم ثاقب وذهن صافٍ ، كما كان عالماً جليلاً ولم يكن له نظير في عمره في الفهم والدهاء ورجاحة العقل^(٤).

وكان أخوه القاضي العاقب بن محمود^(٥) والذي كان مسدداً في أحكامه ، صلباً في الحق ثابتاً فيه لا تأخذه في الله لومة لائم قوى القلب في الأمور العظام التي يتوقف فيها غيره ، إذا رأى ما يكره عزل نفسه عن القضاء وسد بابيه ، ثم يلاطفونه حتى يرجع ، وقع له هذا مراراً.

(١) هو: "القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت بن مجيب التبيكتي (٨٦٨-٩٥٥هـ/ ١٤٦٣-١٥٤٨م) أنظر أحمد بابا: نيل الابتهاج ص ٣٥٣، والسعدي: تاريخ السودان ، ص ٣٨، الاروانى : مصدر سابق ، ص ٩٠.

(٢) محمد مخلوف: شجرة النور الزكية ، ص ٤٠٢.

(٣) هو القاضي : "محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت ٩٠٩-٩٧٣هـ/ ١٥٠٧-١٥٨٣م، وهو أحد الإخوة الثلاثة أولاد الفقيه محمود بن عمر ، أنظر أحمد بابا: نيل الابتهاج ، ص ٥٩٧. الاروانى : السعادة الأبدية ص ٩١.

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٥٧٩.

(٥) المصدر السابق ، ص ٣٥٣، ٣٥٤، الاروانى : مصدر سابق ، ص ٩١. محمد مخلوف: شجرة النور ص ٤١٤ . وقد سبق الحديث عنه في إصلاحات المساجد .

كما تولى أخوه القاضي عمر بن محمود القضاء في عام (٩٩٣ هـ / ١٥٨٥ م). بعد رفضه لذلك المنصب ، وقد برع في علم الحديث والسير والتاريخ وأيام الناس ، وقد بلغ الغاية القصوى في الفقه حتى قال عنه بعض من معاصريه من الشيوخ إنه لو كان موجوداً في زمن ابن عبد السلام بتونس لاستحق أن يكون مفتياً فيها^(١). كما تولى ابن هذا القاضي الفقيه عبد الرحمن بن عمر خطة الإفتاء ، وكان يقوم بعمله على أكمل وجه^(٢).

وقد تولى خطة الإفتاء من فقهاء المالكية محمد بن أحمد بن محمد التازختي الذي كان مفتياً محصلاً جيد الحفظ ومتمتعاً بحسن الفهم^(٣) ، وكذلك السيد أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الذي كان فقيهاً مفتياً^(٤).

كما تولى منصب القضاء في مدينة جني فقهاء المالكية ، منهم الفقيه محمد سانوا الونكري^(٥) الذي قدم إلى جني في أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي^(٦) ولعلمه وصلاحه تعدت شهرته مدينة جني حتى وصلت إلى مدينة تنبكت مركز الثقافة الإسلامية. فعندما زار القاضي الفقيه محمود بن عمر مدينة تنبكت في مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي التقى بهذا العالم الفقيه محمد سانوا ، فأعجب بعلمه وصلاحه ، فأثنى عليه للأسكيا الحاج محمد فولاه

(١) هو القاضي : "عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (١٠٠٣ هـ - ١٥٩٤ م) وقد سبق الحديث عنه في تهريب الفقهاء من خطة القضاء ، أنظر ، البرتلي : فتح الشكور ، ص ١٧٨ .

(٢) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٥٧ ، الارواني : مصدر سابق ، ص ٩٢ .

(٣) البرتلي : فتح الشكور ، ص ٦٣ .

(٤) الارواني : مصدر سابق ، ص ٩٣ .

(٥) هو : "الفقيه فودي محمد سانوا الونكري" وكان له أثار جليلة في ازدهار الحياة العلمية في مدينة جني ، أنظر ، السعدي : تاريخ السودان ، ص ٦ .

(٦) المصدر السابق : ص ٧ .

الأخير قضاء مدينة جني عام (٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م بعد عودته من الحج^(١) ، وكان الفقيه القاضي محمد سانوا أول قاضي شرعي يفصل بين الناس في مدينة جني ، بعد ان كان الناس يترافعون بخصوماتهم وقضاياهم إلى خطيب الجامع الكبير فيسعى بينهم بالصلح^(٢) .

كما تولى الفقيه القاضي الصالح محمود بغينغ في عام (٩٥٩ هـ / ١٥٥١ م) قضاء مدينة جني ، بعد وفاة القاضي عباس كب ، وكان هذا في عهد الأسكيا إسحاق بن الأسكيا الحاج محمد الكبير^(٣) .

وكان القضاء في جني يمثل الازدهار والأمن والاستقرار وانتشار الإسلام والثقافة الإسلامية ، وقد ذكر السعدي أشهر فقهاء المالكية الذين تولوا القضاء في مدينة جني في عهد دولة صنغى الإسلامية وفي مقدمتهم محمد سانوا الأول و القاضي محمد فودي ، القاضي كنجي و القاضي تتاع و القاضي سنقم و القاضي عباس كب وقال عنه إنه من أهل جني وكان فقيها عالما جليلا فاضلا خيرا له قدم راسخة في السخاء و القاضي محمود بغينغ ، القاضي عمر ترف و القاضي تلماكلس ، و القاضي أحمد ترف بن القاضي عمر ترف ، و القاضي مؤدب بكر تورى ، وقال عنه إنه كلوي أصلاً من أولاد سلاطينها فزهده في السلطنة، و جليلا ونكرى الأصل تولى القضاء بعد وفاة القاضي مؤدب بكر تورى وهو آخر قضاة دولة السودانين^(٤) .

(١) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٥٩ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ١٨ .

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ١٨ .

(٣) الاسكيا إسحاق : "هو إسحاق بن الأسكيا الحاج محمد الكبير، وقد تولى العرش في (٩٤٦-٩٥٦ هـ / ١٥٣٩-١٥٤٩ م) انظر، السعدي : مصدر سابق ، ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٤) ولكن مع الاسف لم تذكر لنا كتب المصادر الكثير عن هؤلاء القضاة سوى أسمائهم فقط دون ذكر تواريخ أو شئ بالتفصيل عن حياتهم ، أنظر السعدي : مصدر سابق ، ص ٢٠ ، ١٩ .

ج. الخطابة والإمامة :

ظهرت خطة الخطابة والإمامة منذ وقت مبكر في السودان الغربي مع بدايات انتشار الإسلام في تلك البلاد^(١). وقد حظي منصب الخطيب بالتقدير وعلو الشأن فكان لا يتولاه إلا من أتسع علمه واطلاعه وكرم أخلاقه واتصف ببلين العريكة وحسن السيرة، والتقليل من الدنيا مع قلة الطمع فيها. والراجح أن بعض القضاة تولي منصب الخطابة فكان يلقب في أن واحد بلقب القاضي والخطيب^(٢).

وكانت وظيفة الخطيب هي أن يخاطب في الناس واعظا ومرشدا أيام الجمع والأعياد، وكانت مهمته تعتبر من المهام الأساسية في مجتمع السودان الغربي، وكان الناس يحتكمون عنده، وكان يقوم بمهمة القاضي في المدن الصغيرة^(٣).

(١) ضمت غانته منذ فجر تاريخها وحتى قبل أن تتحول حكومتها للإسلام، نحو اثني عشر مسجدا، كما أن القسم الإسلامي من العاصمة كان ممتلئاً بالعلماء والفقهاء والأئمة، أنظر إبراهيم على طرخان: إمبراطورية غانته الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، ص ٨٢.

(٢) يبدو أن منصب القاضي عرف باسم الخطيب أيضا، وهذا يتضح عن الكلام عن الأسكيا إسحاق ومسألة ترشيحه محمود بغيع لمنصب القضاء ما نصه "ثم رجع أسكي إسحاق إلى كاغ، وأدركه في الطريق نعى الخطيب أحمد ترف خطيب جنبي قبل وصله لكاغ، وهو الذي ألفه إسكي إسحاق هناك خطيبا... فأمر بتقديم القاضي محمود بغيع وأرسل أحد أعوانه من جيشه ليقدمه قاضيا أحب أم كره" ، أنظر محمود كعت، الفتاش: ص ٨٩، ويذكر السعدي أن الأسكيا داوود ولي محمد درمي خطيبا سنة ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م، نفس المصدر ص ٩٠، وهناك نص صريح لابن المختار يفيد بأن القاضي والخطيب شيئا واحدا وهو "... وكان أسكيا يوم عزم على الخروج لملاقاة جودار وقتالهم جمع أشياء كاغ وأعيان جيشه والقاضي الخطيب وكبراء شهوده وسألمهم عن الرأي والتدبير أنظر، نفس المصدر ص ١٤٩، ١٥٠.

(٣) سوزي أباطة: القضاء في سنغالي في عهد الأساكي (٨٩٨-٩٩٩هـ / ١٤٩٣-١٥٩١م)، مجلة المؤرخ المصري، دراسات وبحوث في التاريخ والحضارة، قسم التاريخ كلية الآداب جامعة القاهرة، العدد ٢٨، يناير ٢٠٠٥م، ص ٣٥٩.

وقد تولي بعض القضاة منصب الخطابة بالإضافة إلى مهام أخرى ، فقد جمع القاضي أحمد ترف بن القاضي عمر ترف بين منصبي الخطابة والإمامة بالإضافة إلى القضاء فجمع المراتب الثلاث . ثم خرج للحج واستتاب الخطيب إماماً على الخطابة والإمام يحكى على إمامة الجامع والقاضي مؤدب بكر ترورى على القضاء ، وتوفى هنالك وبقي الثلاثة في أماكنهم^(١) .

ومن أشهر من تولى خطة الخطابة الفقيه الواعظ أبو زيد محمود بن عمر الذي كان فقيهاً عالماً فجمع بين الخطابة والتدريس وكان معرضاً عن الدنيا بحيث لم يقبلها ولو في لحظة واحدة^(٢) .

وقد حظي الإمام والخطيب في عصر دولتي مالي وُصنفي برتبة ومكانه اجتماعية عالية فهو إمام المسجد ، كما كانت له ولداده حرمة تضاهي حرمة دار السلطان نفسه^(٣) .

أما بالنسبة لخطة الإمامة فقد كان الإمام يتولي باتفاق أعيان المدينة أو البلدة، وتأتى موافقة القاضي على رأس هؤلاء^(٤) وكان هناك بعض الأئمة يتولون منصب

(١) السعدي : تاريخ السودان ، ص ١٩ .

(٢) في عام (١٥٩٩ هـ / ١٥٩٠ م) فلما صلى بالناس للظهر وجلس في مدرسته قال بالله بالله بالله لتسمعن في هذا العام ما لم تسمعنوا بمثله قط ولترون فيه ما لم تروا قط ، أنظر المصدر السابق ، ص ٤٣، ٥١ .

(٣) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧١ ، محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١١٩، ٩٩ .

ESLIAs N . s : social history of Timbuktu, the role of muslim schoars and notables ١٤٠٠-١٩٠٠, p ١١٣ .

(٤) بعد وفاة الإمام أبو القاسم التواتي ، اتفق أهل الجامع الكبير على الفقيه الإمام أحمد والد نانا سرك ، فرفعوا أمره إلى أبي البركات القاضي الفقيه محمود فكمل عليه وصار أماماً في الجامع ، وبعد شهرين من ولايته جاء ابن أبي القاسم التواتي من توات فمشى أولئك الجماعة إلى الفقيه محمود وقالوا له : نريد أن تجعل لنا ابن الشيخ أماماً فقال لهم بعد تولية الإمام أحمد أن لم تخرجوا عنى أسجنكم جميعاً ، ثم رجع إلى توات ، وبعد سبعة أشهر توفي الإمام أحمد ، واتفقوا على الفقيه الإمام سيد علي الجزولي : وهو

القضاء^(١).

وقد رفض بعض فقهاء المالكية تولي منصب الإمامة مثلما ما حدث مع أحمد بن عمر بن محمد أقيت التنبكتي المتوفى عام (٩٤٢هـ / ١٥٣٥م) الذي طلب للإمامة فأبى ورفض^(٢)، وكذلك ما حدث مع الفقيه أبي بكر بن أحمد بير بن الفقيه محمود الذي كان فاضلا خيرا تقيا صالحا ولذلك اتفق الصالحون على تقديمه للصلاة بالناس حين مرض الإمام القاضي العاقب فقدموه كرها فصلى بالناس الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم خرج هاربا من البلد إلى قرية تنبهور فتوفى هناك^(٣).

كما رفضها الفقيه عثمان بن الحسن بن الحاج التشيتي بعد أن عرضها عليه القاضي عمر، وقال له لا تخرج من يدي حتى تدلني على من يستحقها، فدلّه على الفقيه صديق بن محمد تعل^(٤).

وكانت خطبة الجمعة تلقى باللغة العربية، ثم تعقبها ترجمة باللغة المحلية يليقها مساعد الإمام، وشهد ابن بطوطة في السوق ببالي رجلا بيده رمح يقف ويبين للناس بلسانهم كلام الخطيب^(٥).

من الطوارق فوالة الإمامة القاضي محمود، أنظر السعدي: تاريخ السودان، مصدر سابق، ص ٦٠، وكذلك ما حدث بعد وفاة الإمام عثمان بن الحسن التشيتي تنازع أهل الجامع الكبير في الفقيه كداد والفقيه الإمام أحمد بن الإمام صديق، فأختار القاضي العاقب كداد فرتبه إماما في الجامع الكبير ومكث في الإمامة أحد عشر عاما، وتوفى ٩٨٩هـ، أنظر البرتلي: فتح الشكور، مصدر سابق، ص ١٠٨، وتولى بعده الإمام أحمد بن الإمام صديق الذي تولى الإمامة بأمر القاضي العاقب ومكث فيها خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام، وتوفى عام (١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م)، الارواني: السعادة الأبدية، ص ٩٧.

(١) السعدي: مصدر سابق، ص ٥٦.

(٢) أحمد بابا: نيل الابتهاج ص ١٣٧، السعدي: مصدر سابق ص ٢٧، البرتلي: مصدر سابق، ص ٢٧.

(٣) السعدي: مصدر سابق، ص ٣٥.

(٤) البرتلي: فتح الشكور، ص ١٥٤.

وقد تعددت مهام الإمام، فقد جمع الفقيه الإمام القاضي كاتب موسى^(١) بين الإمامة والقضاء والتدريس، كما كان كاتباً للسلطان منساً موسى وهو بذلك جمع بينهم وقد مكث في الإمامة أربعين سنة ولم يستتب ولو في صلاة واحدة وهذا من أجل صحة البدن التي رزقه الله تعالى بها^(٢)، وكان هو آخر من تولى الإمامة من السودان، وخلفه من بعده الفقيه عبد الله البلبالي.

وكذلك الإمام العاقب بن العاقب بن محمود تولى بعد موت أخيه القاضي محمد، كلفه الأسكيا داوود بحمل القضاء فجمع بين المرتبتين الإمامة والقضاء إلى أن توفي^(٣). وتقلد الإمام الفقيه إبراهيم الزلفي خطة الإمامة وقراءة القرآن الكريم وتجويده، كما عمل في التدريس^(٤).

وكان الفقيه الإمام أبو القاسم التواتي المتوفى عام (٩٢٢هـ/١٥١٦م) إماماً ومدرساً في الجامع الكبير، وكان أسكيا الحاج محمد الكبير يصلي خلفه، وكان يطلب

(١) أنظر ابن بطوطة : مصدر سابق، ص ٦٦٩.

(٢) كاتب منساً موسى هو : الإمام سيدي أحمد، كان رحمه الله عالماً عادلاً رحل من أرضه، إلى فاس للتعليم في دولة أهل ملو بأمر السلطان الحاج موسى فخلفه في الإمامة الفقيه عبد الله البلبالي، أنظر: الارواني :السعادة الأبدية ص ١٢٣.

(٣) وهو من أئمة المسجد الجامع الكبير في تنبكت المشهورين، وذكر السعدي بأن جميع أئمة هذا الجامع من السودانيين وأن آخر الأئمة من السود الفقيه القاضي كاتب موسى، وذكر أنه مكث في الإمامة أربعين سنة لم يستتب ولم يتخلف ولو في صلاة واحدة لما حباة الله من صحة وعافية بين سببها عندما سئل عن سبب تلك الصحة فقال أحسبها من ثلاثة أشياء، مابت في الهواء ولو ليلة واحدة في الفصول الأربعة كلها، و مابت ليلة واحدة إلا ودهنت جسمي وبعد الفجر استحمت بالماء المسخون، وما خرجت لصلاة الصبح قط إلا بعد فطور. ، أنظر السعدي : مصدر سابق، ص ٥٧، أنظر الأرواني :السعادة الأبدية، ص ١٢٣، البرتلي : فتح الشكور، ص ١٥٨، ١٥٩.

ESLIAs . N . s : Social,p1٠٩.

(٤) السعدي : تاريخ السودان، ص ٤١.

(٥) الارواني :السعادة الأبدية، ص ١٢٤.

دعائه^(١) ، وهو الذي ابتدأ قراءة الختمة في المصحف بعد صلاة الجمعة مع قراءة حزب واحد من العشرينيات ، وقد حبس أمير المؤمنين أسكيا الحاج محمد تابوتا فيه ستون جزءاً من المصحف في ذلك الجامع لأجل تلك الختمة^(٢).

وقد تقلد خطة الإمامة من بعده في المسجد الكبير الفقيه الإمام أحمد والد نانا سرك، والذي لم يمكث في الإمامة طويلاً حيث توفي بعد سبعة أشهر^(٣) ، وكان قد تفقه على الإمام سيد على الجزولي وكان إماماً عالماً عاملاً ولاه القاضي محمود بن عمر، وقد مكث في الإمامة ثمانية عشر عاماً^(٤) وبعد وفاته عرض القاضي محمود بن عمر الإمامة على نائب الإمام على الجزولي والذي كان يستنبيه متى عرض له العذر فرفض ، ورشح له الفقيه الإمام صديق محمد تولى المتوفى عام (٩٧٣هـ / ١٥٦٥م) فصار إماماً في الجامع الكبير ومكث محمد تولى في الإمامة نحو أربع وعشرين سنة^(٥).

كما تولى الإمامة عثمان ابن الحسن ابن الحاج التشتي المتوفى عام (٩٧٧هـ / ١٥٦٩م) وقد قبل الإمامة بعد امتناع حتى حلف له أبوه إن لم يقبلها ليسجنه^(٦) ، وبعد وفاة الإمام عثمان تولى الإمامة بعد نزاع وحسم من القاضي العاقب الإمام محمد بن أبي بكر بن إكداد الفلاني المتوفى عام (٩٨٩هـ / ١٥٨١م)^(٧) ، وتولى من بعد وفاة الإمام محمد بن أبي كداد الإمام أحمد بن الإمام صديق الذي تولى

(١) مسعود عمر محمد: تأثير الشمال إفريقيا على الحياة الفكرية، مرجع سابق، ص ١٤١.

(٢) السعدي: مصدر سابق ص ٥٨، ٥٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٩.

(٤) المصدر السابق: ص ٦١، ٦٠، البرتلي: مصدر سابق، ص ١٩٦، ١٩٧.

ESLIAs . Alpha N . s social History of Timbuktu , p ١١٤.

(٥) السعدي: المصدر السابق، ص ٦٢، البرتلي: مصدر سابق ص ١٥٤، ١٥٥، الأرواني: مصدر سابق، ص ١٢٤.

(٦) البرتلي: مصدر سابق، ص ١٩٠، ١٩١، الأرواني: مصدر سابق، ص ١٢٤.

(٧) البرتلي: مصدر سابق، ص ١٠٨، الأرواني: مصدر سابق، ص ٩٤.

الإمامة بأمر من القاضي العاقب ومكث فيها خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام ، منها عشر سنين في دولة صُنعى . وهو آخر أئمة الجامع الكبير في دولتهم ، وخمس سنين في دولة السلطان الهاشمي أبي العباس المتوفى (١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م)^(١).

كما تولى الإمامة في مسجد سنكرى الكثير من الفقهاء ، وهم على الترتيب الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت^(٢) الذي تولاها بإذن الفقيه حبيب ، ثم جاء من بعده الإمام أندغ محمد بن الفقيه مختار النحوي ابن خالة الفقيه محمود بن عمر والذي ظل إماماً لمدة عشرين عاماً بعد وفاة أبي القاسم التواتي ، وظل في الإمامة حتى كبرت سنه إذ لم يعد قادراً علي إمامة المصلين فتركها لابن خاله الإمام أندغ محمد^(٣).

ولما توفي أندغ محمد أمر الفقيه القاضي محمد بن الفقيه محمود فاعتذر متعللاً بسلس البول فكلفه بالبينة عليه فشهد له به الفقيه العاقب بن الفقيه العاقب بن الفقيه محمود فأقاله القاضي محمد وكلف شاهده بها فتولاها^(٤) الإمام العاقب بن العاقب بن محمود الذي لم يستنب على الصلاة قط إلا في مرض موته حين أمر ابن أخيه الفقيه الزاهد محمد الأمين بن القاضي محمد أن يصلى بالناس فأبت أمه نانا بنت الحاج أحمد ، وبقي المسجد خالياً من صلاة الجماعة أياماً^(٥).

(١) مجهول : تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان ص ١٧٩ ، البرتلى : مصدر سابق ، ص ٣٨ ،

إلارواني : مصدر سابق ، ص ٩٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٣ ، ٥٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٩ ، البرتلى : مصدر سابق ، ص ١٠٧ ، إلارواني : مصدر سابق ، ص ١٣٢ .

(٥) السعدي : مصدر سابق ، ص ٦٣ . إلارواني : مصدر سابق ، ص ١٣٢ .

ثم تولى الإمامة في مسجد سنكرى الإمام عبد الرحمن بن الفقيه محمود وكان يتكلف وهو في غاية المرض ، ولم يستتب ولو مرة واحدة في صلاة ، وكان محافظا على الصلوات في وقتها^(١) إلى أن ألقى القبض عليه محمود بن رزوقون ، فتولى من بعده محمد بن محمد كرى إلى أن توفي فصلى بالناس القاضي سيد أحمد مدة ، ثم تولاهما ابنه الفقيه محمد^(٢).

ومن أئمة المساجد أئمة مسجد سيدي يحيى في مدينة تنبكت^(٣) ، وأول الأئمة في هذا المسجد هو الإمام سيدي يحيى التادلسي^(٤) ، ثم جاء من بعده الإمام محمد بنغيع^(٥) الذي عُرِضت عليه الإمامة في الجامع الكبير فرفض لتعلقه بإمامة مسجد سيدي يحيى^(٦) . ثم تولى الإمامة الإمام صديق بن محمد تعل ، ومن بعده جاء الإمام محمود بن محمد الونكرى وظل في الإمامة حتى توفي عام (١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م)^(٧).

(١) السعدي : نفس المصدر والصفحة .

(٢) نفس المصدر والصفحة ، الاروانى : مصدر سابق ، ص ١٣٢ .

(٣) عرف هذا المسجد باسم سيدي يحيى لأنه عندما قدم سيدي يحيى إلى تنبكت تلقاه محمد نض التي كانت ولايته على تنبكت بين عامي (٨٣٧-٨٧٦ هـ / ١٤٣٣-١٤٧١ م) عند قدومه بالترحاب وأكرمه غاية الإكرام وبني له مسجدا وجعله أماما فيه ، وبلغ الغاية القصوى في العلم والصلاح ، أنظر السعدي : مصدر سابق ، ص ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، الاروانى : مصدر سابق ، ص ٨٢ ، ٨١ .

(٤) هو يحيى بن عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الثعلبي بن يحيى البكاء بن أبى الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار بن نعيم بن هرم بن حاتم بن قهي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضي الله عنه ت ٨٦٦ هـ . قدم إلى تنبكت زمن ولاية محمد نض بين عامي (٨٣٧-٨٧٦ هـ / م) وتلقاه محمد نض عند قدومه بالترحاب وأكرمه غاية الإكرام وبني له مسجدا وجعله أماما فيه وعرف هذا المسجد بمسجد سيدي يحيى ، وبلغ الغاية القصوى في العلم والصلاح ، أنظر السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٠ .

(٥) هو القاضي : محمد بن القاضي محمود بن أبى بكر بنغيع (٩٣٠-١٠٠٢ هـ / ١٥٢٣-١٥٩٣ م) ، وكان من الفقهاء متعددي التخصص . أنظر ، السعدي : مصدر السابق ، ص ٤٤ .

(٦) السعدي : مصدر سابق ، ص ٦٣ .

(٧) - البرتلى : مصدر سابق ، ص ١٥٤ .

أما الإمامة في جامع التواتي بمدينة تنبكت^(١) فقد تولاها الإمام الفقيه محمود بن محمد الزغراني التنبكتي المتوفى عام (١٠١١هـ / ١٦٠٣م)^(٢)، ثم غلب عليه السعال فلأزم بيته سنين تخلف فيها عن صلاة الجماعة والجمعة لذلك.

وهكذا كان لفقهاء المالكية مكانة ودور كبير بسبب توليهم بعض الخطط الدينية التي جعلتهم على مقربة من الأسر الحاكمة، كما جعلتهم حلقة الوصل بين تلك الأسر والعامّة في دولتي مالي و صنغى الإسلاميتين مما كان سبباً في علو مكانتهم الاجتماعية بين طبقات المجتمع المختلفة وفي بروز دورهم الكبير في هذا المجتمع من خلال شرائحه المختلفة، وهذا ما ستحدث عنه في الفصل القادم من هذا البحث.

(١) جامع التواتي: تقول الرواية الشفهية إن الذي قام ببنائه هو محمد بن علي التراتي، الذي قدم من توات عام (٩٢٠هـ، ١٥١٤م) مع جماعة من أهالي توات، وقد حدثت خلافات دينية بينهم وبين بعض علماء تنبكت، وترتب على ذلك بناء هؤلاء التواتيين، مسجداً لهم يؤديون الصلاة فيه، أنظر الأرواني: صدر سابق، ص ٩٧.

(٢) أنظر البرتلي، مصدر سابق، ص ١١٠، الأرواني: مصدر سابق، ص ٩٧.

الفصل الرابع

فقهاء المالكية والحياة الاجتماعية في بلاد السودان الغربي

- ١- الجذور الإثنية لفقهاء المالكية .
- ٢- مكانة المالكية الاجتماعية بين طبقات المجتمع .
- ٣- دور فقهاء المالكية تجاه العادات والتقاليد الاجتماعية ذات الأصول الوثنية.
- ٤- فقهاء المالكية والاحتفالات الدينية .

مثل الفقهاء الطبقة الدينية المثقفة في المجتمع السوداني ، ومن ثم فقد كانوا موضع نظر الحكام والعامّة على السواء ، يسترشدون برأيهم ويتظنون موافقهم الإصلاحية . كما أنه أُلقي علي عاتقهم عبء الإصلاحات الاجتماعية ومحاولة الحفاظ على قيم المجتمع المسلم وظلت أعينُ الناس حكاما ومحكومين معقودة عليهم .

ولذا لم يأل فقهاء السودان الغربي جهدا في سبيل إصلاح المجتمع وتقويمه والخروج به من بعض المفاصد التي كانت تخالف الشريعة الإسلامية . خاصة وأنهم اندمجوا في مجتمعاتهم وعاشوا أجواءه ، فسارعوا إلى القضاء على المفاصد والأعراف الوثنية ، وإن كانت بعض صيحاتهم قد ذهبت سدى في بعض الأحيان ، لكن جهودهم الإصلاحية كانت مثمرة في معظم الأحيان .

وأول ما ستحدث عنه في هذا الفصل هو الجذور الإثنية لهؤلاء الفقهاء الذين أثروا في مجتمع السودان الغربي .

أولاً الجذور الإثنية لفقهاء المالكية في السودان الغربي :

يُعدُّ البحثُ عن الجذور الإثنية لفقهاء المالكية في السودان الغربي من الضروريات المهمة التي يجب بحثها لإمطة اللثام عن الجذور الأولى لأصل هؤلاء الفقهاء . وتعد محاولة رصد الجذور الإثنية للفقهاء المالكية أمراً صعباً بسبب غياب المادة المصدرية والباحثون المختصون في تاريخ تلك المنطقة يجمعون على أن تاريخها خلال العصر الإسلامي هو قبل كل شيء قضية مصادر . ذلك أن قلة وندرة المادة الإخبارية المتوفرة ، فضلاً عن فقر مضامينها يمثل عقبة أرهقت الباحثين ودفعت بالكثيرين منهم إلى الاستئناس والاستشهاد دون حرج بمصادر متأخرة جداً ، ترجع إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة / الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد ،

والاعتماد علي الرواية الشفوية ، أكثر من ذلك فإنه حتى بالنسبة للقرن الثامن الهجري / الرابع عشر للميلاد الذي يوافق جل معلوماتنا عن المنطقة مع كتابات كل من ابن بطوطة والعمرى وابن خلدون فإننا نستطيع بالكاد أن نجيب من خلالها عن بعض الأسئلة التاريخية ذات الطابع أأحدثي أو الوقائعي، مثل تحديد فترة حكم ملك أو ضبط سنة حجه أو رصد بعض أعماله وغزواته إضافة إلى بعض الظواهر الاجتماعية .

هذا وقد تعددت الأصول الإثنية لفقهاء المالكية في السودان الغربي إلى عنصر سوداني وبربري وعربي ، وستحدث عنها فيما يلي .

الجنود الإثنية لفقهاء المالكية في زمن دولة مالي :

يعد بديها القول بتعدد الجنود الإثنية والقبلية لفقهاء المالكية ببلاد السودان الغربي التي تعددت بها الأجناس والأعراق البشرية سواء تلك التي قطنتها منذ البداية ، أو تلك العناصر التي اضطرت إلى الهجرة إليها نتيجة دوافع سياسية عسكرية أو رغبت في الوفود عليها نتيجة ثرائها وتعدد مواردها وأهمية موقعها ومن هذه العناصر: العنصر السوداني .

(١) فقهاء المالكية ذوو الأصول السودانية في دولة مالي :

كان في بلاد السودان زمن دولة مالي فقهاء مالكيون ذوو أصول سودانية ، ولكنهم كانوا قليلي العدد ، منهم الفقيه القاضي الإمام كاتب موسى^(١) ، الذي كان من أئمة المسجد الجامع الكبير المشهورين في تنبكت المشهورين وذكر السعدي أن جميع أئمة هذا الجامع من السودانيين ، وأن آخر الأئمة من السود ، وهو من علماء السودان الذين رحلوا إلى فاس لطلب العلم بأمر من السلطان منسا موسى ، فلما

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٧ .

انتهى من دراسته بفاس عاد إلى بلاده مالي، وعاد معه الفقيه عبد الله البلبالي، وخلف هذا الفقيه القاضي كاتب موسى في الإمامة، وهو أول رجل أبيض صلى بالناس إماماً بالمسجد الجامع الكبير وكان جميع أئمة منذ تأسيسه من السود^(١).

ويلاحظ أن هناك فقهاء مالكية من أصل الونكري^(٢) وكانوا كثيرين ولهم دور بارز في نشر الإسلام في إحدى إمارات الهوسا وهي إمارة كانو^(٣) وكان هذا في القرن الثامن الهجري / القرن الرابع عشر الميلادي في عهد الساركن ياجي (٧٥٠-٧٨٧هـ / ١٣٤٩-١٣٨٥م) حيث جاء وفد إلى كانو من الونقارة قادما من دولة مالي الإسلامية لدعوة أهل كانو إلى الإسلام^(٤).

(٢) فقهاء المالكية ذوو الأصول البربرية في دولة مالي :

كانت العناصر البربرية من العناصر السكانية التي انحدر منها بعض فقهاء المالكية ببلاد السودان الغربي، إذ لا تعوزنا القرائن الدالة على تعاقب الوفود المغربية المتلاحقة على بلاد السودان الغربي سواء من البربر أو العرب.

(١) كعت: مصدر سابق، ص ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، السعدي: مصدر سابق، ص ٥٧.

(٢) هو مكان مشهور بكثرة الذهب وجودته منذ الأزمان القديمة، وهو على الضفة الغربية لنهر السنغال، وكان تحت حكم دولة مالي عندما جاء هذا الوفد إلى كانو، أنظر بوفل: الممالك الإسلامية في غربي إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء، ترجمة زاهر رياض، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٢٤٧، ٢٥٠، مهدي رزق الله: حركة التجارة، ص ٣٩١.

(٣) مدينة كانو من أهم ولايات الهوسا، ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، المرجع السابق، ص ٣٨٩، وللمزيد أنظر، حسين مراد: دولة كانو الإسلامية، تطورها السياسي والحضاري حتى نهاية القرن ٩هـ / ١٥م، بحث في مجلة الدراسات الأفريقية، عدد رقم ٤٧، عام ١٩٩٧.

(٤) السعدي: مصدر سابق، ص ١٩.

فقد ضمت الصحراء الفاصلة بين السودان والشمال الإفريقي أكبر تجمعات بربرية مثل لواتة، وزناتة، وصنهاجة وما تبعها من جماعات وعشائر متعددة، بسبب التجارة والطرق التجارية، وقد كان لصنهاجة الدور الأهم في السيطرة على الطرق التجارية الغربية في الصحراء فصار طبيعياً أن تكون مدن تلك الصحراء مسكونة ببطون تلك القبيلة مثل لمطة وجزولة وجدالة ومداسة وبني وارث^(١) وغيرها، والتي كان لها حضور واضح في القرى والمدن المتاخمة لبلاد السودان مثل صنغانة وإدرار وودغشت وبوغرات^(٢).

ثم ما لبثت هذه القبائل البربرية أن توغلت جنوباً في بلاد السودان نتيجة عوامل سياسية واقتصادية وحياتية، وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله: "أبعدوا عن المجالات هناك منذ دهور.. فأصحروا في الأرياف... ومنهم من قطع الرمال إلى بلاد القفر.. فيما يلي كوكو من السودان"^(٣).

وقد حفظت لنا المصادر التاريخية بعض أسماء فقهاء مالكية السودان الغربي من ذوى الأصول المغربية البربرية والعربية خاصة في دولة مالي، فقد ورد على بلاد السودان الغربي فقهاء من بلاد المغرب كونوا جاليات ما لبث أن كتب لها الاستقرار بعد ذلك. ومن المرجح أن الفقهاء والقضاة ورجال الأدب قد قدموا إلى السودان الغربي بهدف التجارة، لأنه من الصعب التسليم بأنهم كانوا يقتصرون في نشاطهم على الوظائف الرسمية. فمهما كانت الرواتب التي تدّرّها عليهم تلك الوظائف، فإنهم بلا شك كانوا يمثلون إلى ممارسة الأعمال التجارية الرباحة التي تفسر وحدها عبورهم للصحراء والإقامة في بلاد بعيدة مثل السودان. فقد كانوا وكلاء للشركات الموجودة بالمغرب، أو وسطاء بين المغاربة والسودانيين، حيث كان الجمع بين التجارة والعلم هو

(١) البكري: المسالك والممالك، ج١، ص ٢٥٠.

(٢) المصدر السابق: ج٢، ص ٣٥٩، العمري: مصدر سابق، ج٤، ص ٦٠.

(٣) ابن خلدون: مصدر سابق، ص ١٧٨٧، ١٧٨٨.

إحدى خصائص الحضارة الإسلامية في السودان الغربي في شتى عصورها^(١) بيد أن فريقاً من هؤلاء التجار الفقهاء قد فضل الاستقرار في بلاد السودان ، يدل على هذا رواية العمري التي تحدث فيها عن قدوم بعض الفقهاء المالكية إلى بلاد السودان كتجار ثم ما لبثوا إن استوطنوا هذه البلاد^(٢).

وكان من أهم العوامل وراء استقرارهم هو حسن المعاملة التي لاقوها من قبل حكام هذه البلاد، فهذا ابن بطوطة يؤكد أن إمبراطور مالي منسا موسى "كان يحب البيضان ، ويحسن إليهم" و"هو الذي أعطى لأبي إسحاق الساحلي في يوم واحد أربعة آلاف مثقال^(٣) وأعطى للمرك ابن فقوص ثلاثة آلاف مثقال في يوم واحد"^(٤) وقد استمرت هذه السياسة سارية المفعول خلال القرنين التاليين حسب شهادة الحسن الوزان^(٥).

كذلك تقرب الفقهاء المغاربة التجار من الدوائر الحاكمة عن طريق الزواج والارتباطات العائلية ، فقد كان كبير جماعة البيضان محمد بن الفقيه الجزولي متزوجاً ببنت عم السلطان^(٦) منسا سليمان ، ونجد لاحقاً أن ملك تنبكت^(٧) زوج اثنتين من بناته لأخوين تاجرين مغربيين لفقههما وعلمهما وغناهما^(٨).

(١) A. El Alaoui, *Le Maghreb et le commerce transsaharien (milieu du milieu du XIV^e s.)*, Thèse de 3^{ème} cycle, Bordeaux, ١٩٨٢, pp: ١٠٨-١٠٩.

(٢) العمري : مسالك الإبرار ، ج٤ ، ص ٥٩ ، ٦٠ ، حيث يقول إن أبا عثمان سعيد الدكالي «سكن مدينة بيتي (عاصمة إمبراطورية مالي) خمساً وثلاثين سنة.

(٣) ابن بطوطة : رحلته ، ص ٦٧٢ .

(٤) المصدر السابق والصفحة .

(٥) الحسن الوزان : وصف إفريقيا ، ص ٥٣٩ ، بمدينة مالي "يوجد عدد كبير من الصناع والتجار المقيمين والطارئين الذين يعيهم الملك عناية أكثر من غيرهم".

(٦) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٦٥ .

(٧) لم يكن هناك ملك في تنبكت بل نائب عن إمبراطور جاو ، والذي يلقب بتنبكت كوى ، أما الذي

وكان حرص السلطة في السودان الغربي على تعاليم الإسلام ونشرها بين أفراد الرعية وراء استقطاب ثلة من فقهاء المالكية المغاربة إلى بلادهم، فقد اهتم سلاطين مالي بنشر العلوم والثقافة عن طريق استقدام عدد كبير من العلماء إلى بلادهم فامتلات بلادهم بفقهاء المالكية من السود والبيض على السواء . وقد ترك لنا ابن بطوطة شهادة حية عن مدى تغلغل الإسلام في إمبراطورية مالي^(١) . وبرز العمري من جانبه تدين منسا موسى وإسهامه في نشر الإسلام ببلاد. فعند حديثه عن منسا سليمان، يقول إن أخاه منسا موسى بني المساجد والجوامع والمآذن وأقام ببلده الجمع والجماعات والأذان، و"جلب إلى بلاده الفقهاء علي مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وبقي بها سلطان المسلمين، وتفقه في الدين"^(٢) .

كما قدم عدد من الفقهاء المغاربة إلى مالي، فبحسب شهادة ابن بطوطة كانت مالي محلة خاصة للبيض^(٣) من الفقهاء والعلماء والتجار المغاربة والمصريين ، ومنهم الشيخ الثقة أبو عباس سعيد الدكالي الذي أقام بمملكة مالي مدة طويلة ، وكان من بين مصادر العمري عن مالي ، ولكننا لا نعلم متى وأين التقيا، ولكن يظهر من خلال اللقب الذي يمنحه العمري لسعيد الدكالي أن هذا الأخير كان يشغل إحدى الخطط الدينية بعاصمة مالي^(٤) .

كان موجودا أثناء مرور حسن الوزان فكان يدعى عمر بن محمد الندى المتوفى عام (٩٢٨هـ / ١٥٢١م) ، وقد نصبه أسكيا الحاج محمد عام (٨٩٩هـ / ١٤٩٣م) الحسن الوزان : مصدر سابق ، ص ٥٤٠ .

(١) المصدر السابق والصفحة .

(٢) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٦٩ ، ٦٧٢ ، أحمد الشكري : مصدر سابق ، ص ١٧٨ .

(٣) العمري : مصدر سابق ، ص ٧١ .

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص ٦٧٤ .

(٥) ابن خلدون : مصدر سابق ، ص ١٨٩٦ .

والقاضي الثقة أبو عبد الله محمد بن وانسول ، وهو من أهل سجلجاسة ، دخل مدينة جاو وأستقر بها عدة سنوات ، استعمله خلالها أهل المدينة في خطة القضاء ، وقد عاصر بن خلدون وصادقه وأمدّه بالكثير من المعلومات عن إمبراطورية مالي^(١) . ويغلب على الظن أن لقاءهما كان بالقاهرة خلال العقد الأخير من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي كما ذكر ابن بطوطة الفقيه محمد الفيلاي إمام مسجد البيضان^(٢) .

(٣) فقهاء المالكية ذوو الجذور العربية في دولة مالي :

بالإضافة إلى الأصول البربرية والسودانية عرفت مالي بعض الفقهاء العرب منهم الفقيه عبد الرحمن التميمي الذي قدم مع السلطان منسا موسى أثناء رحله حجه ، وذهب إلى فاس وأخذ الفقه المالكي^(٣) وعاد إلى تنبكت وأصبح من كبار فقهاء هذه المدينة .

وهكذا تعددت الجذور الاثنية لفقهاء المالكية في السودان الغربي زمن دولة مالي الإسلامية ، ما بين عناصر سودانية وبربرية وعربية وإن كان العنصر الغالب لفقهاء البربر .

الجذور الإثنية لفقهاء المالكية في زمن دولة صُنغي :

تعددت أيضا الجذور الاثنية لفقهاء المالكية في بلاد السودان الغربي زمن دولة صُنغي ويأتي العنصر السوداني هو الأبرز بين الجذور الإثنية الاخرى فقد سمح تقادم الزمن في لظهور عائلات سودانية نبغت في مجال الفقه .

(١) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٧ .

(٢) الارواني : مصدر سابق ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

(١) فقهاء المالكية ذوو الأصول السودانية في دولة صُنغي :

هناك عائلة سودانية كبيرة أنجبت العديد من الفقهاء المالكية ، وبالرغم من أن السعدي يُرجع أصل هذه العائلة إلى أحدي قبائل البربر الكبرى وهي قبائل صنهاجة الصحراوية^(١) ، إلا أن الباحثة تعتبر هذه الأسرة التي أنجبت كما هائلاً من الفقهاء أسرة سودانية لقدم هجرتها إلى هناك ، بالإضافة إلى تلقيهم العلم والفقه في موطنهم وهو السودان الغربي خاصة في مدينة تنبكت .

وحسبما تذكر المصادر أن الجد الأكبر لهذه العائلة هو محمد بن عمر أقيت^(٢) الذي تنسب إليه وإلى سلالة أعظم العلماء الذين كان لهم أثر بارز في الحياة العلمية والثقافية في المراكز العلمية بتنبكت، وهم يمثلون كذلك العنصر الغالب في الحركة الفكرية والثقافية في السودان الغربي كله.

المهم أن محمد أقيت وهو جد أسرة أقيت هاجر من موطنه الإصلي بلاد ماسنة إلى بلدة بوير (ولاة) بسبب بغضة للقولانيين الذين كانوا يجاورونه في السكن ، واستقر محمد بن عمر أقيت في تنبكت ثم حدثت مصاهرة بين أسرته وأسرة أندغ محمد^(٣) الذي كان قاضياً لتنبكت ، كما كان لأسرته نفوذ وشهرة في هذه المدينة ، وبهذه المصاهرة احتلت أسرة أقيت فيما بعد مكانة كبيرة^(٤) .

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) هو "محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى بن كدالة بن بكى بن نيق بن لف بن يحيى بن تشت بن تنفر بن حيراي بن أكبر بن أبي بكر بن عمر الصنهاجي الماسني ، أنظر السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، البرتلي : مصدر سابق ، ص ٣١ .

(٣) هو عبد الله أندغم حد بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح " معدن العلم والصلاح ومنه تناسل كثير من شيوخ العلم والصلاح ومنهم من جهة الآباء ومنهم من جهة الأمهات ومنهم من جهتهما معاً . فهو عالم جليل قاضي المسلمين ، قال عنه أحد بابا رحمه الله هو أول من خدم العلم من أجداده فيها . أعلم وهو جد جدي لأمه أبو أم جدي أنظر ، السعدي : مصدر سابق ، ص ٢٨ ، البرتلي : مصدر

وقد انحدر من أسرة أقيت أشهر علماء الثقافة الإسلامية واللغة العربية ، منهم أحمد بن عمر بن محمد أقيت ، وهو والد جد الشيخ أحمد بابا التنبكتي ، وكان عالما صالحا عاش في بداية الثلث الثاني من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي^(٣) ، والفقيه المختار النحوي بن عمر بن أحمد وقد لقب بالنحوي لبراعته في هذا الفن ، و الفقيه العالم عبد الرحمن بن عمر بن أحمد أخو الفقيه المختار النحوي والذي كان من الفقهاء المتخصصين في تدريس كتاب التهذيب للبرادعي ، وكذلك الفقيه أحمد بري بن أحمد بن أندغ محمد أبو العباس وهو من شيوخ العلم في عهد ازدهار الثقافة الإسلامية في دولة صنغى^(٣)

وهناك الكثير من أبناء هذه الأسرة الذين نبغوا في علم الفقه أشرنا إليهم أثناء الحديث عن الخطط الدينية التي تولوها في الفصل الثالث وأيضا في الفصل الخامس أثناء الحديث عن جهودهم العلمية ، ونكتفي هنا بذكر بعض أفراد من هذه الأسرة الذين نبغوا في الفقه المالكي وليس جميعهم .

ومن العائلات السودانية التي نبغت في الفقه المالكي في السودان الغربي وهي من أصل سوداني عائلة بغيغ وهي أصلا من جني ، ويأتي علي رأس هذه العائلة الفقيه القاضي الصالح محمود بن أبي بكر بغيغ جنوى بلدا ومسكنا ونكري أصلا^(٤)

سابق ص ١١٢ .

(١) من المعروف أن الأم والخال في جنوب الصحراء يلعبان دورا مهما بالنسبة للأولاد وتعليمهم ، أنظر عبد العزيز العلوي : التأثيرات الدينية والفكرية المغربية على السودان الغربي الوسيط ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، المملكة المغربية فاس ١٩٩٩ م ، ص ٤٠٥ .

(٢) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٣) السعدي : مصدر سابق ص ٢٩ ، البرتلي : مصدر سابق ، ص ٢٨ .

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٣٤١ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ١٩ .

وكان من نسله ابنه الفقيه محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي الذي عرف بأسم محمد بيغيغ^(١).

وهناك عدد من الفقهاء الونكريين منهم الفقيه فودي محمد سانوا الونكري^(٢) الذي كان فقيها عالما عابدا صالحا وكان قد قدم إلى مدينة جني في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ، وكان أول سكنه في قرية قريبة من مدينة جني تسمى طورا ، وكان يأتي من هذه القرية إلى مدينة جني في كل جمعة لأداء صلاة الجمعة بمسجدها الجامع حتى أحبه السلطان وأهالي جني وتألفت قلوبهم معه ، عند ذلك طلب منه سلطان جني أن يسكن جني بدلا من قرية طورا فقبل الطلب. ومن فقهاء الونكريين أيضا الفقيه القاضي محمد بنب كنان الذي كان فقيها عالما جليلا ونكري الأصل تولى القضاء بعد وفاة القاضي مؤدب بكر توري وهو آخر قضاة دولة السودانين^(٣).

والفقيه مورو محمد هوكار وهو من مور كير ، وفقهاؤها جميعهم من أصل واحد، ومن ذريته مور صادق بن الفقيه مORM عمك بن الفقيه مورو هوكار^(٤) وجميع من يلقب بمي كميدع ، ومي نك ، وميهو ، وميكع ، وميفر ، وميتاص وميغي ، ومي يور ، وميزع ، واسم بلدهم ير ، وكل من كانوا في هذا الإقليم من أصل مغربي من وعكري و ونكر^(٥) ، كذلك الفقيه الفع صالح جور الذي كان وعكري الأصل وهو جد أهل توتل^(٦).

(١) البرتل : مصدر سابق ، ص ١٣٣ .

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ١٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(٥) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٤٨ .

(٦) السعدي : مصدر سابق ، ص ٦٣ .

وكان الفقيه القاضي محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت الكرمي دارا والتبكتي مسكنا ، والوعكري أصلا قد ولد في منطقة كورما غرب جاو (٨٧٣-١٠٠٢هـ / ١٤٦٨-١٥٩٣م) وعاصر أمير المؤمنين الحاج أسكيا محمد الذي حكم صنغى من (٨٩٩-٩٣٥هـ / ١٤٩٣ / ١٥٢٨م) وسكن تبكت ، وكان للقاضي الفقيه محمود كعت أولاد منهم القاضي إسماعيل بن محمود كعت^(١) والفقيه يوسف بن محمود كعت ، والفقيه محمد الأمين بن محمود كعت ، وحفيده ابن المختار وهو ابن بنت القاضي محمود كعت صاحب التاريخ ، وهؤلاء من أسرة كعت وهم أعلام المؤرخين السودانيين^(٢).

وهناك أيضاً الفقيه مسربوب الزغراني التبكتي الذي ينسب إلى قبيلة الزغرانيين في غرب السودان الغربي ، وكان رحمه الله عالماً فاضلاً خيراً صالحاً نادر المثال في قبيلته ، وقد اشتهر بالعلم والصلاح على الرغم من أنه ينحدر من قبيلة الزغراني التي يصفها السعدي والتواتي بأنها لاتعرف بالصلاح ولا بحسن الإسلام^(٣). كما ذكرت المصادر الفقيه السوداني الأصل وهو القاضي أحمد ترف بن القاضي عمر ترف وتقول أنه جنوى الأصل والبلد ، وكان خطيباً ثم صار إمام الجامع ثم قاضياً فجمع المراتب الثلاث^(٤).

(٢) فقهاء المالكية ذوو الأصول البربرية في دولة صنغى :

أما في دولة صنغى فتذكر المصادر الفقيه الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي ولد بمدينه تلمسان عام ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م وهو من أسرة عريقة ، فقد تربى في فترة

(١) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١١٦ ، ٧٥ ، أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٥٧٨ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٩ .

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٤٢ .

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥١ ، ٥٢ ، البرتلى : مصدر سابق ، ص ١٤٧ .

(٤) نفس المصدر : ص ١٩ ، ٢٠ .

شبابه في توات في الصحراء ، وانتقل إلى فاس بهدف الدراسة ، ثم ارتحل إلى السودان حيث دخل بلاد أمهر و تكدا و سيقو و كاشنا ثم رحل إلى جاو واتصل فيها بالاسكيا الحاج محمد الكبير ، فتذاكر معه في جملة من المسائل الفقهية ، وألف في السودان عشرات الكتب والشروح أضاءت الحياة العلمية في السودان الغربي^(١) ، وكانت له مع علماء فاس مسائل فقهية أخذت شكل الخلاف ، كما اشتهر بعدائه ليهود توات^(٢) ، والفقيه عبد الله البلبالي الذي قدم مع كاتب السلطان منسا موسى من مدينة فاس^(٣) .

كما كان الفقيه العاقب بن عبد الله الانصمى المسوفى الذي كان حيا في (٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م) من أهل تكدا وهي بلدة قريبة من بلاد السودان عمرتها صنهاجة^(٤) ، وأبو القاسم التواتي الذي جاء مع جماعة من علماء وشرفاء تافيلات بالمغرب ، وابتنى دارا بالقرب من المسجد الجامع بتبكت ، وظل هناك الى أن توفي بتبكت عام (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) وكان بتلك المدينة خمسون عالما من توات^(٥) .

وكذلك الفقيه عبد الرحمن بن علي بن احمد القصرى الفاسى الذي توفي عام (٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م) والذي ولد بمدينة القصر الصغير على البحر المتوسط ، وأخذ علم الحديث بمصر ثم ذهب لبلاد السودان^(٦) .

(١) أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص ٥٧٦ ، ٥٧٧ .

(٢) المغيلي "محمد عبد الكريم المغيلي" : مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، تقديم وتحقيق رابع بونار ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٦٨م ، ص ١٧ ، مطير سعد غيث أحمد : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، لبنان ، دار المدار الإسلامي ، ط ١ ، ٢٠٠٤م ، ص ٢٦٩ .

(٣) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٤٤ .

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٣٥٣ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ٤١ ، محمد مخلوف : مصدر سابق ، ص ٤٠٣ .

(٥) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٦ البرتلي : مصدر سابق ، ص ١٥٥ .

(٦) السعدي : نفس المصدر والصفحة ، البرتلي : نفس المصدر والصفحة .

أما الفقيه مور كنكى فقد رحل من قرينته إلى كابرا لتلقى العلم من علمائها ، ثم رحل إلى جنبي بعد أن تلقى تعليمه في كابرا ، وذلك في منتصف القرن التاسع الهجري ، وظل في جنبي حتى علم أن هناك من لا يرغب في وجوده فأرتحل عنها ، وكان سبب رحيله من جنبي أنه كان يصلى صلاة الصبح مع جماعة ذات يوم فسمع رجلاً بجانبه يقول في سجوده : "اللهم إن مورمغ كنكى ضيق علينا البلد أرحنا منه " فلما سلم قال يا رب لا أعرف مضرتي للناس حتى يُدعى على فأرتحل يؤمئذ من جنبي إلى كونا فنزل فيها ، وسمع بخبرة أهل جنج فبعثوا له القارب وارتحل فسكن في جنج إلى أن توفي بها^(١) .

ومن الفقهاء ذوو الأصول البريرية أيضاً الفقيه محمد بن أحمد بن أبى محمد التازختى الذي عرف بأيد أحمد المتوفى عام (٩٦٠هـ / ١٥٢٩م)^(٢) ، والفقيه على الجزولى الذي ولاه الإمامة القاضي محمود^(٣) ، والفقيه فياض الغدامسى ، وهو الذي صلى على أبى القاسم التواتى^(٤) ، والفقيه محمد تل الشريف وهو جد أهل ذكر وينسبونه إلى بني مداس والذي حج مع الاسكيا محمد الذي كان يحترمه احتراماً عظيماً^(٥) . والفقيه صديق بن محمد تولى الكابرى الأصل المتوفى عام (٩٧٣هـ / ١٥٦٥م)^(٦) ، والجنوى المولد الذي كان عالماً فقيهاً فاضلاً خيراً صالحاً وهو من علماء بلدة جنج القريبة من تنبكت والمجاورة لها ، وقد جاء إلى تنبكت لينهل من منابع العلم والمعرفة والثقافة وتوطن بها ، رغم أنه كان صاحب مدرسة

(١) نفس المصدر : ص ١٦ .

(٢) السعدي: مصدر سابق، ص ٦٠، البرتلى: مصدر سابق، ص ١٩٦، ١٩٧ .

(٣) السعدي: مصدر سابق، ص ٥٨، البرتلى : مصدر سابق، ص ٦٩ .

(٤) السعدي: مصدر سابق، ص ٢٠، ١٩ .

(٥) محمود كمت : مصدر سابق، ص ٨٢ .

(٦) - البرتلى: مصدر سابق، ص ١٥٥ .

في بلدته جنج وفيها طلبته النجباء^(١).

كما وجدت عائلات مغربية بالسودان الغربي، وهي عائلة تولى، وعلى رأسها إمام المسجد الكبير محمد بن الصديق^(٢)، وعائلة الخضر^(٣) وكان جدها الأول الذي قدم من فاس كاتباً خاصاً لسني على، والعائلة الثالثة هي العائلة التواتية^(٤)، والرابعة هي عائلة القصرى^(٥)، وأخيراً عائلة الفيلالى في تنبكت ودينى و جاو^(٦).

(٣) فقهاء المالكية ذوو الجذور العربية في دولة صُنغى:

وتتحدث المصادر عن الفقيه يحيى التادلسى^(٧) المتوفى عام (٨٦٦هـ / ١٤٦١م) والذي كان قد قدم إلى تنبكت زمن ولاية محمد نضر بين عامي (٨٣٧-٨٧٦هـ / ١٤٣٣-١٤٧١م) وتلقاه محمد نضر عند قدومه بالترحاب وأكرمه غاية الإكرام وبني له مسجداً وجعله إماماً له، وعرف هذا المسجد بمسجد سيدي يحيى. والفقيه أحمد الصقلي^(٨) الذي جاء إلى دولة صُنغى في عام (٩٢٥هـ / ١٥١٩م) بناء

(١) السعدي: مصدر سابق، ص ٦١.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٩، ٦٠.

(٤) هو: "عبد الرحمن بن علي بن أحمد القصرى ثم الفاسى السفينانى" أنظر أحمد بابا: مصدر سابق، ص ٢٦٤.

(٥) السعدي: مصدر سابق، ص ٢٨.

(٦) المصدر السابق: ص ٣٠٨.

(٧) يحيى بن عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الثعلبي بن يحيى البكاء بن أبى الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار بن غيم بن هرم بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبى طالب رضي الله عنه أنظر السعدي: مصدر سابق ص ٥٠.

(٨) هو أحمد بن عبد الرحمن بن إدريس بن أبى يعزى بن حسن بن إبراهيم بن عبد الله بن عيسى بن إبراهيم بن عبد الرحمن عرف بزين العابدين بن الحسن بن علي بن أبى طالب وأمة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، أنظر محمود كعت: مصدر سابق، ص ١٩.

على طلب الأسكيا محمد الكبير أثناء رحلة حجة من شريف مكة ليتبرك به^(١).

وهكذا تعددت أيضا الجذور الإثنية لفقهاء المالكية في دولة صُنغي ما بين عناصر سودانية وبربرية وعربية.

ثانياً: المكانة الاجتماعية لفقهاء المالكية بين طبقات المجتمع :

احتل فقهاء المالكية في بلاد السودان الغربي مكانة اجتماعية مهمة بين طبقات المجتمع السوداني الذي تعددت طبقاته ، وقد تعددت العوامل المؤثرة في التكوين الطبقي والاجتماعي لمجتمع دولتي مالي وُصُنغي ، من هذه العوامل النسب الشريف ، فقد تمتعت الأسر الشريفة بمكانة مرموقة حيث كانت تعفى من الضرائب ، ويمنح لها مظاهر التوقير والاحترام والتقدير، وتقدم أسرة الشريف الحسنى خير دليل على ذلك ، ويدل عليه أيضاً أمر أسكيا محمد بن داوود بإعفاء عبيده من جميع وظائف السلطنة الوضيعة احتراماً وتقديراً لمقام سيدهم الشريف^(٢).

وقد ربط ابن خلدون^(٣) أصالة النسب والشرف بمعيار آخر ألا وهو المعيار الأخلاقي "فمن استحكمت فيه صنعة الرذائل بأي وجه كان ، وفسد خلق الخير فيه لم ينفع ذكاء نسبه ولا طيب منبته "، وعلى هذا الأساس الأخلاقي تمكن البعض من

(١) المصدر السابق ، ص ١٦.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٨ ، ١٩ ، وكذلك عندما حدث أن أسكيا داود قتل أحد الأشراف خطأ عام (٩٩٩هـ / ١٥٨٣م) ، فندم وأخذ يبكي أياماً ، وعزم على صوم الدهر ، وعندما جمع العلماء واستفتاهم في الاستغفار لهذا الذنب العظيم قالوا له : "أن تفرغ إلى رسول الله ﷺ وتهرب وتدخل في حرمة وتستشفع به ﷺ ، وإذا لم تقدر فلك دية في الشرع" وقدروا الدية بثلاثين نفساً يعطيها لأخ القتيل ، ولما سأل أخ القتيل عما يفضل من الأموال اختار الأرض فأعطاه ثلاث ضياع بعبيدها ، أنظر محمود كعت : مصدر سابق ص ١١٦ ، ١١٧.

(٣) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ص ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٧٩.

احتلال مكانة اجتماعية حسنة^(١) حيث احتلت كثير من العائلات وضعية طبقية متميزة عن طريق النسب والوراثة والأخلاق ، نذكر من بينها أسرة الشريف أحمد الصقلي الذي ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ^(٢).

ومن العوامل المؤثرة في التكوين الطبقي لمجتمع دولتي مالي وُصُنِي أيضا عامل القرابة ، وهو ما عبر عنه ابن خلدون بالعصية ، وبما لاشك فيه أن هذا العنصر قد اكتسب وزناً في صياغة البناء الطبقي الذي من أهدافه السيادة على دفة الحكم ، وجعل السلطة حكراً على أقاربها ، حيث كانت الحاشية والأمراء النبلاء وقواد الفرق العسكرية و حكام الأقاليم من بين أقربائه المخلصين^(٣).

العامل الثالث المؤثر في التكوين الطبقي المذهب الديني للدولة وهو المذهب المالكي ، فقد لعب دوراً جوهرياً في تحديد الوضعية الاجتماعية لكبار فقهاء هذا المذهب ، إذ أصبح الفقه المالكي مطية لنيل المناصب الدينية العليا وارتفاع المكانة الاجتماعية ، وللتدليل على أهميه العلم والمذهب المالكي في ارتقاء الهرم الاجتماعي نورد نصاً مهماً، عبارة عن وصية من أب لابنه يقول فيها : "العلم شئ حسن ، فكن له ذا طلب ، وابدأه بالنحو ، وخذ من بعده في الأدب ، فأنا أردت أن ترى جاها ونيل مكتسب ، فافهم أصول مالك ، واحفظ فروع المذهب ، فإن قول مالك سلسلة من ذهب ، واعمل بما حفظته تحظى بأعلى الرتب"^(٤) وخير دليل على أن الدراسة و

(١) محمود مكي : "وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين" مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلدان ٧ ، ٨ ، عام ١٩٥٩-١٩٦٠ ، ص ١٨٣ ، ١٨٢ .

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٩ .

(٣) المصدر سابق ، ص ٤٦ ، عبد القادر زيادية : مرجع سابق ، ص ٤٥ .

(٤) ابن قنقد : أنس الفقير وعز الحفير ، تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور ، الرباط ، المركز الجامعي للبحث العلمي ، ١٩٦٥ ، ص ١٠٧ .

تحصيل العلم قد أتاحا للبعض فرصة الارتقاء الاجتماعي، هو عائلة أقيت وعائلة بيغيغ نهض بهم علمهم حتى صاروا من أعلام البلاد وأبرزهم مكانة، وتقلدوا بعلمهم أرفع المناصب في الدولة^(١).

ومن هذا يتضح أن مجتمع دولتي مالي وُصنغى مجتمع طبقي، حيث ارتكزت فيه الطبقية علي جملة من العوامل التي أعطت لها خصوصيتها من أهمها السلطة والجاه، وشرف النسب، والعلم، والقراية. كما لعب المذهب المالكي دوراً في رفعة مكانة فقهاء هذا المذهب أيا كانت طبقاتهم التي يتسبون لها.

ومن هنا يمكننا تقسيم المجتمع في دولتي مالي وُصنغى آنذاك إلى طبقتين رئيسيتين هما: طبقة الخاصة، وطبقة العامة، حيث اندرج تحت كل طبقة مستويات مختلفة وفئات متباينة وسنحاول فيما يلي أن نعرض لكل طبقة لتعرف على المكانة الاجتماعية لفقهاء المالكية بين طبقات المجتمع المختلفة.

١- مكانة فقهاء المالكية لدي طبقة الخاصة :

تكونت هذه الطبقة أصلاً من أفراد الأسرة الحاكمة والحاشية وقادة الجند ورجال الدولة وحكام الأقاليم، وفقهاء السلطة والأعيان، فضلاً عن بعض البيوتات الوجيه المرتبطة بجهاز السلطة، وكانت هذه الطبقة هي أقل الفئات عدداً، ولكنها أكثرها سطوة وجاهاً، وغني و ثراء، وكان قمة هذه الطبقة بلاط دولة مالي الإسلامية الذي كان مليئاً بالفقهاء، وقد حظي هؤلاء العلماء الفقهاء بمنزلة كبيرة لدى حكام مالي حيث كانوا من المقررين إليهم، فهاهو الفقيه أبو عباس الدكالي^(٢)،

(١) السعدي : مصدر سابق، ص ٣٠٨.

(٢) نسبة إلى مدينة دكالة وهي : "تعرف كذلك باسم "يمويمن" وتقع بين مدينة مراكش وبين البحر المحيط، وهي مدينة كبيرة وهي نهاية فني العمارة، أنظر : الحميري : مصدر سابق، ص ٦١٩.

الذي كان معاصراً لمنسا موسى وكان يتولى خطة القضاء ويتمتع هذا الفقيه بمقام واحترام كبيرين^(١).

كما كان هناك أيضاً الفقيه القاضي أنفارقم الذي كانت له علاقة خاصة مع منسا موسى والذي كان يوقره ويحترمه كثيراً ، حيث كان هو الوحيد الذي يضافه^(٢). بالإضافة إلى الفقهاء الذين كانوا موجودين في دولة مالي ، ويذكر لنا ابن بطوطة أن مجلس منسا سليمان كان يحضره الخطيب والقاضي ، وكان هذان ضمن حاشيته المقربين^(٣). ومما يدل على ارتفاع مكانة الفقهاء لدى حكام مالي ما حدث في بلاط منسا سليمان ، حيث قامت زوجته (قسا) بالتأمر عليه مع ابن عمه ، وبعد اكتشاف أمرهما عزم منسا سليمان على معاقبة زوجته ، فهرت تلك الزوجة إلى دار الخطيب بعد عدم تمكنها من دخول المسجد . فلم يلحق بها أي أذى بسبب دخولها دار الخطيب ، مما يؤكد ارتفاع مكانة هؤلاء الفقهاء^(٤).

وقد ارتفعت مكانة فقهاء المالكية في دولة صُنغي لدي أفراد هذه الطبقة ، فقد اشتهر أسكيا محمد بحسن سياسته مع العلماء والقضاة والتي تلخص في الإحسان إليهم بكثرة العطاء^(٥). كما أنه كان يقدر العلم وأهله ، فإذا دخلوا عليه أجلسهم على سريره وقربهم ، وأمر بالأيقف أحد إلا للعلماء والحجاج ، ولا يأكل معه إلا العلماء والشرفاء وأولادهم^(٦)، وقد جعل ذلك قاعدة لمن أتوا من بعده ، ونرى هذا جلياً من

(١) ابن بطوطة : رحلته ، ص ٦٥٥.

(٢) يعتبر هذا حدثاً عظيماً جداً ، حيث كانت العادة هناك في السلام على ملوك السودان يكون بواسطة رمي التراب ، أو الدقيق على رأس الداخل عليه إظهاراً للتذلل أو الوقوع على الأرض والسجود له ، أنظر محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٣٥.

(٣) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٧.

(٤) المصدر السابق : ص ٦٧٠ ، ٦٧١.

(٥) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٧٢ ، ٧٣.

(٦) نفس المصدر والصفحة.

خلال عطاء الأسكيا محمد للقاضي المالكي محمود كعت (١٥٩٣-١٤٦٨م)^(١) ، فقد اشتهر أسكيا محمد بسياسته هذه مع العلماء والقضاة كافة والتي تلخص في التقرب إليهم بكثرة العطاء^(٢).

وثمة كثير من النصوص تبين ارتفاع مكانة فقهاء المالكية الاجتماعية لدى الأساكى ، يؤكد ذلك ما حظوا به من عطف وتقدير من جانب الأساكى ، ويتجلى ذلك من خلال التوصيات التي أكدت على وجوب تعظيمهم ، فضلا عما حازوه من هبات وإنعامات جعلت ابن خلدون يخلص إلى القول بأن "لحملة العلم بدولتهم مكان من الوجاهة"^(٣) وكانت خطة القضاء أعظم الخطط عند الخاصة والعامة ، كما كانت سمة الفقيه عندهم جليلة ، ولا مرأى في أن الثروات الواسعة إلى جانب الجاه الذي احتماوا به أعطاهم مكانه اجتماعية ونفوذا قل نظيره ، حتى إن بعضهم صاروا يدخلون المدن دخولا رسميا يشبه دخول الأمراء ، ومن ذلك ما حدث مع أسكيا داوود الذي وصفته بعض المصادر بأنه كان شديد التعظيم والإجلال لهم "يقر بهم ويكرمهم" شديد الاحتفاء بهم ، ومن ذلك خروجه لاستقبال القاضي محمود كعت حينما قدم إلى جاو ، حيث أكرمه كرما يليق بالعلماء^(٤).

وتذكر المصادر أن أسكيا داوود (٩١٣-٩٩١هـ / ١٥٤٩-١٥٨٢م) كثر عطاؤه للقاضي المالكي العاقب المتوفى عام (٩٩١هـ / ١٥٨٣) فأعطاه مائة من الذهب وطلب منه أن يقسمها بينه وبين أهله وذريته وبين من يستحق شيئا منهم^(٥).

(١) كرم الصاوي باز : البيت والعائلة السنغائية زمن الاسكيين (٨٩٩-١٠٠٠هـ / ١٤٩٣-١٥٩١م) ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٥م ، ص ١٦.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٧٢ ، ٧٣.

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٦.

(٤) الحاج مرحبا : فتح الحنان الثمان بأخبار السودان ، معهد البحوث والعلوم الإنسانية ، نيامي النيجر ، رقم ١٠٨ ، ص ٢٣ ب.

(٥) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٠٦ ، ١٠٧.

وقد نال هؤلاء الفقهاء مكانةً ونفوذاً في المجتمع الذي يجلبهم لكونهم حفظة الدين وحمله الشريعة ، وبالتالي أصبحوا محل رعاية خاصة من جانب الملوك والوجهاء والعامة على السواء^(١). ومن البديهي أن يحتل بعضهم مكانته ضمن طبقه الخاصة ، فهم يعتبرون العارفين بأحكام الغنائم والخراج والجباية وغيرها من الأحكام الفقهية ، وهم الذين يفتون بشرعية توجهات الملوك والأساكي. ومن ذلك ما حدث مع الفقيه محمود كعت عندما خرج مع الأسكيا داوود لاستقبال الحجيج وتقديم الهدايا لهم بعد عودتهم من رحلة الحج ، وقام الأسكيا داوود بنفسه تعظيماً لهم وقبل أيديهم ، وأقبل على رجل من عبيده يقبل يده وهولاً يعرفه ، فأشار له أحد رجال الدولة بأنه من العبيد ، وثار الأسكيا ، وهناك من حلف بقطع يد هذا العبد لتجرئه على مصافحة الأسكيا . وهنا سأل الأسكيا داوود الفقيه محمود كعت الذي أشار عليه بتقدير هذا العبد لأدائه فريضة الحج واستجاب هذا الأسكيا وقال للقاضي محمود كعت : "ولولا العلماء لكنا من الهالكين فجزأك الله عنا خيراً"^(٢).

وكان بعض الفقهاء قد أهلتهم ثرواتهم المادية والعقارية لتصدر قمه الهرم الاجتماعي كما هو الحال لأسرة أقيت ، وإذا كان هناك بعض الفقهاء الذين رفضوا أن يكونوا في زمرة الفئة الحاكمة فتهربوا من المناصب العليا فقد كان هناك بعض الفقهاء الذين تولوا بعض الخطط الدينية في الدولة واستغلوا مكانتهم لرعاية شؤون العامة والدفاع عنهم والشفاعة لهم ، وخير دليل على ذلك الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت الذي عرف برقه القلب كما كان عظيم الجاه وافر الحرمة عند الملوك و الناس كافة نافعاً لهم بجاهه لا ترد له شفاعة ، كما عرف بإنصافه للناس جميعاً دون تمييز^(٣).

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٧٦ .

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٤٢ .

كما كان هؤلاء الفقهاء يمثلون الهيئة الأكثر اعتباراً بين أفراد الطبقة الخاصة من حيث الثراء والسلطة^(١) ، وقد تولوا مناصب ذات أهمية ، على رأسها القضاء ، والفتوى ، والتدريس ، والإمامة ، والخطابة ، وغيرها من المناصب^(٢) وكان الحكام كثيراً ما يطلبون من بعضهم المشورة وإبداء الرأي في عدد من الأمور ويتضح هذا في أسئلة الأسكيا محمد للفقهاء المالكي المغيلي ، كما أخذ أسكيا داود رأي القاضي محمود كعت في كثير من الأمور^(٣) .

وهكذا ارتفعت مكانة معظم فقهاء المالكية ، يتبين ذلك من خلال الاحتفالات التي أقاموها في بيوتهم لتقبل التهاني من الأساكى والأعيان والأهالي في مناسباتهم الخاصة . وعندما رزق القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت بابنه محمد أهدي له أسكيا ألف مثقال من ذهب^(٤) .

ومما يؤكد أيضاً المستوى الاجتماعي الرفيع الذي كانت تعيش فيه هذه الفئة الخاصة المثقفة من فقهاء المالكية في تنبكت ، ما أصابها بعد نكبتها في عهد سني على وفرارهم باتجاه ولالة ، فكان ذلك أكبر نكبة عرفتها الطبقة المثقفة لأن اشتغالهم بالعلم دون العمل اليدوي جعلهم في حال ضعيفة^(٥) .

كما كانت هذه الفئة من الفقهاء تمتلك الخدم والعبيد ، كما كانوا يملكون وكلاء ينوبون عنهم في بعض المهام التي توكل إليهم مما أعطاهم الفرصة لحضور

(١) محمود كعت: مصدر سابق، ١٧٢، ١٧٣.

(٢) السعدي: مصدر سابق، ص ٥١.

(٣) محمود كعت: مصدر سابق، ص ٩٧، السعدي: مصدر سابق، ص ٢٨.

(٤) السعدي: مصدر سابق، ص ٣٤.

(٥) يقول السعدي في هذا الصدد: "... ويوم الرحيل ترى رجلاً كبيراً بلحيته إذا أراد أن يركب الإبل يبقى يرتعد خوفاً منه وإذا ركب طاح على الأرض عند قيامه لأن الأسلاف الصالحين أمسكوا أولادهم في جحورهم حتى كبروا ولا يعرفون شيئاً من أمور الدنيا..." ، أنظر السعدي: مصدر سابق، ص ٦٥.

الاحتفالات وحضور دروس الوعظ التي كانت تعقد ليلاً حيث كانوا قادتها وروادها ولذا كانوا على علم كبير ودائم بالحوادث الهامة في البلاد^(١).

وهكذا اندرجت العائلات التي انتسب إليها فقهاء المالكية ضمن طبقة الخاصة ، حيث اكتسبت هذه العائلات مكانة اجتماعية مرموقة بفضل توارث أفرادها بعض الخطط والوظائف الدينية والقضائية الرفيعة في جهاز الدولة ، ولا سيما منصب القضاء خاصة في عهد دولة صُغى^(٢) . وقد عاش معظم أفراد الطبقة الخاصة عيشة رغدة ، وتمتعت بكل المزايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحصلت على امتيازات كبيرة من الحكام^(٣).

٢. مكانة فقهاء المالكية لدى طبقة العامة :

حوت طبقة العامة شرائح اجتماعية متنوعة و شكل وضعها المادي المتردي قاسما مشتركا بينها ، فشملت الحرفيين والصناع والمزارعين والرعاة والصيادين ، بالإضافة إلى العبيد والأقنان .

وقد اعتقد بعض المؤرخين المحدثين^(٤) أن الفقهاء طبقة تعاونت مع الحكام لتغذية طبقة العامة بمفاهيم القضاء والقدر وبشرعية الحكم وإطاعة أولى الأمر . ولكن الحقيقة التي لا تقبل الشك أنه لم يكن الفقهاء طبقة اجتماعية بقدر ما كانوا شريحة اجتماعية على امتداد مجتمع السودان الغربي كله ، فبعضهم كان من المياسير والأغنياء ، وقد احتل هؤلاء الفقهاء مكانة خاصة لدى طبقة العامة في دولتي مالي

(١) محمود كعت: مصدر سابق، ص ١٧٢، ١٧٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٢، ٧٣.

(٣) المصدر السابق: ص ١٠٦، ١٠٧.

(٤) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، دار الثقافة الجديدة، تونس ١٩٧٨، ج ١،

وُصِنَ . ويرجع ذلك لكثرة الصدقة والعطاء للفقراء من جانبهم . ومن هؤلاء الفقهاء الفقيه الزاهد أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت الذي توفي عام (٩٩١هـ / ١٥٨٣م) والذي كان خيراً صيئاً وورعاً زاهداً تقياً أوهاً ولياً مباركاً ، معروف الصلاح ظاهر الزهد والورع متين الدين كثير الصدقة والعطاء^(١) . كما كان الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن موسى غريان الرأس المتوفى عام (١٠٢٠هـ / ١٦١١م)^(٢) زاهداً سخياً أخرج من ماله كله صدقة لله على الفقراء والمساكين وكذلك قام بشراء كثير من العبيد وأعتقهم لوجه الله تعالى^(٣)

كما كان فقهاء المالكية يتمتعون بمكانة ومنزلة رفيعة سواء لدى الطبقة الحاكمة أو لدى طبقة العامة ، حيث كانوا يقومون بدور الوسيط بينهم ، ومن ذلك كما تحدثت المصادر عن الفقيه محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي المتوفى عام (١٠٠٢هـ / ١٥٩٣م)^(٤) الذي يقال عنه إنه كان يسعى في حوائجهم ويضر نفسه لنفعهم ، ويتفجع لمكروهم ، ويصلح بينهم وينصحهم^(٥) . وكذلك الفقيه صالح بن محمد أند عمر المعروف (بصالح تكن) المستحرم عند السلاطين والذي كان يتشفع عندهم للمساكين ولا ترد له شفاعته^(٦) .

كما كان هؤلاء الفقهاء ملجأ للعامة من بطش هؤلاء الحكام ، فكانوا يفرون إلى دار الفقيه (القاضي أو الإمام) إذا تعرضوا لخطر هذه الحالة ومثلها كان قاعدة

(١) نفس المصدر : ص ٤٦ .

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٤) المصدر السابق : ص ٤١ .

(٥) المصدر السابق : ص ٤٤ .

(٦) المصدر السابق : ص ٣٦ .

قانونية لا يجوز للسلطان تعديها^(١) أو للفقهاء أن يردوها ولكن كان من واجبة الشرعي إرشاده إلى طريق الصواب والذي يتلاءم مع الشرعية الإسلامية^(٢) من ذلك ما حدث زمن منسا سليمان ، حيث قامت زوجته قاسا بالتآمر عليه مع ابن عمه ، وبعد افتضاح أمرهما ، عزم منسا سليمان على معاقبة زوجته ، التي هربت واستجارت بدار الخطيب بعد عدم تمكنها من المسجد فلم يلحقها أي أذى^(٣).

وقد تعلق قلب العامة من الفقراء والمساكين بالفقهاء بسبب الاهتمام بهم أثناء المحن والكوارث ، حيث إنهم اعتادوا على إظهار أعمال البر والخير ، وكذلك حث طبقة الخاصة والمياسير تجاه هؤلاء بكثرة الصدقات ومنح العطايا والهبات. فعندما حدثت المجاعة التي راح ضحيتها كثير من هؤلاء العامة (الفقراء والمساكين) قام الفقيه محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (٩٣٠ - ١٠٠٢ هـ / ١٥٢٣ - ١٥٩٣ م) بجمع التبرعات من المياسير في مدرسة الفقيه القاضي مؤدب محمد الكابري لتوزيعها على هؤلاء الفقراء والمساكين عند باب سنكري^(٤).

كما كان الفقهاء دائما يحثون الأسر الحاكمة على الاهتمام بالفقراء والمساكين وتقديم المساعدات لهم ، وخير دليل على ذلك أن القاضي العاقب بن محمود كان يأخذ من الأسكيا داود كل عام أربعة آلاف صينية ليقسمها على فقراء المدينة والمساكين^(٥).

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٩٧ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ٢٨ .

(٣) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧١ .

(٤) ومن عاداتهم أن يبعث كل إنسان غلامه بسجاده فيسقطها له بموضع يستحقه . حتي يذهب إلي

المسجد ، أنظر رحله ابن بطوطة ، مصدر سابق ، ص ٦٧٢ .

(٥) محمود كعت : مصدر سابق ص ١١٥ .

وقد زاد من مكانة فقهاء المالكية في مجتمع دولتي مالي وُصْنُغى ما أظهره بعضهم من بعض الكرامات التي تحدثت عنها بعض المصادر والمراجع منسوبة لعدد كبير من فضلاء الفقهاء المالكية والتي كان لها دور و أثر عميق في قلوب الخاصة والعامة على السواء، مما يدل على تقدير الفقهاء والعلماء في هذه البلاد، وخير دليل على ذلك ما ورد في كتاب أحمد بابا (تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء) عن بعض خصائص هؤلاء العلماء وما تمتعوا به من مكانة فقال: "...هذا جزء قصدت فيه إلى ذكر ما ورد من فضل العلماء والأخيار من الآيات والأخبار التي روتها الأئمة الأبرار، بما خصوا به من أنواع الإكرام، ومزيد الاعتبار، على جميع الخلق في كل الإعصار ليكون تنبيهاً لمن جهل جليل ما لهم من عظيم المقدار ليوفيهم ويجعلهم وسيلة لربه في المهمات الكبار..."^(١) إلى غير ذلك من كتب المصادر التي بينت مكانة فقهاء المالكية وخاصة بما أمتازوا به من قوة ودعم الإسلام في هذه البقاع النائية.

(١) أحمد بابا: تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، تحقيق سعيد سامي، المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، نصوص ووثائق، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ص ١٣، ومن ذلك ما ذكرته كتب المصادر عن سيدي يحيى، فتقول: حدثنا الشيخ الفقيه الأمين بن أحمد أن جوارى الشيخ سيدي يحيى طبخن حوتا طريا من الصبح إلى العشى فلم تؤثر فيه النار فتعجب من ذلك حتى سمعه الشيخ فقال لمن: "أن رجلي مست شيتا مبلولا في السقيفة حين خرجت لصلاة الصبح اليوم لعل هو والنار لا تحرق ما من جسدي".... أنظر السعدي: مصدر سابق، ص ٥١، وكذلك ما جاء به كتب المصادر عن الفقيه أحمد بن عمر محمد أقيت أنه لما زار القبر الشريف طلب الدخول إلى داخله فجلس خارجه يمدحه ﷺ فأنحل الباب له وحده بلا سبب فتبادروا لتقيل يده، والفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت، صاحب الكرامات كم نودي في مواطن الغيبة لتفريج الشدائد والملمات فحضر وأنفذ...! وبعد ما دفن أخوة الأكبر الحاج أحمد ورجع لداره صار حزينا جدا بحيث يعزبه الناس ولا يفتن لهم، فلما جاء بدار عثمان طالب تنفس الصعداء، وقال الآن أفترق أخي أحمد عن الملائكة وعلم الناس أنه يشاهدهم، وتقول المصادر إن هذا نوع عظيم من الكرامات والمكاشفات أنظر السعدي المصدر السابق، ص ٣١، وهذا الفقيه إبراهيم بن الفقيه القاضي عمر حدث بينه وبين الاسكيا محمد مشادة قام مغضبا فسار نحو المرسى وقال لا صحابه: نسير ونقطع البحر ونمشى في حالنا، فلما وصل البحر أراد أن يدخل فيه قالوا: له القارب ما كانت الساعة أصبر حتى يجيئني قال: ولو لم يكن فقهوا منه أنه يقطع البحر بلا

ثالثاً: دور فقهاء المالكية تجاه العادات والتقاليد ذات الأصول الوثنية:

حاول فقهاء المالكية جاهدين تبني المفاهيم الإسلامية في الأوساط الاجتماعية داخل مجتمع السودان الغربي على مختلف فئاته حيث كان هذا المجتمع قد أخذ معه الكثير من العادات والتقاليد ذات الأصول الوثنية ، وذلك أثناء تحوله إلى الإسلام ، وقد واجه العلماء كثيراً من المخالفات الاجتماعية والبدع وكثيراً من مظاهر الشرك التي كانت سائدة قبل الإسلام حيث ألقت هذه الوثنيات القديمة بظلالها على عادات الكثير منهم نتيجة تمسكهم بتلك العادات التي توارثوها عن أسلافهم

ولما كان الفقهاء يمثلون الطبقة الدينية المثقفة في المجتمع فقد كانوا موضع نظر الحكام والعامّة على السواء ، يسترشدون برأيهم ويتظنون مواقفهم الإصلاحية . ومن هنا كان عبء الإصلاحات الاجتماعية ومحاولة الحفاظ على قيم المجتمع المسلم ومبادئه ملقاة في المقام الأول على كواهل هؤلاء الفقهاء فأعين الناس حكماً ومحكومين تتجه إليهم .

وقد بذل هؤلاء الفقهاء جهوداً كبيرة وشاقة في مقاومة فساد الأجواء المحيطة بهم ومحاربة الفساد والمفسدين في البلاد ، كما حاولوا المحافظة على الآداب العامة في

قارب (أي عنده مقدرة على المشي على الماء) ، أنظر السعدي المصدر السابق ، للفقير أبي القاسم التواتي : المتوفى عام (٩٢٢هـ / ١٥١٦م) الذي كان صاحب كرامات وبركات يطعم الطعام وكثرة أطعمته للمداحين لشدة محبته للمدح النبي ﷺ وموضع المدح قريب من داره ومتى سمعهم يمدحون خرج إليهم بالأرغفة المسخونة كأنها خرجت من الفرن في تلك اللحظة ولو كان في جوف الليل حتى تبين للناس أنها نوع من الكرامة ، ومن كراماته أيضاً أن المؤمنين رأوا الماء يقطر من ثيابه يوماً واحداً وهو في صلاة الصبح ويفلس بها جداً فلما سئل ؟ قال : استغاث بي غريق تلك الساعة في بحر دب فأنقذته من الغرق في الماء (وهو جالس معهم بدون ذهاب) وروى أن الناس ازدحوا على نعشه في الليلة المظلمة وتصادموا حتى سقطوا على الأرض جميعاً وبقي النعش في الهواء واقفاً بقدرة الباري سبحانه حتى قاموا وأمسكوه ورأي الناس هناك جماعة كثيرة غير معروفين وذلك من كراماته والله أعلم. أنظر السعدي : المصدر السابق ، ص ٥٩ ، وغير ذلك كثير في كتب المصادر.

الطرق والمناسبات المختلفة وغير ذلك . وقد حلت أسئلة فقهاء المالكية إلى الإمام السيوطي ، وكذلك أسئلة الأسكيا محمد إلى الإمام المغيل كثيراً من هذه الهموم لاستبيان رأى الدين الإسلامي فيها .

ويمكن تقسيم عادات أهل السودان الغربي إلى عادات إيجابية وأخرى سلبية، ويأتي على رأس العادات الإيجابية ظاهرة التدين ، التي أشار إليها الرحالة الذين خالطوا أهل هذه البلاد ، فهي هو ابن بطوطة^(١) يصف سكان تلك البلاد الذين عاينهم وتعامل معهم خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر للميلاد ، فذكر أنه "في كثير منهم التدين القوى" . وتجلت مظاهر هذا التدين في أروع صورها إبان محافظتهم على الصلوات والتزامهم بها في الجماعات ، وضرب أولادهم عليها ، وإذا كان يوم الجمعة ولم يكر الإنسان إلى المسجد لم يجد مكاناً للصلاة لكثرة المصلين^(٢) .

وتتجلي مظاهر تدينهم كذلك في عنايتهم بحفظ القرآن الكريم ، فهم يقيدون أولادهم إذا ظهر منهم التقصير في حفظه فلا ترفع هذه القيود عنهم حتى يحفظوه^(٣)

(١) هو أبو عبد الله محمد اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة : وصل بلاد مالي في أعوام (٧٥٣-٧٥٤هـ/ ١٣٥١-١٣٥٣م) . في عهد مانسا سليمان .

(٢) ومن عاداتهم أن يبعث كل إنسان غلامه بسجاده فيسقطها له بموضع يستحقه بها حتى يذهب إلى المسجد ، أنظر رحلة ابن بطوطة ، مصدر سابق ، ص ٦٧٢ .

(٣) وقد دخل ابن بطوطة يوم العيد وأولاده مقيدون ف قيل له : ألا ترحمهم ؟ فقال : لا أفعل حتى يحفظوا القرآن ، وكذلك مر بشاب منهم حسن الصورة عليه ثياب فاخرة ، وفي رجله قيد ثقيل فقال لمن معه : ما فعل هذا ، أقتل ؟ ففهم الشاب وضحك وقال لابن بطوطة : إنما قيد حتى يحفظ القرآن ، أنظر رحلة ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٣ .

كما يعد العدل من عاداتهم الإيجابية ، بالإضافة إلى انتشار الأمن في بلادهم ، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب ، كما إنهم موقنون من عدم التعرض لمال من يموت ببلادهم من المسلمين الوافدين إليهم ، ولو كان قناطير مقنطرة إنما كانوا يتركونه بيد ثقة من هؤلاء المسلمين الوافدين حتى يأتي ويأخذه من يستحقه^(١).

ومن عاداتهم الإيجابية أيضا حب النظافة والاعتناء بها شهد لهم بهذه الظاهرة أيضا الرحالة ابن بطوطة ، ومنها ارتداؤهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لأحدهم إلا قميص خرق غسله ونظفه وشهد به صلاة الجمعة^(٢).

أما العادات السلبية فيمكننا رصد بعض منها استنادا إلى ما ذكرته المصادر ويأتي على رأسها الاعتقاد في الأساطير والخرافات والقوى السحرية واتخاذ الطلاسم ، فقد كان من العادات المتوارثة فيما يتعلق بالمريض أنه إذا أراد أهله أن يعلموا أن كان سيشفى أو سيموت ، كانوا يكسرون البيض فوق رأس هذا المريض ، كما كانوا يقومون بنحر الذبائح تحت أقدامه . وكذلك كانوا يعتقدون في أهل السحر الذين يستعملون أسماء الله الحسنى وآياته في غير المباح للتفريق بين المرء وزوجه ، ومنهم من يزعم أنه يعرف ما إذا كرهت البهيمة أولادها و سبب ذلك ، فيأخذون من أشعار رأسه أو لحيته فيبخرونه على تلك البهيمة فيوافق مرة ومرة لا^(٣) . ومنهم من يكتب لمن أراد حاجة عند أحد مما جعل أهل السحر

(١) المصدر السابق ، ص ٦٧٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٧٣ .

(٣) عبد الرحمن السيوطي : الحاوي للفتاوى ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م ، ص ٣٤١ .

أرفع مقاما وأكثر رزقا وحكما^(١) ومنهم من يقول ويعتقد أن بعض الناس يقتلون بعضا بمس أو مقاربة ويزعمون أنهم يمرضونهم ، وإذا أعطوهم ما أرادوه داووههم ومنعوا عنهم أذاهم^(٢) ومنهم من يمشی بين العوام ويناجي كل من يلقاه : ألا أريك رقية العين من أجل المحبة والنكاح ودخلة القلوب والقبول عند السلاطين ، وأمثال ذلك من أمور السحر والشعوذة^(٣).

كما ظهر بينهم أيضاً من يدعى أنه يعلم الغيب ، باستخدام خط الرمل ونحوه^(٤) ، ومنهم من يترصد مواقع النجوم ويترجم وضعها في ذلك المكان إلى حوادث معينة ستحدث ، والبعض الآخر يترجم أصوات الطيور إلى أشياء معينة^(٥).

(١) منهم من إذا سرق ماله أخذ المتهمين فيوقد نارا ويقيد المتهمين بشي قصير ويأمرهم بالمشي عليه فيمرون فالذي يسرق تارة تحرقه النار، والذي لا يسرق لا تحرقه ولا تحمسه ، ومنهم من يأخذ المتهم ، ويأخذ المرأة ويعلقها على خيط ويأخذ الخيط ويدل المرأة ويجعل الخططين في الأرض ويجعل الرماد على خط واحد من الأرض ويترك الآخر ويدليها على وسط الخططين ويقرأون سورة يس على ذلك فإن تحركت المرأة وجرت على طريق الرماد ثبتت السرقة عليه وإلا فلا أنظر : السيوطي مصدر سابق، ص ٣٤١، الهادي مبروك الدلي : مرجع سابق ، ص ٤٤.

(٢) السيوطي : مصدر سابق ، ص ٣٤١ ، ويروى السعدي : أن أحد المشعوذين أحضر خاوية مملوءة بالماء وقرأ عليها ونادي باسم فأجاب وقال له أخرج لي فخرج شخص من الماء بقدره الله على شكل الرجل الذي يريد الانتقام منه وجعل الحديد في رجله ، وطعته بالحربة ، أنظر السعدي : مصدر سابق ، ص ٩٩.

(٣) السيوطي : المصدر السابق ، ص ٣٤٣.

(٤) يستخدم خط الرمل لمعرفة الحاضر أو المستقبل ، وله ست عشرة حالة ، وأسماء وبعضها يرمز للخير والبعض الآخر للشر ، ومن يريد استعماله يأتي بتراب نظيف ، ويسطه على الأرض ، ثم ينقط فيه بالأصابع الوسطى أربعة أسطر . من غير عدد بالحذف زوجا فزوجا إلى أن ينتهي إلى الآخر ، وإذا كان زوجا أو فردا أثبتته ، ثم ثبت ما تبقى من السطر الأول أولا ، ومن السطر الثاني بعده ، إلى أن تنتهي الأربعة أسطر فيتكون منها شكل عددي ، يستخلص من خلاله الحال والطلب ، التاريخ الحضاري : مرجع سابق ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٥) المغيل : مصدر سابق ، ص ٣٤.

وكانت هناك حلقات تعقد في الأسواق ومحلة للعرافين والذين يستخرجون العين ، وكان أكثر روادها من النساء ، وعندهم طلاس للنكاح والبيع والشراء و الرهج والحروب والمحبة ووجع الرأس والضرس ويزعمون أنهم ملوك الدنيا وأبناء الأنبياء^(١) .

وقد أنكر فقهاء المالكية في تلك البلاد تلك السلوكيات وكان لهم دور تجاه هؤلاء السحرة ومن يتعاملون معهم فكانوا يحاولون إقناعهم هم ومن يتعامل معهم بالبعد عن السحر . فإذا فشلت محاولاتهم هذه لجأوا إلى الحكام لتحريضهم على هؤلاء السحرة ويطالبون السلاطين بقتل هؤلاء السحرة^(٢) نظرا لخطورتهم ونفوذهم وهيبتهم الكبيرة لدى الأهالي .

كما كانت هناك ممارسات وثنية تؤدي مع العبادات الشرعية بل اختلطت بها ، واعتقد العامة أنها جزء منها ، ومن ذلك أنهم قوم يشهدون أن لا اله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وعادة بعضهم بناء المساجد وتلاوة القرآن والعلوم والمدايح والحج ومع ذلك كان بعضهم يعتقدون أن هناك من ينفعهم ويضرهم غير الله عز وجل ، حيث كان لهم أصنام يتقربون إليها لها ويذبحون ، وبعضهم الآخر يعظمون الأشجار ويذبحون عندها الذبائح^(٣) . والراجح أن فقهاء المالكية استغلوا مجالس الوعظ في محاربة هذه السلوكيات الوثنية بالإضافة إلى الخطب الدينية كخطبة الجمعة ، كما وأجّه فقهاء المالكية في مجالس الوعظ والخطابة بعض السلوكيات المخالفة للشرع مثل أناس كانوا يؤدون صلاتهم بالتميم فلا يتوضأ أحدهم إلا نادرا ، وكانوا

SUPERNATURAL IN THE AFRICAN EPIC, A Dissertation
Submitted to The Temple University, Graduate Board, ٢٠٠٤, pp ٩١/١٠٠

(١) السيوطي: الحاوي للفتاوى ، ص ٣٣٩ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩١ .

(٣) المغيلي : أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي ، مصدر سابق ، ص ٣٥ .

أيضاً لا يغتسلون من الجنابة إلا نادراً، ولا تصوم نساؤهم ولا تصلي إحداهن إلا إذا كبرت ، ويدخلن المساجد ومع كل واحدة منهن عصا^(١).

كما واجه فقهاء المالكية حالات الغش في الأسواق ، فقد كان بعضهم يقوم بخلط اللبن بالماء ، وبيع اللحم مع الشحم ، ومنهم من يقوم بنفخ اللحم^(٢) ، ومنهم من إذا اشترى سلعة حازها وذهب بها قبل أن يدفع لصاحبها ثمنها ، فإذا ندم أو لم يبيعها بريح وطلب منه صاحبها ثمنها قال له : خذ سلعتك أو اصبر حتى نبيعها^(٣). ومنهم من يطفف المكيال والميزان بالزيادة والنقصان ، ومنهم من يغش الذهب والفضة بالنحاس ، أو يأبى أن ينزف التبر من التراب^(٤).

كما انتشرت بينهم النميعة والتجسس والبخل والجبن والقسوة والظلم والفساد وقطع صلة الرحم وشهادة الزور والحلف بالأباء والأمهات والتكبر وأكل الحرام^(٥) ، ويذكر ابن بطوطة ، أن كثيراً منهم يأكلون الجيف والكلاب والحمير^(٦).

ومن العادات التي استتبعها الرحالة لبعض أهالي البلاد عادة عدم احتشام بعض النساء من الرجال ، وكذلك عدم احتجاب المرأة عن أخي زوجها وابن عمه أو صاحبه مع مواظبتهن على الصلاة ، كما كان لدين الأصدقاء والأصحاب من

(١) السيوطي : المصدر السابق ، ص ٣٣٨.

(٢) المغيل : مصدر سابق ، ص ٦٣.

(٣) السيوطي : مصدر سابق ، ص ٣٣٩ ، المغيل : مصدر سابق ، ص ٦٣.

(٤) وهذا معروف من أيام غانا في القرن الحادي عشر حيث توافرت في كتب الرحالة العرب ، على أن الملوك في السودان الغربي ، كانوا يصطفون لأنفسهم السباتك الذهبية ، ولا يتركون للناس إلا تراب الذهب (التبر) للتعامل ، وهم يفعلون ذلك لكي تبقى للذهب أهميته "

(٥) السيوطي : الحاوي للفتاوى ، مصدر سابق ، ص ٣٣٨.

(٦) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٢.

الرجال الأجانب ، ويدخل الرجل داره فيجد امرأته ومعها صاحبها فلا ينكر ذلك ،
كما كان للرجال صواحب من النساء الأجنبية^(١).

وكذلك أنكر الرحالة عادة العري وكشف عورات النساء الحرائر والإماء وإن
كانت بنت القاضي ، وتلك عادة كانت مشهورة ومطرودة بينهم^(٢).

وهنا أفتى الفقهاء للأسكيا محمد بما يقتضيه الشرع تجاه عادة العري
والاختلاط ، وبالفعل كان الأسكيا الحاج محمد أول حاكم سوداني غربي يرغم المرأة
على اتباع قواعد السلوك والآداب الإسلامية الحميدة في الزي ، وفي عدم الاختلاط
بالرجال إلا في حدود الشرع ، وبلغ في صرامة مراقبة سلوك الرعايا لضمان الالتزام
الإسلامي أن رجال الشرطة في عهده ، كانوا لا يترددون في إلقاء القبض على أي
رجل يشاهد في صحبة امرأة أجنبية عنه أو في حديث معها ، ثم يوضع في السجن^(٣)
وهكذا أعان فقهاء المالكية الاسكيا محمد في مواجهة عادة الاختلاط وشددوا على
تحريم هذا الأمر ونفذ الأسكيا فتواهم .

(١) المصدر السابق والصفحة .

(٢) وكذلك هناك عادة عري النساء وهذا ما شاهده ابن بطوطة فقال: "ومن مساوى أفعالهم كون الخدم
والجوارى والبنات الصغار يظهرن للناس عرايا باديات العورات ، ولقد كنت أرى في رمضان كثيرا منهن
على تلك الصورة ، فإن عادة الفرارية أن يفطروا بدار السلطان ويأتي كل واحد منهم بطعامه تحمله
العشرون فما فوقهن من جواريهن ، وهن عرايا . ويذكر كذلك دخول النساء على السلطان عرايا غير
مستترات ، وكذلك تعري بناته ، وقد شاهد خروج نحو مائة جارية يحملن الطعام إلى قصره عرايا في ليلة
السابع والعشرين ومعهن بتان لمن ناهدان ليس عليهما ستر ، وكانت عادة كشف عورات الحرائر والإماء
متفشية بينهم حتى كانت البنت في جني لأتستر شيئا من عورتها مادامت بكرا ولو بلغت خمسين سنة
وكانت شابة من أجل النساء تخرج بين الناس عريانة بلا ستر أصلا ، وهى بين أبيها وإخوانها كذلك ،
حتى تتزوج ، ولو كانت بنت السلطان أو القاضي ، أنظر : ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ٦٧٣ ، عبد
القادر زبادة : أمثلة الاسكيا ، ص ٦٣ ، السيوطي : الحاوي ، ص ٣٣٩ .

(٣) جوزيف كيزريو : تاريخ أفريقيا السوداء ، باريس ، ١٩٧٨ ، ص ١٤٥ .

كما كان عند الملوك عادة وطء الحسان بدون زواج وهذا ما ذكره العمري^(١) فقال : "وذكر لي عنه ابن أمير حاجب أنه حكى أن من عادة أهل مملكته أنه إذا نشأ لأحد منهم بنت حسناء قدمها له موطوءة فيملكها بغير زواج ، مثل ملك اليمن ، فقلت لمنسا موسى : "إن هذا لا يحل لمسلم شرعا " فقال : ولا للملوك ؟ فقلت ولا للملوك واسأل العلماء فقال منسا موسى : "والله ما كنت أعلم ذلك وقد تركته من الآن"^(٢).

كما كانوا يتناكحون بغير صداق ، ومنهم من حرفته أن يتزوج النساء الكثيرات الأموال ويعيش علي رزقهن^(٣) ، وكان أولياء الأمور لا يزوجون بناتهم إلا للصاحب مال ونسب ، ولا يزوجون الفقير ولو كان عالما صالحا تقيا^(٤).

وهنا جاء دور الفقهاء المصلحين الذين قاموا بما يشبه ثورة التصحيح لتصحيح الشريعة الإسلامية بعد عهد سني على الذي أحدث انتكاسة للشريعة الإسلامية الصحيحة بعد عهد دولة مالي ، فظهرت صور كثيرة للفساد الاجتماعي والديني طوال عهده وحتى بعد وفاته عام (٨٥٥هـ / ١٤٥١م) ، فبذل هؤلاء الفقهاء جهدا كبيرا لإصلاح هذه العادات وفق الشريعة الإسلامية ولو أنهم لم يستطيعوا القضاء عليها جميعها^(٥).

ومن العادات السلبية الأخرى التي انتشرت في المجتمع بين أهل مالي وُصنفي العادات الخاصة بالميراث فهم لا يتوارثون على الكتاب والسنة ، وإنما كان

(١) هو ابن فضل الله ، المتوفى عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م. مسالك الإيبصار في ممالك الأمصار ، ج٤ ، ١١٩ ، ١٢٠.

(٢) القلقشندي : مصدر سابق ، ص ٢٩٦.

(٣) عبد الرحمن السيوطي : مصدر سابق ، ص ٣٣٧.

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٤٢.

(٥) المغيل : مصدر سابق ، ص ٢٤٢.

يأخذ مال الميت ابن أخته، وكانوا على هذه الحالة منذ القدم^(١) وفيهم كذلك من يقر الميراث كما فرضه الله تعالى ، ولكن إذا كان في الورثة كبير استولى على جميع التركة ، ويدعى بأنه في منزلة أبيهم ، ويقوم بإعطاء الزوجة نصيبها ويستولى هو على المتبقي ، من غير إيباء ولا تقديم ولا رضى أحد منهم ولا يتعرض له أحد في ذلك مدة حياته ، حتى إذا مات استولى على تركته الأقوى أيضا ، وبعضهم لا يورث الزوجة ولا غيرها من النساء^(٢).

وكذلك من عاداتهم السلبية أن منهم من كان يقوم باسترقاق الأحرار ويدعوهم بالعبيد، فإن مات من ادعى عليه ذلك لم يقسموا ماله بين ورثته لانهم رقيق في نظرهم وإن قلت لهم هؤلاء أحرار كادوا يقتلونك ويقولون: هؤلاء عبيد أتباع للسيف ، ومنهم من يسخر منهم ويأخذ منهم الأموال ولا يضرهم في أنفسهم ، ومنهم من يبيعهم بالتنافس والتنازع^(٣) وهنا أتى دور الفقهاء الذين استشارهم الأسكيا الحاج محمد الكبير وأخذ برأيهم في عادة الاسترقاق وتحطيمها بصفة رسمية^(٤).

(١) السيوطي : المصدر السابق ، ص ٣٣٧ .

(٢) "وهنا يقرر الباحثون أن البشرية كانت في أطوار سابقة تعتبر قضايا الإرث والاستخلاف مرتبطة بالأم ، لان إلام هي ربة المنزل ، وهي التي يعود إليها جميع الأفراد في العائلة ، وقد كان ذلك أكثر وضوحا لما كانت البشرية تمر بأطوار لم ينتظم فيها الزواج ، فقد يكون للأم عدد من الأزواج في أن واحد ، وفي مثل هذه الحالة ، فإن الأم وحدها هي التي تمثل الأصالة في انحدار جميع أفراد العائلة من نسلها".

(٣) السيوطي : مصدر سابق ، ص ٣٣٧ .

(٤) فاي منصور على : أسكيا الحاج محمد وإحياء دوله السنغهاي الاسلامية (٩٣٥-٨٨٩هـ / ١٥٢٩-١٤٩٣م) منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، الجماهيرية العظمى ، طرابلس ، ص ٦٤ .

(٤) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١١٤ .

ومن العادات السلبيه التي اتسم بها القصر الملكي في جاو أثناء مجلس يوم الجمعة ما حدث من الاسكيا داوود ١٥٤٩-١٥٨٢م. الذي كان يجلس وحوله عبيده الخصيان يقفون على رأسه وهم نحو سبعمائة وعلى كل واحد لباس حرير فإذا أراد الاسكيا أن ييصق أو يتفل أسرع إليه بعض الخصيان وبسط له كفه فييصق الاسكيا فيه ثم يسمح فاه من النخام^(١) ، وكان أن شاهد هذا الفعل الفقيه أحمد بن سعيد سبط القاضي محمود بن عمر بن عمر أثناء وجوده في العاصمة فتكلم مع الاسكيا داوود وانتقده ورفض هذا التصرف^(٢) .

رابعاً : فقهاء المالكية والاحتفالات الدينية :

احتفل أهالي مالي وُصنغى بالمناسبات العامة كالأعياد الدينية وشاركهم فقهاء المالكية هذه الاحتفالات ومنها الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج فكان الأهالي يحى هذه الليلة ، ويصوم معظمهم اليوم السابق لها ، ويقوم فقهاء المالكية بقراءة القرآن الكريم والمدائح النبوية ، كما كانوا يقومون بشرح أهمية هذه الذكرى ، وموقف أبو بكر الصديق والصحابه منها ، وكذلك موقف المرتدين والمشركين من رسول الله ﷺ ، ويكون ذلك في المساجد والأماكن المختارة لهذه المناسبات^(٣) .

كما شارك فقهاء المالكية في الاحتفال بالمولد النبوي ، وكان هناك حرص على الاحتفال بهذا اليوم في مالي وُصنغى وهو في شهر ربيع الأول من كل عام. ويلقى هذا الاحتفال مزيداً من الاهتمام والتبجيل تقديراً وتبركاً بذكرى سيد الأنام محمد بن عبد الله ﷺ حيث يقوم فقهاء المالكية في هذا الاحتفال بإلقاء دروس الوعظ والإرشاد ، وكذلك الدروس الدينية حول سيرة خير البرية ﷺ في المساجد والجوامع ، كما تنشُد

(٢) المصدر السابق والصفحة .

(٣) المصدر السابق ، ص ١١ ، الفتالي : مناهل الصفا في أخبار موالينا الشرفا مصدر سابق ، ص ٢٦٤ .

المدائح النبوية بأبيات عربية في ساحات المساجد حتى الثلث الأخير من الليل^(١)، وكان الفقيه أبو حفص عمر بن الحاج أحمد يداوم في هذا اليوم على مدح رسول الله ﷺ في الصباح وفي المساء، كما كان الأهالي يحرصون على تقديم الطعام للمداحين لشدة محبتهم لمدح النبي ﷺ^(٢) وفي يوم العقيقة وهو اليوم الثامن عشر من شهر ربيع الأول يتوجه كافة الناس وعامتهم إلى جامع سنكري لمشاركة فقهاء المالكية في دعاء ختم القرآن الذي يختم إحياء لذكرى مولد النبي الشريف ﷺ^(٣).

كما كان لفقهاء المالكية دور مهم في استعداد مسلمي تلك البلاد لاستقبال شهر رمضان تطبيقاً لتعاليم السنة النبوية الكريمة، فكانوا يحثون الناس على أن يكثرُوا من العبادة وفعل الخير و التردد على المساجد في أوقاتها، بالإضافة إلى حثهم على قراءة القرآن الكريم. كما كانوا يقومون بسرود أو تدريس كتاب الشفا لعياض في مسجد سنكري في كل يوم من أيام شهر رمضان وفي المدن الكبرى مثل تنبكت وجني و جاو^(٤).

وعندما يقبل شهر رمضان فإن الأهالي يستعدون له بشتى أصناف الأطعمة والحلوى، وفي ليلة القدر يسهر الأهالي في هذه الليلة العظيمة وهي ليلة السابع

(١) محمود كعت : مصدر السابق ، ص ٦٠ ، مجهول : تذكرة ، ص ٢٠ .

(٢) MBOW Panda : Les péripéties du voyage de Tombouctou, p : ٣٤١ , la culture Arabe international tenu a Tombouctou en Août ١٩٩٥ , Publication de la foundation ta mimi Zaghoune , Tunisie ١٩٩٧ كما كان يفعل

الإمام أبا القاسم التواتي إمام الجامع الكبير ، أنظر السعدي ، مصدر سابق ، ص ٥٩ .

(٣) مجهول : تذكرة النسيان ، ص ١٥٧ .

(٤) مثلما كان يفعل الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت ، وكذلك أبو حفص عمر ابن الحاج أحمد ، والفقيه محمد الأمين بن القاضي سيد أحمد الذي كان يدرس كتاب الشفا للقاضي عياض لمدة ثلاث سنوات في رمضان ، أنظر السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٣ ، ٣٨ ، مجهول : تذكرة ، مصدر سابق ص ٥٤ .

والعشرين من شهر رمضان المبارك وذلك بالعبادة والذكر والإرشاد في المساجد حتى الفجر^(١)، أما الاعتكاف في العشر الأواخر من شهر رمضان فكان يوجد بكل مسجد^(٢)، وأيضاً تقام في بيوت الأغنياء احتفالات كبيرة طوال شهر رمضان يتم فيها قراءة القرآن الكريم، وشرح السيرة النبوية، وسير الصالحين، كما تقام موائد الطعام والشرب تمجيداً لهذا الشهر الكريم.

وعندما يأتي موعد الاحتفال بعيد الفطر والذي يسمى في مالي وُصْنُغِي (فيرمي جينغر) ويعني عيد تسريح الفم للأكل والشرب، وهو عيد يختم به شهر رمضان المبارك فكان الاحتفال يبدأ منذ الليلة السابقة له حيث تتم مراقبة الهلال، وبمجرد التأكد من رؤيته يقصد العدول من الرجال دار القاضي أو السلطان للإدلاء بشهادة رؤية الهلال، ويبدأ في اليوم الأول من شهر شوال ويستمر عندهم على مدار ثلاثة أيام تسودها مظاهر الاحتفال الديني. ففي دولتي مالي وُصْنُغِي كان الفقهاء والأهالي يخرجون إلى المصلى مرتدين الملابس البيضاء، ويتظرون السلطان الذي يأتي إليهم واضعاً طيلساناً على رأسه، لا يلبسه إلا في الأعياد مشاركاً في ذلك فقهاء المالكية، الذين يلبسونه طيلة العام. وكان من عادات الأهالي أنهم عندما يمثلون بين يدي السلطان يتعالى تكبيرهم وتهليلهم وبأيديهم الأعلام الحمراء المصنوعة من الحرير، وبعد الانتهاء من الخطبة ينزل الخطيب من على المنبر، ويجلس بين يدي السلطان ويبدأ بذكر مآثره الحسنة، وكذلك يدعو إلى طاعة السلطان، وكان المترجم الذي يعرف (بالدوغا) يترجم للناس مقالة هذا الخطيب^(٣).

وكان الاحتفال بعيد الأضحى من أهم الاحتفالات الدينية التي حرص عليها فقهاء المالكية ويسمى في مالي وُصْنُغِي "كيبسي" وهو تحريف للكلمة العربية

(١) محمود كمت: مصدر سابق، ص ١٨٠، مجهول: مصدر سابق، ص ٨٤.

(٢) محمود كمت: مصدر سابق، ص ١٨٠، مجهول: مصدر سابق، ص ٨٤.

(٣) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٦٨٦، ٦٨٧.

الكبش أي عيد الكبش ، الذي يأتي في العاشر من شهر ذي الحجة . ويسبق الاحتفال صيام يوم عرفة وكما هو معروف فهو يوم وقوف الحجاج بجبل عرفة ، ومن أجل مشاركة هؤلاء الحجاج في موقفهم يصوم المسلمون هذا اليوم باعتباره يوماً عظيماً ومقدساً في حياة الأمة الإسلامية ، ويقوم فقهاء المالكية في هذه الأيام بواجبهم الديني ، كما يقرأون القرآن الكريم والمدائح النبوية في المساجد والأماكن المختارة لهذه المناسبات^(١) .

وكان الاحتفال بيوم عاشوراء يسمى (ديدو) وهو في اليوم العاشر من شهر المحرم ، وهو عيد يحظى باهتمام بالغ لدى مجتمعي مالي وُصْنَي ، حيث إنهم يعتبرونه يوماً لتطهير النفوس وتهذيبها لسنة جديدة فكانوا يتزاورون فيما بينهم طالبين العفو والساحة ، ويقولون في هذا اليوم (يسي غوما) ، بمعنى : أرنا الله السنة القادمة بالسعادة والازدهار ويشارك فقهاء المالكية في هذا الاحتفال بأن ينظموا حلقات الذكر والوعظ والإرشاد في مختلف أرجاء المدن ، إضافة إلى تلاوة القرآن وختمه ، وقراءة كتاب دلائل الخيرات بالجوامع ، وفي بيوت بعض العائلات الموسرة^(٢) .

ويعكس لنا هذا الأمر مدى تأثير فقهاء المالكية في مجتمع مالي وُصْنَي وحرصهم على استغلال المناسبات الدينية الإسلامية ودفعهم إلى اتخاذ مستهل السنة القمرية رمزاً لطلب العفو وتحقيق وتعميق أواصر القربى وتوثيق صلوات الرحم وتوطيد العلاقة الأخوية الدائمة والمستمرة بين أبناء العائلات في هذا المجتمع .

كما كانت هناك احتفالات موسمية أخرى كالاحتفال بخروج وعودة موكب الحجاج وكان لهذا الاحتفال أثر كبير في نفوس الحكام والفقهاء وعامة الشعب لما فيه

(١) كعت: المصدر السابق ، ص ١١ ، الفشتال : مناهل الصفا في أخبار موالينا الشرفا ، مصدر سابق ،

من إجلال وقداسة لديهم ، فإذا جاء مرعد الرحيل للرحلة المقدسة وكان في هذه الرحلة الملوك أو السلاطين يخرج في وداعهم كبار رجال دولتهم وعامة الشعب والجيش^(١).

وكان لفقهاء المالكية حضور كبير في هذه الرحلة مما أضفى عليها السكينة والوقار، خاصة لوجود القاضي الذي له أهمية كبرى في هذه الرحلة لما قد يتعرضون له من نوازل وأحداث أثناء السير إلى الحج فكانوا يقومون له بالفصل فيها ، وكذلك الفصل بين الأفراد فيما يحدث بينهم أثناء المسير^(٢). كما كان للفقهاء دور كبير في مساعدة غيرهم من غير القادرين على الحج وحملهم معهم لأداء هذه الفريضة . وبعد أداء الرحلة المقدسة وهم في طريق عودتهم اعتاد هؤلاء الحجاج أن ينزلوا خارج البلد ولا يدخلوا إلا بعد استئذان الأسكيا الذي كان يخرج لملاقاتهم ويقدم لهم الهدايا ويقبل أيديهم إجلالاً لهم ، وتقام الاحتفالات وتُقرأ القصائد في التهتة والرجوع من الحج التماساً للبركات من الحجاج^(٣).

هذا وقد لعب فقهاء المالكية أيضاً دوراً كبيراً كذلك في المآتم والأحزان التي كانت تقام في مالي وُصْنفى ، حيث كانوا يتقدمون المواكب في الجنازات التي كان يمشى فيها الناس بكل خشوع وأدب ، وكانت كثرة المشيعين أو قلنتهم تتوقف على المركز الاجتماعي للميت ، وكانت الولاثم تعد في منزل أسرة الميت ويحضرها فقهاء المالكية و طلاب القرآن الكريم ، حيث يقرأون القرآن إلى وقت متأخر من الليل ، وذلك لليال متوالية ، ثم يتم توزيع الهبات عليهم من قبل أسرة الميت وتتضمن هذه الهبات ملابس وحبوباً وأموالاً نقدية في بعض الأحيان^(٤).

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٢٣٣.

(٢) السيوطي : كتاب التحدث بنعمة الله ، ص ١٥٨.

(٣) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١١١، ١١٢.

(٤) عبد القادر زبادية ، مرجع سابق ، ص ١٢٩.

وهكذا كان لفقهاء المالكية دور كبير في الحياة الاجتماعية لدى مجتمع السودان الغربي كله، مما مهد الطريق لهؤلاء الفقهاء لأخذ مكانة كبرى أخرى في الحياة الثقافية لدى سكان تلك البلاد.

الفصل الخامس
فقهاء المالكية والحياة العلمية
والثقافية في بلاد السودان الغربي

- ١ - التكوين العلمي والثقافي لفقهاء المالكية .
- ٢ - الدور التعليمي لفقهاء المالكية في السودان الغربي.
- ٣ - الإنتاج العلمي والثقافي لفقهاء المالكية .
- ٤ - الصلات العلمية والثقافية بين فقهاء مالكية السودان الغربي وفقهاء المالكية في المغرب ومصر والحجاز .

استفادت الحركة العلمية والثقافية في السودان الغربي من تشجيع الولاة والسلاطين علي تحصيل العلم منذ أن أصبح الإسلام ديناً رسمياً للدولة في عهد دولة مالي ، فقد دأب بعض سلاطين دولتي مالي وُصْنُغِي علي بناء المساجد أو المساهمة في إنشائها ، حيث لم يقتصر دورها علي المجال الديني فقط ، بل كانت أماكن لتلقين العلم والمعرفة .

وقد شهدت دولة مالي الإسلامية وبخاصة في عهد منسا موسي نشاطاً علمياً ، وازدهرت فيها الثقافة الإسلامية واللغة العربية لاسيما بعد رجوعه من أداء فريضة الحج عام ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م^(١) ، واصطحابه عدداً من علماء المشرق العربي والمغرب إلى دولته . كما قام بشراء الكثير من أمهات الكتب التي ساهمت في ازدهار الحركة العلمية في السودان الغربي كله ، وقد بني في تنبكت الجامع الكبير سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م ، ووسع مسجد سنكري^(٢) ، الذي غدا جامعة إسلامية عريقة .

كما قام منسا سليمان في دولة مالي الإسلامية بجهود لدعم الحركة العلمية فبني المساجد والجوامع ورمم المتصدع منها وصانها . واستقدم كثيراً من العلماء والفقهاء

(١) هذا الملك من أعظم ملوك مملكة مالي ، وقد أطنب المؤرخون في ذكر موكب حجه الذي كان في سنة : ٧٢٤هـ ، ١٣٢٤ف ، وهي السنة السابعة عشرة من حكمه ، وصحبه في ذلك جحافل من العلماء والأعيان ، فانتشرت شهرة مالي وارتفعت إلى الذروة في المدن التي شهدت مرور قافلته الفخمة في شمال إفريقيا والقاهرة وفلسطين وغيرها ، وذلك بسبب قيامه بالحج إلى مكة والعظمة التي لازمته في الرحلة ، وكان لحجه أثر كبير في ازدهار الحركة العلمية والثقافية حيث استقدم عدداً من العلماء الفقهاء والأدباء من جميع أنحاء العالم الإسلامي وبخاصة من الحجاز ومصر وشمال إفريقيا أنظر ، محمود كمت : الفتاش ، ص ٣٣ ، السعدي : تاريخ السودان ، ص ٦٧ ، سابق ، المقرئزي : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، ص ١١٠

من هم على مذهب الإمام مالك^(١) وشهد ابن بطوطة العديد من مظاهر العلم والثقافة في بلاد السودان الغربي^(٢).

وازدهر العلم في عهد الأساكي في دولة صُنغي وبخاصة في عهد أسكيا محمد الكبير الذي عمل على إعادة جميع العلماء الذين هربوا في عهد سني علي إلى تنبكت ، واستقدم علماء من بلاد المغرب والمشرق الإسلامي وشملهم بإكرامه ورعايته وعمر المساجد ودور العلم . واشترى كثيرا من الكتب العلمية والثقافية ، واهتم بنشر العلوم والثقافة ، فازدهرت صُنغي ثقافيا في عهده ازدهارا . ويعتبر عهده وعهد خلفائه العصر الذهبي للعلم والعلماء ، وأزهى عصور انتشار الثقافة الإسلامية العربية في السودان الغربي، وخاصة في مدينة تنبكت، وبلغت الحركة العلمية أوجها إذ ضمت تنبكت في رحابها عددا من كبار علماء العصر ، وذاع صيتها بين مدن السودان الغربي ، فتوافد إليها طلاب العلم . وكان الأسكيا محمد محبا للعلماء والصالحين والطلبة ، كما كان كثير الصدقات ، وكانت بداية عهده ازدهار للحركة العلمية في دولة صُنغي الإسلامية^(٣) . كما فعل من جاء بعده من الأساكي فاحترموا العلماء ، واسقطوا عنهم وظائف السلطنة وغراماتها .

على أن هذا الانتعاش والازدهار الذي شهدته دولة صُنغي ساعد علي إخصاب الحياة الفكرية والثقافية عن طريق التعليم وتأليف الكتب مما أدى إلى امتلاء خزائن المدينة بكل ما كان معروفا من أمهات الكتب في مختلف فنون العلم فأدى

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٧ ، العمري : مصدر سابق ، ج٤ ، ص ٥٩ ،

usman Muhammad bugE: op,cit,p٧٨.

(٢) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٣ .

(٣) محمد أنور توفيق : دولة سنغاي الإسلامية تطورها لاقتصادي والاجتماعي والحضاري ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، معهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ١٣٦ ،

ذلك إلى إنشاء حلقات دراسية مختلفة أمتلات بطلاب العلم يؤكد ذلك ما ذكره القاضي كعت من أنه كان يوجد في تنبكت في عهد أسكيا محمد الكبير مائة وخمسون مدرسة لتعليم الصبيان القرآن الكريم^(١).

وقد ترتب علي هذا التشجيع ظهور العديد من فقهاء المالكية في تلك البلاد، وقد أهتم هؤلاء الفقهاء بالعلم وحرصوا علي التعليم والتعلم . ويعد الفقيه المعلم أحد العناصر الأساسية للعملية التعليمية بفضل التكوين الثقافي لهؤلاء الفقهاء، ذلك التكوين الذي مكنهم من القيام بدور تعليمي في مجتمعهم .

أولاً: التكوين العلمي والثقافي لفقهاء المالكية في السودان الغربي :

كان لفقهاء المالكية دور بارز في مجال التعليم ، فقد ظهر منهم فقهاء محدثون ولغويون بارزون في مجال التدريس . ونحن الآن بصدد الحديث عن أهم المنابع التي استقى منها هؤلاء الفقهاء دروسهم وكيف تشبعوا بهذه الثقافة التي أهلتهم بعد ذلك لان يصبحوا معلمين بارزين في هذا المجال .

وقد تعددت منابع التكوين العلمي والثقافي لفقهاء المالكية في السودان الغربي ، بعضها منابع تكوين داخلية متمثلة في المدن العلمية الكبيرة فيها و ما تحتويه هذه المدن من مساجد كبرى ساعدت على التلقين والتلقي . وبعضها الآخر منابع خارجية متمثلة في رحلات الحج والرحلة في طلب العلم . وهذان المنبعان كان لهم أكبر الأثر في التكوين العلمي والثقافي لهؤلاء الفقهاء ونبدأ الحديث بعرض مظاهر التكوين العلمي والثقافي لأبناء السودان الغربي بالحديث عن المنابع الداخلية .

انصب الاهتمام بالتعليم في دولة مالي الإسلامية علي حفظ القرآن الكريم من أجل فهمه، وقد ذكر لنا ابن بطوطة تشدهم في ذلك^(١) . ولذلك كان أهل السودان

(١) كعت : مصدر سابق ، ص ١٨٠ .

الغربي يرتادون المساجد و الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم^(٢) وتعلم لغته، ولذلك اكتسبت اللغة العربية مسحة التقديس عند مسلمي السودان الغربي، كما كانت هي اللغة الرسمية السائدة^(٣). فضلاً عن دراسة وتفسير القرآن الكريم كما كانت هناك مؤلفات علم الحديث التي تدرس خاصة صحيح البخاري ومسلم في حلقات العلم. كما كان عرفت مؤلفات الفقه المالكي ذيوياً بين الفقهاء والطلبة، وكان يتم تدريس كتاب موطأ مالك، والمدونة " للإمام سحنون عبد السلام بن سعيد المتوفى عام (٢٤٠هـ/٨٥٤م) والرسالة لابن أبي زيد القيرواني المتوفى عام (٣٨٦هـ/٩٩٦م)، ومختصر خليل بن إسحاق المصري المتوفى عام (٧٧٦هـ/١٣٧٤)"^(٤)، والتهذيب للبراذعي، والمستقى في شرح الموطأ و جامع المعيار للونشريسي والمختصر للتفتازاني والمدخل لابن الحاج وأصول السبكي في

(١) فقد سجل ابن بطوطة مشاهدته في تشدهم فيحفظ القرآن الكريم ومن هذا أنظر ابن بطوطة : مصدر سابق، ص ٦٧٢، ٦٧٣، كما ذكر لنا عدد من فقهاء وقضاة ومدرسين ومقرئين وطلبة وخطباء، مقيمين في مختلف مدن السودان. الغربي إلا أن تلك الأسماء لا تترجم في الواقع إلا جزئياً حقيقة وجود هؤلاء الفقهاء وأكثرهم من المغاربة وكثافة هذا الوجود أنظر كذلك، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٧٥

usman Muhammad bugE: op, cit, p٦٤..

(٢) كان الكتاب من ضمن مراحل التعليم في السودان الغربي وكان الكتاب لحفظ القرآن الكريم، ومعرفة قواعد اللغة العربية، وفي مقابل ذلك كان أهل التلاميذ يدفعون للفقهاء بما يسمى حق الأربعة، وكانت المرحلة الثانية في المساجد وكان الطالب يتحصل على مجموعه من الدروس الخاصة باللغة العربية، وفي المرحلة الثالثة والنهائية يتعمق الطالب في العلوم الشرعية واللغوية على يد العلماء المشهود لهم بالتمكين وتتوج بالحصول على الإجازة، أنظر كعت : مصدر سابق، ص ١٨٠، السعدي : مصدر سابق، ٢١٧.

(٣) زاهر رياض : تاريخ غانة الحديث، دار المعرفة، ط ١، ١٩٦١م، ١٣٩.

(٤) أحمد الشكري : الإسلام والمجتمع السوداني، ص ٢١٦.

cuoq j . "Histoire de l, I slamisation de l, Afrique de l, oust : Des rigines a la fin du xvle siecle", geuthner, paris, ١٩٨٥, p ١٢٥/١٢٦,

Levtzion N : op, cit, p٥٩

علم أصول الفقه و تحفة الحكام في الأحكام لابن عاصم و تلخيص المفتاح لمختصر السعد و شرح التتائي الكبير و مختصر ابن حاجب الأصلي و مختصر ابن حاجب الفرعي و المنهج المنتخب في قواعد المذهب للزقاق (١) و لم تقتصر الكتب التي كانت تدرس علي علوم الدين وعلوم اللغة العربية بل شملت الكتب التي كانت متاحة للدراسة مثل كتب السير والتاريخ وأيام الناس (٢).

ويذكر لنا ابن بطوطة أنه رأي عند فرياً سليمان كتاب " المدهش في المحاضرات " للفقهاء الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي البغدادى المتوفى عام (٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) (٣).

وقد تم دعم التعليم الفقهي علي أساس المذهب المالكي في دولة مالي (٤) بفضل جهود بعض حكام تلك الدولة وخاصة منسا موسي الذي أحب العلم والعلماء ولذلك سعى إلى جلب الكتب على المذهب المالكي إلى بلاده ، يتضح ذلك أثناء فترة إقامته في القاهرة خلال رحله حجه إذ قام بشراء مجموعة من الكتب في الفقه المالكي (٥) . والراجع أن من أهم الكتب التي اشتراها كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس ، ومدونه الإمام سحنون بالإضافة إلى كتاب مختصر خليل.

(١) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٢٩ ، ٣٨ - ٥٣ ، ٢١٨ ، البرتلي : فتح الشكور ، ص ٧٩

(٢) السيد أحمد السيد الباز : الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وُصنفي (٦٣٨-٩٩٩هـ / ١٤٠-١٥٩١م) ، رسالى ماجستير من قسم التاريخ ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٦٤ .

(٣) بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٦ .

(٤) ESLIAs . Alpha N . s : social history of timbuktu, the role of muslim scholars and tables ١٤٠٠-١٩٠٠, p١٢٦. levtzion N: op,cit,p ٧٧.

(٥) - المقرئزي : مصدر سابق ، ص ١٤٣ ، ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٦ .

ELIAs N.:op,cit, ٨٧.

usman Muhammad bugE: op cit, p٧٧

كما التقى منسا موسى أيضاً مع الفقيه المالكي محمد بن أحمد بن ثعلب المصري المدرس بالمدرسة المالكية وقاضي المذهب ، وكان هذا اللقاء قبل توجهه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ، وكان الحديث الذي دار بينهما فيما يبدو عن حاله المذهب المالكي في دولة مالي الإسلامية وكيفية دعم وتدريس هذا المذهب في هذه الدولة بنقل مؤلفات كبار علماء المالكية بعد شرحها لهذا المذهب لتدرس في حلقات العلم بمساجد مالي ، ولذا طلب منه منسا موسى أن يؤلف شرحاً لمختصر أبي الحسن الطليطلي في الفقه المالكي^(١) ، وبالفعل وافق ابن ثعلب على القيام بهذا الشرح والراجح أن هذا الشرح قد أخذه منسا موسى من ابن ثعلب بعد عودته من الحجاز إلى القاهرة بعد أن أدى الفريضة ثم أخذه معه في رحلة عودته إلى بلاده^(٢).

وقد تعددت جهود منسا موسى لدعم التعليم الفقهي منها استقدام الفقهاء المعلمين إلى بلاده خاصة من بلاد المغرب وبلاد المشرق العربي ، فأقبل عليهم أهل مالي يتعلمون ويدرسون الفقه والسنة من ذلك قيامه باصطحاب العالم الفقيه عبد الرحمن التميمي^(٣) الحجازي الذي سكن تنبكت ، ووجدها حافلة بالفقهاء السودانيين الذين تفوقوا عليه في الفقه المالكي^(٤) ، فرحل إلى مدينة فاس وتفقه هناك

(١) أبو الحسن الطليطلي : هو علي بن عيسى بن عبيد التجيبي كان حياً خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، درس العلم فقه قرطبة وطليطلة وهو فقيه عالم له مختصر مشهور منتفع به من كبار المالكية في عصره ، أنظر القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج٦ ، ص ١٧٢ ، ١٧١ . ابن فرحون : مصدر سابق ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٤ .

(٢) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٦٤ .

(٣) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٥١ ، الارواني : مصدر سابق ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

ELIAs N:OP,CIT,P, ١٣٥.

usman Muhammad bugE: cit,op ,p٧٨. Miner Horace : op, cit , p٥.

(٤) الارواني : مصدر سابق ، ص ٩٤ ، كيف تفوقوا على عبد الرحمن التميمي ، وهو من قال عنه سيدي يحيى التادلسي إذا جاء فقهاء سنكري للأخذ عنه فيقول لهم : " يا أهل سنكري كفاكم سيدي عبد الرحمن التميمي " لذلك نحن نذهب مع الرأي الذي يرى أن عبد الرحمن التميمي يبدو وأنه كان

ثم عاد مرة أخرى إلى تنبكت فتوطن بها حتى وفاته ، بعد أن ترك أبناء وأحفاداً أسهموا في تدريس وتعليم المذهب المالكي ومنهم حفيده حبيب الذي عاش فؤأواخر دولة مالي^(١) .

وهكذا أسهم منسا موسى في تعليم المذهب المالكي في بلاده بفضل ما نقله من مؤلفات وشروح لكبار فقهاء المالكية حتى يمكن القول أن دولة مالي عرفت في عهده دخول كتب كبار فقهاء المالكية التي أقبل عليها طلاب العلم هناك .

ونظرا لتزايد الإقبال على التعليم في دولة مالي الإسلامية اعتبرت جميع مساجد المدن أمكنة للتدريس ، وكان من أشهر هذه المساجد في مدينة تنبكت الجامع الكبير ومسجد سنكري ، ومسجد سيدي يحيى التادلسي . ولم تكن تنبكت تضم هذه المساجد الثلاثة المشهورة فقط ، فقد ذكر لنا محمود كعت والسعدي عدد آخر من المساجد الصغيرة التي كان يتم التعليم فيها^(٢) .

وقد اعتمد التعليم في السودان الغربي وخاصة في دولة مالي علي فقهاء مغاربة في الأساس الأول ، وكان لهؤلاء الفقهاء المغاربة تلاميذ من أهل هذه البلاد^(٣) كما

شافعي المذهب ، ولهذا تفوق عليه فقهاء تنبكت المالكيون ، فأضطر إلى أن يسافر ليأخذ عن فقهاء المالكية بالقيروان ، أنظر أحمد الشكري : الإسلام والمجتمع السوداني ، مرجع سابق ، ص ٢٢٥ .

(١) الارواني : مصدر السابق ، ص ٩٥ ، ٩٤ .

١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١٢ ELIAS N. s : op.cit, pp

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٢٢ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ١١٠ ، ١١١ .

(٣) Adam Ba konare : les relations politiques et culturelles enter le Maraco et le Mali a traverse les ages , ryaume du Maraoc , university Mohammed v public tins de l, Institut des etudes ,Africaines ,Rabal , p, ١٢. Ella's N. saaD :op.cit,p١٤٥ .

Hunwlck,J: les relations politiques et culturelles entire le marc et le Mali a travers les ages , ryaume du , Maraoc ,university Mohammed v public tins de l, Institut des etudes ,Africa ines ,Rabal ,p١١ .

كان هناك بعض من فقهاء المالكية الذين يقومون بالتدريس من أهل السودان الغربي نفسه وكانوا قلة كما كان هؤلاء من ذوى سند مغربي بصفة مباشرة أو بصفة غير مباشرة عن طريق التلمذ علي يد فقهاء من السودان الغربي يتمون إلى المدرسة المغربية ويدرسون كتباً مغربية^(١).

ومن هؤلاء الفقهاء من السودان الغربي الذين قاموا بالتدريس بجانب الفقهاء المغاربة ومنهم الفقيه كاتب موسى وهو من الفقهاء الذين رحلوا إلى فاس لتعلم العلم في دولة مالي بأمر من السلطان منسا موسى^(٢).

وقد أسهمت الدور العلمية المتعددة في دولة صُنغي في التكوين العلمي للعديد من الأسر العلمية في كافة مجالات المعرفة، ومن أشهر الأسر العلمية في دولة صُنغي الإسلامية وخاصة في مدينة تنبكت أسرة أقيت وأسرة أندغ محمد وأسرة بغيغ.

ومن مصادر التكوين العلمي والثقافي لأسرة أقيت التراث العائلي حيث كان التعليم في عائلة أقيت مسألة عائلية^(٣) فقد توارثوا العلم بعضهم عن بعض عن

(١) أهم الكتب التي انتشرت في السودان الغربي: "صغري السنوسي في التوحيد، رجز المغيلي في المنطق، شرح الخزرجية في العروض للشرif ألسبتي، مدونة الامام سحنون، رسالة القيرواني في الفقه، جامع المعيار للونشريسي، مختصر خليل، أنظر أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص: ٦٠١، ٦٠٢، السعدي: مصدر سابق، ص: ٣٨، ٤٥، ٤٩، ٢١٨، البرتل: فتح الشكور في أعيان علماء التكرور، ص: ٣٢، ١٣٩. ELIAS; op,cit.,p٨٩.

(٢) السعدي: مصدر سابق، ص ٥٩.

ELIAS N. s. :Idil,p١٢٦.

Hunwlcck ,J : les relations politiques et culturelles,p٢٢.

(٣)

طريق آبائهم وأعمامهم وإخوتهم^(١). ومن مصادر التكوين العلمي والثقافي لهذه الأسرة حضورهم حلقات الدرس التي كانت تعقد في بلادهم ويعقدها فقهاء مغاربة كالتي أشارت لها كتب المصادر عندما أشارت إلى أن الفقيه عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) أخذ تكوينه العلمي والثقافي في بداية الأمر على يد الفقيه محمد الكابري^(٢)، واستكمل بقيه تعليمه عندما كان في مدينة ولاتة حيث كان يحضر حلقات العلم التي كان يعقدها العالم المغربي عبد الله بن أحمد الزموري^(٣) الذي أجازته^(٤) في كتاب الشفا للقاضي عياض^(٥). وكان لجدهم لامهم وخالمهم دور في التعليم ، فقد أخذ الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٤٢هـ / ١٥٣٥م)^(٦) العلم عن طريق جده لاه الفقيه أندغ محمد^(٧) الذي وصفه السعدي: "بأنه معدن العلم والفضل والصلاح" وأول من خدم العلم بهذه المدينة

(١) سوزى أباطة : عائلة أقيت وإسهاماتها الثقافية في تنبكت ، ص ١٤٨ .

(٢) الارواني : السعادة الأبدية ، ص ٧٩ ، ٨٣ .

(٣) هو العالم الفقيه المغربي عبد الله بن أحمد الزموري ، كان شيخا فقيها له شرح على كتاب الشفاء سياه " إيضاح اللبس والخفاء عن ألفاظ الشفاء " ، وكان من رجال العلم المشهورين ، فقد وصل إلى بلاد والاتن المتصلة ببلاد السودان وأقرأ أهلها ، ولقي هناك فقهاء فائتي عليهم في العلم ثم رجع ، وكان حيا في عام " ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م " ، أنظر أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٤) الإجازة : " الإجازة في الأصل من مصطلحات المحدثين يعدونها في الدرجة الثالثة من أنواع الرواية ، ويأتي قبلها : السماع أي سماع لفظ الشيخ من حفظه أو كتابه ، والعرض أي قراءة الطالب على الشيخ وعرضه الحديث عليه كما يعرض القرآن على المقرئ ، والإجازة عندهم : أن يقول المحدث لغيره أجزت لك أن تروي عني كتابي أو هذا الكتاب الذي حدثني به فلان ، ويبين سنده ، دون سماع ولا عرض ، أنظر محمد حجي : مرجع سابق ، ص ١٠١ .

(٥) الولاتي : مصدر سابق ، ص ١٧٧ ، سوزى أباطة : عائلة أقيت ، ص ١٤٩ .

(٦) أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٧) هو "أبو عبد الله أندغ محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح" انظر، السعدي : مصدر سابق ،

من أجداد أحمد بابا^(١) . كما أخذ العلم عن خاله الفقيه مختار النحوي المتوفى عام (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)^(٢) الذي أخذ العلم منه أيضا بقية أولاد أخته من آل أقيت ، وهم عبد الله ومحمود بن محمد أقيت وقام آل أندغ محمد بتوجيه أولاد أختهم إلى الدراسات الإسلامية ، وكانوا متمسكين بالدين ومتحمسين له ومثقفين وزاهدين ، وهي صفات جعلتهم يوفرون حوا من العلم والورع عاش فيه أولاد أختهم من آل أقيت .

وكان من علماء الفقه المالكي الفقيه أحمد بن سعيد (٩٣١-٩٧٦هـ / ١٥٢٤-١٥٦٨م) . وهو حفيد الفقيه محمود بن عمر من جهة الأم تتلمذ على جده لأمه محمود بن عمر أقيت ، وخاصة في دراسة الرسالة ومختصر خليل^(٣) .

وقد أخذ الفقيه القاضي محمود بن عمر المتوفى عام (٩٥٥هـ/ ١٥٣٥م) العلم عن أخوه الفقيه القاضي أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) الذي أخذه عنه أولاده الثلاثة ، وهم محمد بن محمود أقيت (٩٠٩-٩٧٣هـ / ١٥٠٣-١٥٦٥م)^(٤) ، والعاقب بن محمود (٩١٣-٩٩١هـ / ١٥٠٧-١٥٨٣م) وعمر بن محمود المتوفى عام (١٠٠٣هـ / ١٥٩٤م)^(٥) .

أما القاضي العاقب بن محمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٩١هـ / ١٥٨٤م) فقد كان تكوينه العلمي على يد أبيه وعمه^(٦) ، كما كان التكوين العلمي

(١) المصدر السابق والصفحة .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٤) أحمد بابا : نيل الابتهاج : ص ٣٤٠ ، السعدي : تاريخ السودان ، ص ٩١ .

(٥) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٤ .

(٦) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

للفقيه محمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام ١٠٩٩١هـ/ ١٥٤٨م) على يد عمه محمود بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م)^(١).

كما أسهم في التكوين العلمي للفقيه عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن الفقيه محمود بن عمر المتوفى عام (١٠٠٦هـ/ ١٥٩٧م) ابن عمه الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت^(٢)

وقد بدأ الفقيه محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب ابن الفقيه مختار (٩٨١-١٠١٤هـ/ ١٥٧٣-١٦٠٥م) حياته العلمية في تنبكت ، حيث تتلمذ على أيدي أعلام أفذاذ لهم دور كبير في تنشيط الحركة التعليمية بتنبكت أمثال محمد محمود بغيج الونكري الذي لازمه وأخذ عنه علوم النحو والفقه وعلم الكلام حتى أتقنها وأجازه فيها إجازة علمية تتم عن ثقته به وتضلعه فيما أخذ عنه من علوم^(٣) ، وهناك أيضا عبد الرحمن الفقيه محمود ، وأحمد بغيا ، ومحمد بن محمد كُرِّي ، وسيدي بن عبد المولى أبلجالي وغيرهم من أعلام تنبكت الذين أخذ عنهم محمد بابا علوما مختلفة في مجالات متعددة ، وقد أجازه معظم هؤلاء العلماء^(٤) ، هذا وقد بلغ محمد بابا درجة عالية من التمكن في العلوم وبخاصة اللغوية التي برز فيها ، بمؤسسات تنبكت العلمية ، وأصبحت له شهرة كبيرة في هذا المجال

أما أحمد بابا التنبكتي (١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م) فقد تعددت مصادر تكوينه العلمي والثقافي ، إذ أخذ تعليمه الأول على يد والده الحاج أحمد بن أحمد بن عمر بن

(١) المصدر السابق ، ص ، الارواني : مصدر سابق ، ص

(٢) الولاتي : مصدر سابق ، ص ١٧٥ .

(٣) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٥٤ .

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، البرتلي : فتح الشكور ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

محمد أقيت (٩٢٩-٩٩١هـ/ ١٥٢٢-١٥٨٣م) الذي قال عنه: " وحضرت أنا عليه أشياء عدة ، وأجازني جميع ما يجوز له وعنه ، كتب لي بخطه ، وسمعت بقراءته الصحيحين والموطأ ، والشفاء ^(١) ، ثم استكمل تعليمه على يد عمه الفقيه أبي بكر بن أقيت ^(٢) ، ثم حضر دروس الشيخ أحمد بن سعيد (٩٣١-٩٧٦هـ/ ١٥٢٤-١٥٦٨م) سبط الفقيه محمود بن عمر الذي تم تكوينه العلمي على يد جده لأمه محمود بن عمر أقيت فقد أخذ عنه الرسالة ومختصر خليل ^(٣) ، ثم أكمل أحمد بابا تكوينه العلمي على يد أستاذه الفقيه محمد بن محمود بن أبي بكر المعروف بغيغ (٩٣٣-١٠٠٢هـ/ ١٥٨٥-١٥٩٣م) ^(٤) .

وكذلك أتاحت لهؤلاء العلماء الرحلة العلمية إلى الشرق وأداء فريضة الحج رافداً آخر لزيادة تكوينهم العلمي والثقافي ، ففي هذه الرحلات كانت تتاح لهم فرصة مقابلة فقهاء المذهب المالكي وكذلك حضور دروسهم وكانوا يمنحونهم إجازات علمية تؤهلهم للتدريس والرواية عنهم ساعد على ذلك طول مدة الرحلة .

ويتضح هذا حين خرج أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) لأداء فريضة الحج في عام (٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) فقد لقي بعض أعلام الفكر في مصر وعلى رأسهم أولئك الإمام جلال الدين السيوطي وخالد الأزهرى (الوقاد) ^(٥) . كما كان هو الحال مع الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد

(١) أحمد بابا مصدر سابق ، ص ١٤٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٥١ .

٥- المصدر السابق ، ص ١٤٣ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ٤٣ .

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٦٠٢ .

(٥) خالد الأزهرى هو : " خالد بن عبد الله بن أبي بكر الجرجاني المتوفى عام " ٩٠٥هـ/ ١٤٩٨م " وهو من علماء النحو ، للمزيد أنظر السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٣م ، ج ٣ ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

أقيت المتوفى عام (٩٩١هـ/١٥٨٤م) الذي أجاز به بعض فقهاء المالكية أثناء إقامته في مصر في رحلة حجه ، وقد لقي جماعة منهم ناصر اللقاني المتوفى عام (٩٥٨هـ/١٥٥١م)^(١) والشريف يوسف الارميوني تلميذ السيوطي ، وجمال الدين بن الشيخ زكريا والشيخ التاجوري والاجهوري وأجاز به بعضهم^(٢) في مكة المكرمة منهم الإمام العالم أبو اليمن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المصري مولدا المكي منزلا عام (٩٥٦هـ/١٥٤٩م).^(٣) كذلك التقى أحمد بن أحمد أقيت أثناء قيامه برحلة الحج بالعالم بركات الخطاب^(٤) وعبد المعطى السخاوى^(٥) وعبد السلام الأسمر الزليطنى المتوفى عام (٩٩٠هـ/١٥٨٢م)^(٦) وإجاز به بعضهم^(٧).

(١) ناصر اللقاني (٨٧٣-٩٥٨هـ/١٤٦٨-١٥٥١م) من أشهر رجال العلم والفتيا في مصر، جلس لإتراء العلوم المختلفة وقد قرأ الفقه في نحو ستين سنة، كما كان يستفتى من جميع الأقاليم، وكانت له مؤلفات عديدة منها ما كُتِبَ على نسخة التوضيح وتقييد على المحلى شارح السبكي، وله شرح على خطبة المختصر، أنظر: أحمد بابا: مصدر سابق، ص ٥٩٠، ٥٨٩.

(٢) أحمد بابا: مصدر سابق، ص ١٤١، ١٤٢. ELIAs N.sAAAd:op,cit,p ٦٩.

(٣) حسن الصادقي: جوانب عن التواصل الثقافي شمال جنوب، بحث ضمن أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية جانبي الصحراء، كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، ط ١٩٩٩م، ٢٦٨.

(٤) هو: "بركات بن محمد بن عبد الرحمن الخطاب المكي، المتوفى بعد عام "٩٨٠هـ/١٥٧٢م" في سن كبيرة، ومن مؤلفاته: شرح على خليل، أنظر محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، ص ٢٧٩.

(٥) هو: "أبو محمد عبد المعطى بن أحمد بن محمد السخاوى المدني المتوفى عام "٩٦٠هـ/١٥٥٢م"، من بيت علم وفضل، له تأليف منها تفسير القرآن الكريم، وتاريخ المدينة وشرح الشامل، للمزيد أنظر: المصدر السابق، ص ٢٧٢.

(٦) هو: "عبد السلام الأسمر الفيتوري بن سليم بن محمد بن حميد بن عمران بن عوى بن سليمان السعيدى المغربي المخزومي القرشى المتوفى عام "٩٩٠هـ/١٥٨٢م" كان من أكابر الاولياء وكان من أجل مشايخ الطريقة العروسية، تعلم وقرأ العلوم على يد الشيخ عبد الرحمن الوسلاتى والشيخ زروق، ثم توجه إلى الشيخ الدكالى وأخذ عنه التصوف والطريقة العروسية، أنظر أحمد النائب الانصارى: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، ج١، ص ٢٢١، ٢٢٣.

(٧) البرموني كريم الدين: مناقب الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري، مخطوط، مركز جهاد اللبين

كما تذكر لنا كتب المصادر الفقيه محمود أقيت (١٨٦٨-٩٥٥هـ / ١٤٦٣-١٥٤٨م) الذي قام برحلة حج عام (٩١٥هـ / ١٥٠٩م) ، ولقي في رحلة حجه جماعة من مشاهير علماء المشرق ، أمثال إبراهيم المقدسي والشيخ زكريا والقلقشندی ، واللقائين الذين يعدان من أعلام المالكية في مصر وغيرهم من علماء مصر^(١) .

أما الفقيه بغينغ (٩٣٠-١٠٠٢هـ / ١٥٢٣-١٥٩٣م)^(٢) وكان قد بدأ دراسته في موطنه على يد الفقيه أحمد بن أحمد والد الفقيه أحمد بابا ، وزاد من تكوينه العلمي والثقافي أثناء رحلة حجه مع أخيه وخاله ، حيث لقوا في طريقهم إلى الحجاز بعض أعلام المذهب المالكي أمثال الناصر اللقاني و التاجوري والشريف يوسف الارميوني والإمام محمد البكري وغيرهم^(٣)

وهكذا كانوا هؤلاء الفقهاء هم أبرز طلاب الفقه المالكي في مدينة تنبكت ، حيث كان تكوينهم العلمي والثقافي لا يقل عن المستوى الذي كان سائدا في معاهد التعليم الإسلامي المنتشرة في العالم الإسلامي آنذاك وذلك بفضل توافدهم علي مصر والحجاز في أثناء رحلة حجهم .

كما عرفت مدينة جني العديد من فقهاء المالكية فيذكر لنا السعدي عددا ضخما من الفقهاء الذين كانوا في هذه المدينة عندما أسلم ملكها كنبر^(٤) ولكنه لم

للدراستات التاريخية ، طرابلس ، رقم ٨٢١ .

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٦٠٠ . السعدي : مصدر سابق ، ص ٤٣ .

(٣) ٠- المصدر سابق ، ص ٤٥ ، ٤٦ . ELIAS N. sAAd: op,cit,p٦٩ .

(٤) يذكر السعدي أنه عندما أسلم سلطان جني كان بها ٤٢٠٠ عالما ، وقد يظن أن في العدد مبالغة ولكن قوله -السعدي- ليس بغريب إذ إن جني بها سبعة آلاف وسبع وسبعون قرية متلاصقة ، وعليه ففي كل قريتين عالم واحد وهذا أمر محتمل نفس المصدر : ص ١٤٢ .

يسجل لنا بعض أسماء هؤلاء الفقهاء ولعل السبب في ذلك هو الفارق الزمني بين عصره وعصر هؤلاء الفقهاء ، لأنه عاش في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، وعاش هؤلاء قبله بحوالي خمسة قرون أما عندما أصبح الزمن قريبا من زمنه قدم لنا كثيرا من المعلومات وأسماء العلماء الذين كانوا في مدينة جني منذ منتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي . والذين وكما يتضح من خلال كتب التراجم أنهم نهلوا العلم والفقه في موطنهم في بلاد السودان الغربي .

من هؤلاء الفقيه مورمغ كنكى^(١) وهو من الفقهاء الوافدين على جني من كابرا وهي من المناطق المجاورة لها بعد أن تلقى تعليمه فيها ، وكان ذلك في منتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي^(٢) . وكذلك الفقيه محمد سانوا الونكرى^(٣) ، وكان فقيها وعابدا صالحا ، قدم إلى مدينة جني في أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي من قرية تسمى طورا بالقرب من جني وكان تعليمه بها^(٤) . كما كان الفقيه محمود بغيغ والد العالمين الفقيه محمد بغيغ والفقيه أحمد بغيغ والذي جاء من ونكرى بعد أن تلقى تعليمه بها ، ثم جاء إلى مدينة جني وتولى القضاء بها عام (٩٥٩هـ / ١٥٥١م)^(٥) .

وقد أغني هؤلاء الفقهاء الذين ذكرناهم الحياة العلمية في دولتي مالي وُصْنغى وسمح هذا التكوين العلمي والثقافي لفقهاء المالكية في السودان الغربي القيام بدور هام في المجال التعليمي في تلك البلاد .

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ١٢ .

(٢) المصدر السابق ، ٨٤ .

(٣) نسبة إلى ونكر في منطقة وانغارا ، السعدي : مصدر سابق ، ص ١٦ .

(٤) المصدر السابق والصفحة .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٩ .

٢ - الدور التعليمي لفقهاء المالكية :

كان لفقهاء المالكية أثر واضح في التعليم والتدريس ، فقد قاموا بتدريس عدد من العلوم المختلفة سواء كانت العلوم الشرعية ^(١) أو علوم اللغة العربية وقد ظهر عدد كبير من هؤلاء الفقهاء المعلمين الذين ذاعت شهرتهم في دولتي مالي وُصْنُغِي وخاصة في مدينة تنبكت أو خارجها . وكان هؤلاء الفقهاء دور كبير في مراحل التعليم المختلفة ، وكانوا في ذلك يعتمدون أساسا على أمهات الكتب والشروح . كما كان على الواحد منهم أن يحيط بكل جزئيات الموضوع الذي يقوم بدراسته وفقا للأسلوب التعليمي المتبع في كل مرحلة من مراحل التعليم ^(٢) .

ففي مالي وبخاصة في عهد منسا موسى الذي يعد عهده فتحا مينا في مجال العلم والتعليم في تنبكت إذ شهدت دولته نشاطا علميا ، وازدهرت الثقافة الإسلامية واللغة العربية في عهده وخاصة بعد رجوعه من أداء فريضة الحج عام (٧٢٤هـ / ١٣٢٤ م) ^(٣) فقد قام بشراء الكثير من أمهات الكتب الفقهية والعلمية المتنوعة في الحجاز والقاهرة والتي أصبحت تدرس في أنحاء دولته وذلك ليتمكن الحركة العلمية والثقافة العربية الإسلامية من تحقيق أهدافها .

كما كان منسا سليمان مهتماً كذلك بالحركة العلمية وعمل علي ازدهارها وشهد علي ذلك ابن بطوطة الذي زار بلاد السودان الغربي عام ٧٥٢هـ / ١٣٥٢ م والتقي بعدد من فقهاء المالكية ولكنه لم يذكر لنا من عمل منهم في مجال التعليم ولكنه ذكر مدي

(١) وتتمثل في التفسير والقراءات ، والحديث وعلومه ، والفقه ، والسيرة النبوية .

(٢) محمد الغربي : مرجع سابق ، ص ٥٤٩ .

ELIAS N: op,c pvv.

(٣) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٣٣ ، السعدي : مصدر سابق ٦ ، ٧ ، أبوبكر سماعيل ميقا: تاريخ

الثقافة الإسلامية والتعليم في السودان الغربي ، مجلة الدارة ، العدد الثاني ، ١٤ ، ١٥هـ ، الرياض ، ص

اهتمام أهل السودان الغربي بالتعليم وبخاصة القرآن الكريم لأنه أساس التعليم الاسلامي .

وعلى أية حال ليس لدينا معلومات حول الدور التعليمي لفقهاء المالكية السودانيين في زمن دولة مالي ، والراجع إن التعليم في هذه الفترة اعتمد على الفقهاء المغاربة المقيمين في مدن تلك البلاد .

أما في دولة صُنغي فقد ذكرت لنا كتب المصادر عدد كبير من فقهاء المالكية الذين كان لهم دور كبير في مجال التعليم وخاصة في مجال العلوم الشرعية . من بين هؤلاء الفقهاء الذين قاموا بدور في تعليم طلاب السودان الغربي العلوم الشرعية وبخاصة الفقه المالكي الفقيه القاضي محمود بن عمر (٨٦٨—٩٥٥هـ / ١٤٦٣—١٥٤٨م) قاضي تنبكت الذي اشتهر بنشاطه العلمي وكثرة طلابه ومنهم أولاده الثلاثة الذين تولوا منصب القضاء منهم ابنه محمد والذي كان يدرس البيان والمنطق^(١) . وكان القاضي محمود يقرئ المدونة والرسالة ومختصر خليل^(٢) ، وهو الذي أدخل ونشر كتاب (مختصر خليل) في الفقه المالكي على نطاق واسع في تنبكت وغيرها من مدن السودان الغربي^(٣) . وعلى أيدي هذا الفقيه تخرج العديد من العلماء المشاهير منهم الفقيه محمد بن محمود بغيغ ، والفقيه أحمد بن محمد والد أحمد بابا التنبكتي ، والفقيه أحمد بن سعيد^(٤) الذي تميز هذا الفقيه بتدريس العلوم الدينية ، كالتفسير بالإضافة إلى الفقه على المذهب المالكي^(٥) .

(١) المرجع السابق : ص ٤٠ .

(٢) محمود كعت : تاريخ الفتاش ، ص ١٣١ .

(٣) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٦٠٧ ، ٦٠٨ .

(٤) المصدر سابق ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٥) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٥٢ ، أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص ٦٠٧ ، ٦٠٨ .

كما اشتهر الفقيه مؤدب محمد الكابري بكثرة الطلاب الوافدين إليه من المناطق المجاورة لتنيكت ، وبخاصة من كابرا (ميناء تنيكت الذي يقع على نهر النيجر) موطن هذا العالم "الكابري" ، هذا ويذكر بأن جماعات من بلاد المغرب درست على هذا الفقيه في مسجد سنكري^(١).

كما كان الحاج أحمد بن عمر المتوفى عام (١٥٣٥هـ / ١٩٤٢م) يداوم على قراءة الشفا للقاضي عياض ويقوم بتدريس مدونة الإمام سحنون^(٢). كما اشتهر الفقيه أحمد بن سعيد سبط محمود بن عمر (٩٣١-٩٧٦هـ / ١٥٢٤-١٥٦٨م) بأنه كان عالما بالفقه ، فكان يقرأ في دروسه كتاب الموطأ والمدونة وكذلك مختصر خليل وغيرها من الكتب الفقهية^(٣).

ومن الفقهاء المتخصصين في مجال العلوم الشرعية الفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن محمود التنيكتي الذي اشتهر بكثرة من عنده من الطلبة ، كما عرف بقوة مستواه العلمي في العلوم الدينية ، وبخاصة الفقه الذي تضلع فيه ، مما أدى إلى احتشاد الناس حوله للاستماع إليه والأخذ عنه^(٤).

أما الفقيه مسر بوب الزغراني الذي كان من أصدقاء الفقيه محمود بن عمر أقيت فقد اشتهر بالعلم والفضل والخير والصلاح على الرغم من أنه ينحدر من قبيلة زگران التي يصفها السعدي "بأنها لا تعرف بالصلاح ولا بحسن الإسلام"^(٥) ، وكان هذا الفقيه من أهل الثقة العلمية عند أسرة أقيت ، والدليل على ذلك أن الفقيه

(١) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٢٧ ، ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٤) محمود كعت : تاريخ الفتاش ، ص ١٣١ .

(٥) المصدر السابق : ص ٥١ .

عبد الرحمن بن الفقيه محمود بن عمر أقيت تتلمذ عليه في أول الأمر حتى أنه أصبح يحترم كل زغراني^(١).

وكان الفقيه عبد الرحمن بن عمر بن أحمد من الفقهاء المتخصصين في تدريس كتاب التهذيب في الفقه المالكي للبرادعي^(٢)، كما كان الحاج أحمد بن عمر المتوفى عام (٩٤٢هـ/١٥٣٥م) يداوم علي قراءة الشفا للقاضي عياض وكذلك على تدريس كتاب مدونة الإمام سحنون في الفقه المالكي^(٣).

وكذلك كان الفقيه أبو العباس أحمد برى بن أحمد بن أندغ محمد والذي تخرج على يديه جماعة كثيرة من شيوخ العلم المتأخرين من أهل سنكري^(٤)، وكذلك كان أبو عبد الله محمد بن أندغ محمد بن الفقيه مختار النحوي الذي كان مثل والده مادحا لرسول الله ﷺ وكان من الفقهاء الذين تخصصوا في سرد كتاب الشفا في مسجد سنكري حتى وفاته^(٥).

وقد برع الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (٩٢٩-٩٩١هـ/١٥٢٢-١٥٨٣م) في الأدب والفقه والحديث، وكانت عادته أن يجلس في المسجد لتدريس صحيح البخاري في رجب وشعبان ورمضان، واستمر على هذه العادة لمدة خمس وعشرين سنة. وعندما مات كان يدرس صحيح مسلم. وكان شيخا لكثير من فقهاء تنبكت البارزين، ومنهم أحمد ومحمد بغيغ وعبد الله وعبد الرحمن بن محمود أقيت وابنه أحمد بابا^(٦).

(١) المصدر السابق: ص ٥٢، ELIAs N.sAAd:op,cit,p٨٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٩، ٢٦.

(٣) السعدي: مصدر سابق، ص ٣٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩.

(٥) المصدر السابق والصفحة.

(٦) المصدر السابق: ص ١٤٢.

كما كان الفقيه القاضي عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (١٠٠٣هـ / ١٥٩٤م) من الفقهاء الذين برعوا في علم الحديث والسير والتاريخ وأيام الناس وبلغ الغاية القصوى في الفقه^(١) حتى قال عنه بعض من عاصروه من الشيوخ: "إنه لو كان موجوداً زمن ابن عبد السلام بتونس لا يستحق أن يكون مفتياً فيها"^(٢). وهذا دليل على علو كعب فقهاء المالكية في السودان الغربي حيث كانوا لا يقلون في مستواهم الفكري عن فقهاء المغرب.

واجتهد الفقيه أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (٩٦٢-١٠٣٦هـ / ١٥٥٥-١٦٢٧م) في بداية أمره في خدمة العلم حتى فاق جميع معاصريه، وكان لا يناظره في العلم إلا أشياخه الذين شهدوا له بالعلم^(٣) وقد استفاد طلبة وعلماء المغرب من فترة وجوده بينهم عندما جاء أسيراً إلى مراكش في المحنة المشهورة، فقد جلس بجامع الشرفاء بمراكش للتدريس، وازدحم عليه الخلق وأعيان الطلبة بل تتلمذ عليه قضاة مراكش^(٤).

وقد ظهر في بلاد السودان الغربي أيضاً عدد من الفقهاء الذين تخصصوا في تدريس علوم اللغة العربية، نذكر منهم الفقيه المختار النحوي المتوفى حوالي عام (٩٢٢هـ / ١٥١٦م) والذي اشتهر بلقب النحوي لتضلعه في هذا الفن بجانب علمه بكل فن من فنون العلوم الإسلامية^(٥).

(١) - السعدي: مصدر سابق، ص ٣٤.

(٢) المصدر السابق والصفحة.

Hunwck, J: les relations politiques et culturelles entre le Marco et le Mali (٣)

atravers les ages, p٣٠.

(٤) محمد مخلوف: شجرة النور، ص ٢٩٨.

(٥) السعدي: مصدر سابق، ص ٢٨.

وكان للفقهاء عبد الله بن عمر بن محمد أقيت (٨٦٦-٩٢٩هـ / ١٤٦١-١٥٢٢م) دور تعليمي واضح خاصة أن كان ضليعا في النحو والفقه واللغة وكان يقوم بتدريسهم في مدينة تنبكت ومدينة ولاته^(١).

كما كان الفقيه أحمد بن عمر المتوفى (٩٤٢هـ / ١٥٣٥م) هو جد أحمد بابا وعرف بالحاج أحمد مشهوراً في علوم اللغة العربية وآدابها ، وقد أشغل بالعلم والتدريس طوال حياته. وعن علمه يقول حفيده أحمد بابا " ... أنه كان فقيها لغويا نحويا عروضيا محصلا بارعا حافظا معتنيا بتحصيل العلم ونسخ كتبه و كتب بخطه عدة دواوين كثيرة ..."^(٢).

كما كان الفقيه محمد بابا التنبكتي (٩٨١-١٠١٤هـ / ١٥٧٣-١٦٠٥م) من الفقهاء المتضلعين في علوم اللغة العربية وله نصيب كبير فيها . يقول عنه عبد الرحمن السعدي : "كان مشاركا في الفنون ، وله فيها محاولة جيدة ... برع في الدين ودرس وألف"^(٣) . ويقول عنه في موضع آخر أنه : " ... كان مجتهدا صاحب تخصصات متعددة نحوي تصريفي لغوي .. وكان من علماء تنبكت البارزين ..."^(٤).

كما ظهر عدد من فقهاء المالكية الذين تخصصوا في تدريس أكثر من علم من علوم الشريعة وعلوم اللغة العربية فنجد الفقيه العالم الموسوعي أبا حفص عمر بن الحاج أحمد المتوفى عام (٩٤٢هـ / ١٥٣٥م) الذي كان عالماً نحوياً بجانب اشتغاله بعلم الفقه وهو عالم نحوي من الفقهاء الذين كانوا يسردون كتاب الشفا في رمضان

(١) المصدر سابق ، ص ٣٧.

(٢) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٣٧.

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٢١٧ ، البرتلي : مصدر سابق ، ص ٢٧.

(٤) البرتلي ، ص : ٥٥ ، ٥٦ .

، وهو من الفقهاء الذين عم نفعهم لأنه دخل، كانوا وغيرها من المراكز الثقافية وقام بمهمة التدريس في معاهدها^(١).

كما قام بالتدريس أبو بكر بن عمر بن أحمد بن محمد أقيت التنبكتي (٩٣٢-٩٩١هـ / ١٥٢٥-١٥٨٣م) الذي كان أحد أشهر من قام بالتدريس في مدينة تنبكت، خاصة في مجال العلوم اللغوية (النحو والصرف والعروض). وكان أبو بكر بن عمر بن أقيت تعلم في تنبكت وتخرج من مؤسساتها التعليمية، مما يعكس لنا بجلاء واضح مدى ما وصل إليه مستوى التعليم الإسلامي في تنبكت، وتخرج على يد هذا الفقيه العديد من الفقهاء الأفاضل أشهرهم العلامة أحمد بابا التنبكتي^(٢). كما كان ينفق على تلاميذه المحتاجين لاسيما الأيتام^(٣).

ومن الفقهاء الموسوعيين الفقيه محمد بغيغ (٩٢٠-١٠٠٢هـ / ١٥٢٣-١٥٩٣م) وهو من أشهر شيوخ أحمد بابا وتلميذ لوالده، وكان الفقيه محمد بغيغ من العلماء المتعددي التخصص، والعاملين الناصحين للناس بمحبة العلم وملازمة التعليم كل العمر، ويبدل الكتب النفيسة لمن يرغب فيها دون السؤال عن إرجاعها له ودون التحقق من شخصية المستعير. وكان أيضا مثار عجب معاصريه في الصبر على إيصال الفائدة للبليد من التلاميذ بلا كلل أو ملل أو ضجر، ويدل برناجه الدراسي اليومي، والكتب التي درسها أحمد بابا على يديه تدل على طاقة فائقة في حقل التعليم^(٤). كما قام بتدريس أكثر من علم الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (٩٢٩-٩٩١هـ / ١٥٢٢-١٥٨٣م) الذي برع في الأدب والفقه والحديث^(٥).

(١) السعدي: مصدر سابق، ص ٣٧.

(٢) محمود كمت: مصدر سابق، ص ١٥١.

(٣) السعدي: مصدر سابق، ص ٣٢، أحمد بابا: مصدر سابق، ص ١٣٨.

(٤) المصدر سابق، ص ٦٠١.

(٥) نفس المصدر: ص ١٤٢.

ومن هؤلاء الفقهاء الموسوعيين النابغين الفقيه أحمد بن أندغ محمد بن محمود بن الفقيه أندغ محمد الكبير والذي كان من أذكى العلماء ، وله معرفة بفنون شتى من المعارف الإسلامية العربية ، منها معرفته بالفقه والنحو والشعر وغيرها من الفنون^(١).

كما قام فقهاء المالكية بالتدريس في مدينة جني منهم الفقيه مورمغ كنى الذي جاء في منتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، وهو من العلماء الفقهاء ، وفور حلوله بهذه المدينة تقاطر عليه الطلبة للإفادة منه^(٢) وكان نشطا في أداء رسالة العلم ، يخرج من داره في منتصف الليل إلى مكان إلقاء دروسه في المسجد الجامع بجني ، ويجلس الطلبة حوله يتلقون الدروس حتى إقامة صلاة الصبح ، ثم يعودون إليه بعد الصلاة فيستمر معهم إلى وقت الزوال ، ثم يعود إلى داره لأخذ قسط من الراحة ليعود لحلقة الدروس بعد صلاة الظهر ، ويجلس إلى طلبته حتى صلاة العصر وكان مواظبا على هذه الحال في المسجد الجامع^(٣).

وبالإضافة إلى مساجد العلم هذه كانت بيوتات هؤلاء الفقهاء العلماء تشكل مكانا مهما لتلقي العلم أيضاً ، حيث خصص بعض العلماء أوقاتاً خاصة لطلابهم الذين يجتمعون عندهم للدراسة . ولذلك عُدت دور العلماء من المؤسسات العلمية التي أسهمت في تنشيط الحركة العلمية ، وثقيف أهل العلم وطلابه فحظيت تلك الدور بذلك باحترام وتقدير طلاب العلم خاصة أنها قامت بدور هام في نشر العلم وتيسير سبله لطلابه^(٤).

(١) محمود كمت : مصدر سابق ، ص ٣٠.

(٢) المصدر السابق : ص ١٦.

(٣) المصدر السابق : والصفحة .

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص ٤٥.

وهكذا كان دور هؤلاء الفقهاء الذين كرسوا حياتهم في التعليم وتربية الأجيال دون كلل أو ملل ، كما كان هؤلاء الفقهاء مكتبات علمية أسهمت في دعم دورهم التعليمي في بلاد السودان الغربي .

المكتبات العلمية لفقهاء المالكية بالسودان الغربي :

كان الكتاب في العالم الإسلامي شعلة وضوء ونبراسا من نور ، اعتمد عليها العلماء والطلبة في كل مكان لتلبية رغباتهم العلمية . ومع انتشار الإسلام واللغة العربية في أرجاء السودان الغربي ، وأصبحت حاجة طلاب العلم إلى الكتاب أكثر إلحاحا من أية فترة أخرى . ولتلبية هذه الحاجة الماسة كان من الضروري توفير الكتب التي هي عماد الثقافة والمعرفة ، والتي كثر توافرها وترتب على كثرة الكتب ضرورة وجود مستودعات لها ، وهي المكتبات . ويشير بول مارتى إلى كثرة الكتب في تنبكت في قوله : " مع أن الطباعة لم تصل إلى تنبكت بعد إلا أن الكتب لم تنقص ، لأن تجار بلاد المغرب كانوا ينقلون المخطوطات إلى السودان ، وكانت تباع أكثر من أية بضاعة أخرى"^(١) . فاعتنى علماء ومثقفو السودان الغربي وحكامها باستنساخ المخطوطات بأيديهم ، وإنشاء خزائن ومكتبات خاصة امتلأت بكل أنواع المخطوطات المجلوبة من بلاد المغرب والشرق ، وقامت بدور كبير في تفعيل الحركة العلمية وتسهيل البحث والتحصيل العلمي للطلبة .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد ذلك الدور الكبير الذي قام به السلطان منسا موسى الذي انتهاز فرصة وجوده في كل من القاهرة والأراضي المقدسة ، لاقتناء الكتب القيمة ، وتوفيرها لأهل مملكته^(٢) وسار علي نهجه منسا سليمان .

(١) paul marty: et e sur L,islam au soudan op,cit,,p٨٧. ELIAs N. s :

op,cit,,p١٢٦

(٢) المقرئزي : مصدر سابق ، ص ١٤٣ ، ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٦ . ELIAs N.:

op,cit,, ٨٧.

ثم تبعه في ذلك مؤسس أسرة الأساكي في صُنغي أسكيا الحاج محمد الذي يذكر بأنه أهدى مكتبة علمية متكاملة للجامع الكبير في تنبكت^(١). وسار علي نهجه أسكيا داوود الذي يعد أول منشئ للمكتبات العلمية العامة، وإلى ذلك يشير محمود كعت قائلا: "... وهو أول من اتخذ خزائن الكتب، وله نسخا ينسخون له كتباً، وربما يهادي بها العلماء"^(٢). وهكذا اهتم مجتمع السودان الغربي بمختلف طبقاته باقتناء الكتب والمخطوطات والعمل على نسخها بدقة وبخاصة النادرة منها لدرجة أن أصبح للوراقين والنساخ مكانة مرموقة ومتميزة في وسط مجتمع السودان الغربي.

ومن أهم مكتبات السودان الغربي في عهد ازدهارها العلمي تلك المكتبات الخاصة التي اقتناها العلماء والحكام وبعض الأثرياء في بيوتهم، وبخاصة لدى الأسر المعروفة بالعلم والثقافة، إذ لا نكاد نجد عالماً إلا وله مكتبة الخاصة قل محتواها أم كثر يفتخر بها تتضمنه من أمهات الكتب. فقد اقتنوا معظم هذه الكتب من التجار الذين كانوا يحرصون على الاتجار في هذه السلعة، ففي مدينة تنبكت كانت تباع الكثير من الكتب المخطوطة التي تأتي من مصر والمغرب عن طريق القوافل التجارية، فكانت تأتي الكتب والمؤلفات المغربية والمشرقية^(٣)، ومما كان يجلبه الحجاج من المشرق، كما كانوا يحصلون على الكتب من الأساكي كهدايا، فقد كان أسكيا داوود (٩١٣-٩٩١ هـ/ ١٥٤٩-١٥٨٢ م) هو أول من اتخذ خزائن الكتب، وكان له ناسخون ينسخون له الكتب التي كان يهادي بها العلماء^(٤) والراجع أن

(١) السعدي: مصدر سابق، ص ٥٧، ٥٦، سيسيكو: تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع، ص: ١٦٣

، عبد القادر زيادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، ص: ٢٣

(٢) محمود كعت: مصدر سابق، ص ٩٤.

(٣) حسن الوزان: مصدر سابق، ص ٥٤١، سوزي أباطة، مرجع سابق، ص ١٥٥.

(٤) محمود كعت: مصدر سابق، ص ٩٤.

قسماً كبيراً من هذه الكتب قد وجهها الباشا محمود قائد حملة السعديين عليُّ صُنْغِي إلى المغرب^(١).

وتعد مكتبة أحمد بن أحمد بن عمر أقيت (٩٢٩-٩٩١هـ / ١٥٢٢-١٥٨٣م) من أبرز هذه المكتبات العلمية، وقد أهتم صاحبها كثيراً بجمع الكتب الثمينة النفيسة وكذلك باستنساخها حتى تكونت لديه مكتبة ضخمة لجأ إليها طلبة العلم للنهل من معينها. وقد عرف مؤسسها بتقديم الخدمة العلمية المتواصلة لطلبة العلم في مجال البحث والدراسة، ولذلك قيل عنه أنه: "كان وافر الخزانة العلمية سموها بإعارتها"^(٢)، وكانت مكتبته كبيرة جداً، فتحها لكل من يرغب في الاستعارة وترك بها حوالي سبعمائة مجلد ورثها ابنه من بعده وزاد عليها^(٣).

أما مكتبة الحاج أحمد بن عمر فهي مكتبة غنية بأمهات الكتب المتداولة والمشهورة في شتى فنون المعرفة، أسسها الحاج أحمد هذا ولذا سميت مكتبته الخاصة بمكتبة الحاج أحمد. وقد عرف الحاج أحمد بالعلم والاعتناء بطلبته ويذكر بأنه ورث مجموعة كبيرة من مقتنيات مكتبته عن جده لأمه الفقيه أندغ محمد وخاله الفقيه مختار النحوي^(٤)، كما قام بنسخ كتبه وكتب بخطه عدة دواوين وعدداً من الكتب^(٥).

كما تعد مكتبة محمد بغيغ الونكري من أعظم المكتبات العلمية الخاصة في تنبكت^(٦)، وقد جمع فيها صاحبها هذا معظم أمهات الكتب النفيسة والنادرة التي

(١) محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ص ٥٥٦.

(٢) الولاتي: مصدر سابق، ٢٩.

(٣) أحمد بابا: مصدر سابق، ص ١٣.

ELIAs N.: op.cit, p ٧٩.

(٤) أحمد بابا: مصدر سابق، ص ١٣٧، ١٣٨.

(٥) المصدر السابق، ص ١٣٧.

(٦) محمد حجي: الحركة الثقافية في عهد السعديين، ج ١، ص ١٩٤.

كانت مشهورة في عصره ، وكان يسمح بإعارة الكتب حبا في نشر العلم وإفادة طلابه^(١).

ومن أشهر مكتبات فقهاء المالكية مكتبة أحمد بابا التنبكتي وهي مكتبة علمية غنية بمئات المجلدات من أمهات الكتب النفيسة ، وقد أولي صاحبها أحمد بابا اهتماما خاصا بالعلوم الشرعية ، وإقبالا عظيما على جمع الكتب والمخطوطات ، فأنشأ بذلك مكتبة علمية عريقة احتوت على مجموعة كبيرة من أنفس المصنفات وأكثرها شيوعا^(٢) وهي كتب تعد بالمئات كما أسلفنا ونذكر ذلك أيضاً من خلال حديثه عن النكبة والمحنة الشديديتين اللتين أنزلهما القائد محمود زرقون بعلماء تنبكت ، حيث يقول : " أنا أقل عشيرتي كتباً ، وقد نهبت لي ستة عشر مائة مجلد "^(٣).

وهذه المكتبات الخاصة التي ذكرناها هي في الواقع مجرد نماذج لعشرات غيرها ، وقد أثرنا إيراد بعضها نظراً لأهميتها ، وذلك لأن محاولة حصرها تتطلب منا الوقوف على بيت كل عالم من أعلام السودان الغربي ، بل على كل مسجد من المساجد ، وكل مؤسسة من المؤسسات التعليمية المختلفة التي كانت تمتلئ بالكثير من المخطوطات في السودان الغربي .

وكانت تلك الكتب والمكتبات تتوارثها الأجيال جيل من بعد جيل ، مما وفر لديهم مجموعة كبيرة من الكتب التراثية والفقهية مما جعل لديهم رصيد متنوع من التراث الفكري والثقافي ساهم في دفع الحركة الفكرية والثقافية داخل بلاد السودان

(١) أحمد بابا: مصدر سابق ، ٦٠٠ ، ٦٠١ .

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٥ .

(٣) الافرائي : نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي عشر ، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ١٧١ . وانظر : أحمد بابا التنبكتي ، الندوة التي عقدتها الإسكوب بمناسبة مرور أربعة قرون ونصف على ولادته بمراكش ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم إيسكوب ، الرباط ، ص ٣٠ .

الغربي . وقد أثمرت هذه الحركة في المشاركة في الحياة الفكرية مما أتاح لهم دورا كبيرا في الإنتاج العلمي والثقافي أثروا به المكتبة العربية والإفريقية بالعديد من التأليف المتنوعة .

٣- الإنتاج العلمي والثقافي لفقهاء المالكية :

لم يعثر الباحث عن أية إنتاج علمي لفقهاء المالكية في زمن دولة مالي فكتب التراجم والطبقات لم تشر إلى فقهاء عاشوا زمن دولة مالي وكان لهم إسهام في مجال التأليف في الفقه المالكي . لذلك فإن المعلومات التي توافرت عن الإنتاج العلمي لفقهاء المالكية في السودان الغربي تخص دولة صنغي الإسلامية ، فقد قام الكثير من فقهاء المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي بإثراء الحياة الفكرية وذلك عن طريق مؤلفات وكتابات في شتى المجالات ومختلف المعارف سواء في الفقه أو اللغة أو التراجم أو التاريخ أو التصوف ، وكان لهم بعض الرسائل والتعليق . وستناول بعض الفقهاء البارزين الذين تركوا لنا شيئا من التراث العلمي ، وهم في جملتهم كثيرين ولكن الذين سنعنى بدراستهم ما هم إلا نماذج توافرت بعض المعلومات عنهم ، وعن نشاطهم العلمي وتراثهم الثقافي .

ألف الفقيه أحمد بن عمر المتوفى عام (٩٤٢هـ / ١٥٣٥م) قصائد شعرية في مدح الرسول ﷺ، وعنه يقول حفيده أحمد بابا : "... وكان فقيها نحويا لغويا عروضا محصلا بارعا حافظا معتنيا بتحصيل العلم ونسخ كتبه و كتب بخطه عدة دواوين وجمع كثير من الفوائد والتأليف ... " وأكبر دليل على ذلك أنه ترك مكتبة بها نحو سبعمائة مجلد^(١) . كما كان الفقيه محمود أقيت (٨٠٨-٩٥٥هـ / ١٤٦٣-١٥٤٨م) شرحا علي مختصر خليل ، قام بجمعه طلابه عنده ما كان يدرس

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٣٧ .

مختصر خليل وقد كتبوا دروسه عن هذا الشرح في مجلدين وانتشر هذا الشرح في السودان الغربي^(١).

أما القاضي محمد أقيت المتوفى عام (٩٧٣هـ / ١٥٦٥م) والذي لم يكن له نظير في عصره في الفهم والدهاء ورجاحة العقل^(٢) كان له تعليق على رجز المغيل في المنطق. والفقيه أحمد بن سعيد (٩٣١-٩٧٦هـ / ١٥٢٤-١٥٦٨م) الذي كان من فقهاء المطلعين ومن حفاظ القرآن المتقنين كان له استدراقات في الفقه وحاشية على مختصر خليل^(٣).

كما كان العلامة الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت المتوفى عام (٩٩١هـ / ١٥٨٣م) إنتاج علمي رائع مكتوب بخط يده، إضافة إلى تلك المكتبة المشار إليها آنفاً، ومن مؤلفاته حاشية على شرح التائي على مختصر خليل بين فيها مواضع السهو منه. وله تعليقات على صغرى السنوسي في العقيدة، وشرح على منظومة القرطبي التي اشتهرت بالقرطبية، وشرح تخميسات الفزازية في مدح الرسول ﷺ، كما كان له شرح جامع حسن على منظومة المغيلي في المنطق في كتاب سماه "مناخ الأحباب من منح الوهاب" وكانت له مباحث في هذا الكتاب^(٤)، وشرح جمل الخونجي^(٥)، وكما يقول ابنه أنه كتب الكثير من الحواشي على كتب عديدة في

(١) الاروانى : مصدر سابق : ص ٩١، ٩٢.

(٢) أحمد بابا : مصدر سابق، ص ٥٩٧.

(٣) المصدر السابق، ص ١٤٢، ١٤٣، السعدي : مصدر سابق، ص ٤٣، الاروانى : مصدر سابق، ص ٨٦.

(٤) أحمد بن أحمد بن عمر أقيت : "مناخ الاحباب من منح الوهاب" ضمن مجموعة بالخزانة العامة بالرباط، رقم ١٨٩٠/٥.

(٥) محمد مخلوف : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ص ٢٨٦، البرتلى : فتح الشكور، ص ٣، ٤.

الفقه لكن للأسف لم يصل إلينا شيء منها^(١) كما ألف الفقيه صالح بن محمد بن عمر وهو من أهل الفضل والعلم شرحاً على مختصر خليل^(٢).

وكان للعلامة اللغوي أحمد أندغ محمد والذي كان موجوداً في عام (١٠٠١هـ/١٥٩٢هـ)^(٣) إنتاج علمي عظيم ، يتمثل في مؤلفات وشروح^(٤) لم نقف على معظمها . وأهم إنتاجه العلمي شرحه على "الأجرومية" والذي سماه " الفتوح القيومية في شرح الأجرومية "^(٥) ، وهو مؤلف قيم يمتاز بأسلوب علمي موضوعي ممتاز ، كما أنه يتضمن في طياته معلومات مفيدة ، تدل فعلاً على طول بابه في العلوم العربية ، وكثرة اطلاعه على دقائق الأمور .

كما كان الفقيه بابكر بير بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت (٩٣٢-٩٩١هـ/١٥٢٥-١٥٨٣م.) نموذجاً حي للعلماء الذين يقومون بالتدريس وينفق على تلاميذه المحتاجين ، لاسيما الأيتام^(٦) ، وكان له كتاب في التصوف أسماه معين الضعفاء في القناعة^(٧) .

وأسهم الفقيه أحمد بابا التنيكتي في أغناء المكتبة العربية بمجموعة من الكتب والرسائل العلمية ، وهي تدل على سعة مداركه وتحصيله العلمي ، ومعرفته بكتب

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٦ .

(٣) الارواني : السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت ، ص ٩٧ .

(٤) المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

(٥) مخطوط بمرکز أحمد بابا تحت رقم : ١٩٢٨ ، ووضع له العالم التنيكتي محمد بن عمر بن أقيت حاشية سماها : " حاشية القيومية على الأجرومية " وهو كذلك مخطوطة محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط ، تحت رقم : ٧٥٣٤ .

(٦) السعدي : مصدر سابق ، ص ٤٦ .

(٧) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٥١ .

التراجم والتاريخ والفقه . وقد بلغ مجموع ما ألفه فيما أحصاه الدكتور عبد الحميد الهرامة في مقدمة كتاب نيل الابتهاج ثلاثين كتاباً^(١) ، في علوم مختلفة في التاريخ والتراجم والفقه والعقيدة والحديث والتصوف ، وتستوقفنا في هذا الصدد عناوين بعض هذه الأعمال العلمية التي نذكر منها على سبيل المثال :

المقصد في الشرح على مختصر خليل ، حاشية منن الجليل على مهمات تحرير الشيخ خليل ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، الذي ترجم فيه لعدد هائل من الأعلام المالكية ، فاعتبر بهذا العمل الشخصية العلمية الوحيدة في عصره التي استطاعت أن تسجل أحداثاً وأعلاماً وعناوين كتب ومناخاً أدبياً وفكرياً وحضارياً . فعد عمله العلمي هذا رصيذاً في غاية الأهمية في مجال التراث العربي الإسلامي^(٢) ، وقد أكمل أحمد بابا هذا الكتاب أثناء وجوده في مراكش^(٣) وألف أيضاً كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، والنكت الوفية بشرح الألفية ، والتحديث والتأسيس في الاحتجاج بابن إدريس ، واختصار شرح المقدمة الصغرى ، وجلبُ النعمة ودفع النعمة بمُجانبةِ الولاة الظلمة ، ومعراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود ، أو الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان وغير ذلك من الكتب^(٤).

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ص ١٧ ، ١٨ .

(٢) عبد الجليل التميمي ، معلمة بيليوغرافية للأعلام المغاربة ، المجلة التاريخية المغربية العدد ٣٣ ، تونس ١٩٨٤م ص ٤٢ .

(٣) cuoq j : op .cit,p٢٢ .

(٤) منها (النكت المستجادة في مساواتها (الفاعل والمبتدأ) في شرط الإفادة ، ترتيب جامع المعيار للونشريسي ، نيل الأمل في تفضيل النية على العمل ، اللالي السندسية ، مختصر عن المواهب القدسية لمحمد الملال ، غاية الأمل في تفضيل النية على العمل ، تعليق على مواضع من خليل ومواضع من ابن الحاجب ، مسائل متضمنة فنونا في صورة أسئلة ، فتح المحي في مسألة حي ، المسك الانم إلى معرفة هلم منور الحالك في شرح بيتي ابن مالك ، المطلب والمأرب في أعظم أسماء الرب ، جزء في تكفير الكبائر بالأعمال الصالحة ،) نشر العبر ، خمائل الزهر ، الدر النضر وهؤلاء الثلاثة كتب في الصلاة على النبي ﷺ رسائل نثرية مودعة في المكتبة الجزائرية ، فوائد النكاح على مختصر كتاب الوشاح للسيوطي ،

وكان إسهام العلامة محمد بغيغ (١٠٠٢-٩٣٠هـ / ١٥٢٣-١٥٩٣م) في التأليف كبيراً، وكان له تعليقات على شرح الخليل في الفقه، وتنبه ما في شرح التائي من سهو^(١)، أيضاً مصنف سماه قرعة الطيور^(٢)، كما أن له مؤلفات أخرى في الفقه المالكي، وفتاوى عديدة لم تصل أغلبها إلينا، ربما لضياعتها بالإعارة أو لتأثرها بعوامل الخراب والاضطرابات السياسية المتعاقبة. وهكذا كان الفقيه محمد بغيغ من الفقهاء الذين لهم دور ثقافي وحيوي عظيم في انتعاش الحركة العلمية، ونشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في معظم ربوع السودان الغربي.

كما ألف فقهاء المالكية في مجال التاريخ والتراجم فنجد الفقيه القاضي محمود كعت المتوفى عام (٩٥٢هـ / ١٤٩٥م) في تنبكت^(٣) قد ترك آثاراً علمية باقية في مجال الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي، وقد تخصص القاضي كعت في تاريخ بلاد السودان الغربي حتى عدّ أكبر مؤرخ لها^(٤). ومن أهم مؤلفاته التي وصلت إلينا كتاب "تاريخ الفتاش في أخبار الملوك والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار" وقام حفيده ابن المختار العلمية بإكمال مؤلفه تاريخ الفتاش بعد وفاته. وقد تناول هذا الحفيد فيه كلا من مملكة غانة وأصول ملوكها، وكذلك مملكة مالي، ثم دولة صنغى فتحدث عن بداية عهد أسكيا

معراج الصعود، أشار إليه السلاوي في الاستقصا، استطرد الظرفاء، ذكره مؤلف بذل المناصحة وأشار إلى إنه أخفاه إلى أن سافر إلى بلاده، تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، مرآة التعريف بفضل العلم الشريف)، أنظر أحمد بابا: نيل الابتهاج، ص ١٧، ١٨.

(١) أحمد بابا: نيل الابتهاج، ص: ٦٠٣.

(٢) هذا الكتاب موجود في قسم المخطوطات العربية بمعهد الأبحاث العلمية والإنسانية، (I. R. S. (C. H.

(٣) أبو بكر إسماعيل: مرجع سابق، ص: ٢٠٩.

(٤) فاي منصور علي: ص: ٧، مرجع سابق.

الحاج محمد ، وأدائه لفريضة الحجّ وأثنى عليه كثيرا ، في حين أنحى باللائمة على سني علي ووصمه بالخارج عن الدين (١) .

وهكذا كان إن هؤلاء الفقهاء الإعلام الذين ذكرنا بعض مؤلفاتهم أغنوا الحياة الفكرية في بلاد السودان الغربي ببعض هذه المؤلفات التي تمثل معظمها في شروح وتعليقات أسهمت في دعم المذهب المالكي الذي كان سائد في تلك البلاد .

الصلات العلمية والثقافية بين فقهاء مالكية السودان الغربي وفقهاء المالكية في المغرب ومصر والحجاز :

تعد الصلات العلمية والثقافية بين فقهاء المالكية ببلاد السودان الغربي وفقهاء المالكية في كل من المغرب ومصر والحجاز صلات ضاربة الجذور في التاريخ ، وخاصة الصلات المغربية ، ولهذا وصفت الثقافة في السودان الغربي بأنها ثقافة مغربية علي أرض سودانية (٢) . كما ساهمت التأثيرات المصرية والحجازية في رفع شأن فقهاء بالسودان الغربي (٣) من خلال كتب الدراسة والإجازات العلمية

(١) كمت: مصدر سابق ، ص ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ .

(٢) في هذا الموضوع كتب القلقشندي (٨٢١٠٧٥٤هـ / ١٣٥٣-١٤١٨) "... وكتابتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة ، وهذا دليل على عمق الاتصالات الثقافية بين الجانبين ، أنظر القلقشندي : مصدر سابق ، ج٥ ، ص ٢٩٨ .

(٣) حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص ٢٤٤ ، كان أهل الأراضي الحجازية يمتازون بجسّن الجوار للغرباء ، فمن مكارمهم ومآثرهم أنه متى صنع أحد أفراد مكة وليمة ، بدا بإطعام الفقراء والمنقطعين والمجاورين في الليالي المباركة ، أنظر حسين مراد : المجاورون المصريون في الحرمين الشريفين ٦٤٨٥٦٧هـ / ١١٧١-١٢٥٠م ، المجلة التاريخية المصرية ، عدد ١٩٩٥م ، ص ١٢٣ ، ١٢١ .

والمرسلات ويرجع ذلك إلى أن الأفكار في العالم الإسلامي لا تعترف بالحدود ، كما لا يتعرف هؤلاء العلماء باختلاف الأعراق والجنسيات والألوان^(١) .

(أ) الصلات العلمية بين بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب :

كان الاتصال بين المغرب والسودان الغربي قديما ، حيث تأثرت الأخيرة بالنمط الثقافي المغربي . ومن أبرز هذه الاتصالات العلمية والثقافية رحيل عدد من أبناء السودان الغربي للدراسة في بلاد المغرب ومن أبرز هؤلاء الفقيه كاتب موسى وهو من العلماء الذين رحلوا إلى فاس لطلب العلم بأمر من السلطان منسا موسى^(٢) . والفقيه عبد الرحمن التميمي المكي الذي جاء إلى السودان مع منسا موسى أثناء عودته من رحلة حجه ليقوم بالتدريس في تنبكت ، ولما وصل إلى مدينة تنبكت وسكنها وجدها حافلة بالفقهاء والعلماء الذين تفوقوا عليه العلم فأضطر للرحيل إلى فاس ليتفقه هناك^(٣) .

كما رحل فقهاء المغرب إلى تلك البلاد فقد شاهد ابن بطوطة عدد من فقهاء المالكية المغاربة في بلاد السودان الغربي فالتقى في مدينة ولاته بأحد فقهاء مدينة سلا^(٤) ويدعى الفقيه ابن بداء^(٥) ، كما التقى ابن بطوطة أيضا بقاضي مدينة ولاته وهو الفقيه المغربي محمد بن عبد الله بن ينومر ، كما التقى بأخيه يحيى وكان فقيها

(١) . op . cit , p٢٧ : ج١

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٧ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٥١ .

(٤) سلا مدينة تقع بالمغرب الأقصى على ساحل المحيط الاطلنطي ، منها إلى مدينة مراكش عشر مراحل ولها نهر كبير في غرب هذا النهر كما أخطت عبد المؤمن بن علي مدينة سهاها المهدية ، ياقوت الحموي : مصدر سابق ، ص ٢٣١ .

(٥) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٦١ .

ومدرسا هناك^(١). كما ألتقي ابن بطوطة بشيخ المغاربة في مدينة تكدة^(٢) ويدعى الفقيه إبراهيم بن إسحاق بالإضافة إلى الخطيب محمد ، والمدرس الفقيه أبو حفص المسوفي^(٣) والشيخ التلمساني الذي يعلم الناس القرآن الكريم والفقه^(٤)، والشيخ المزوري المراكشي الذي قابله ابن بطوطة^(٥)، والمقري عبد الواحد بشمعة^(٦) والشيخ الموصل^(٧) وسعيد بن علي الجزولي^(٨). ولكثرة التواجد المغربي في دولة مالي علي هذا النحو وجد ابن بطوطة حي من أحياء العاصمة خاصاً بهم ويدعى محلة البيضان ، ويطلق أهل تلك البلاد على المالكيين من البيض لقب " توري"^(٩) ، وكان كبير المغاربة في العاصمة هو محمد بن الفقيه الجزولي الذي التقى به ابن بطوطة ، كما التقى بصهره الفقيه عبد الواحد و الفقيه الدكالي ، والفقيه محمد بن عبد الله بن بنومر وغيرهم من الفقهاء المغاربة^(١٠).

وتعمقت الصلات بين البلدين زمن دولة صُنغي مع مجيئ الإمام محمد عبد الكريم المغيلي (٩٧٩-٩٩٠هـ / ١٣٨٨-١٥٠٣م) الذي ارتحل إلى بلاد السودان ودخل

(١) نفس المصدر : ص ٦٦١.

(٢) تقع مدينة تكدة على بعد ١٨٠ كيلومتر من أغاديس الحالية إلى الشمال الغربي منها ، المصدر السابق ، ص ٦٧٩.

(٣) نفس المصدر ، ص ٦٧٩.

(٤) حسين مراد: المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٨٢.

(٥) - ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٦٥.

(٦) - المصدر السابق ، ص ٦٦٤.

(٧) - وهو من علماء بجاية أنظر ، الغبريني " العباس أحمد ، ت ٧٠٤هـ / ١٣٢٦م " عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق رابع بونار ، الوطنية للنشر والتوزيع ، وطبعة المطبعة الثقافية الجزائر ، ١٣٢٨هـ ، ص ١٦٦ ، ١٦٧.

(٨) - المصدر السابق ، ص ٦٧٧.

(٩) المصدر السابق ، ص ٦٦٤.

(١٠) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧.

بلدة تكدا ووصل إلى مدينة جاو في أوائل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . واجتمع بسلطانها أسكيا محمد الكبير وتذاكر معه جملة من المسائل الفقهية فألف له تأليفاً إجابة فيه عن هذه المسائل (١) حيث وجه الاسكيا للعقيدة الصحيحة (٢) كما عمل مستشاراً سياسياً وفقهياً له كما قام الإمام المغيلي بتأليف عشرات الكتب والشروح (٣) .

وتأكيداً على الصلات العلمية بين السودان الغربي وبلاد المغرب ما حدث من إرسال رسائل وكتب تعبر عن الاهتمام بما يحدث من أمور مرتبطة بالدين والدنيا بين الفقيه أحمد بابا من جهة وبين فقهاء المغرب من جهة أخرى ، منها مراسلاته وفتواه الشهيرة في مسألة العبيد بعد أن أرسل أهل توات رسائل إلى أحمد بابا التنبكتي حول مجلوب السودان فرد عليهم أحمد بابا بالجواب حول حكم الإسلام في رسالة سماها الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان (٤) .

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٥٧٧ .

(٢) أبو بكر إسماعيل : مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

(٣) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٥٧٧ .

(٤) أحمد بابا : معراج الصعود "أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق" ، تحقيق وترجمة فاطمة الحراف ، وجون هانويك ، المملكة المغربية ، جامعة محمد الخامس ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط ، ٢٠٠٠م ، ص ٦٩ ، ٥١ . وهناك المزيد من الأمثلة التي تدل على الاتصال بين السودان الغربي وبلاد المغرب وكذلك علو شأن الفقيه أحمد بابا ومنها أثناء وجوده في المغرب بعد الغزو السعدي ومنها من ذهب للحصول على الإجازة العلمية ، وتحضرنا هناك أربعة نماذج من هذه الإجازات أجازة أحمد بابا التنبكتي الذي قام بأجازة في عام ١٠٠٨هـ / ١٥٩٩م أبي الفضل محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي (٤) ، وكذلك إجازته في عام (١٠١٠هـ / ١٦٠١م) إلى أبي زيد بن الوقاد عبد الرحمن التلمساني (٤) . كما قام أحمد بابا التنبكتي بإجازة تلميذه أحمد بن محمد فهدى التواتي ثم المراكشي وكذلك قام بإيجازه الفقيه عبد الرحمن التمنرتي في عام (١٠٣٥هـ / ١٦٢٦م) وكانت هذه الإجازة بالمراسلة والفقيه أحمد المقرئ التلمساني المتوفى عام (١٠٤١هـ / ١٦٣١م) الذي منحه (إجازتان) . وتأكيداً على الصلات العلمية بين السودان الغربي وبلاد المغرب ما حدث من رسائل وكتب تعبر عن الاهتمام بما يحدث من أمور مرتبطة

كما أفتى أحمد بابا بفتوى حول أعراف جزولة وهي عبارة عن أمور تتعلق بالإحكام العرفية التي كانت سائدة في تلك الجبال المغربية ناحية السوس الأقصى^(١) . وما ذكرناه لا يدل إلا على بعض الصلات العلمية والثقافية التي ربطت بين علماء السودان الغربي وعلماء بلاد المغرب ، وهي صلات عميقة الجذور ضاربة في التاريخ .

(ب) الصلات العلمية مع مصر :

كانت الاتصالات الثقافية بين السودان الغربي ومصر صلات قوية حيث أصبحت مصر موئل الفكر الإسلامي في الشرق حيث كان وقوعها على طريق الحج ، وكان الأزهر الشريف كعبة المسلمين ومركز الدراسة شتى أنواع العلوم ومن ثم تبوأ نوعاً من الزعامة الفكرية والثقافية في العالم الإسلامي كله .

وترجع هذه الصلات العلمية والثقافية مع مصر إلى زمن دولة مالي ، فقد توافد في عهدها طلاب العلم من السودان الغربي إلى مصر ليتزودوا بالعلم والمعرفة على يد مجموعة كبيرة من علمائها الذين ذاع صيتهم في الفقه المالكي . ومع تكاثر

بالدين والدنيا بين الفقيه أحمد بابا من جهة وبين فقهاء المغرب من جهة أخرى ، منها مراسلاته وفتواه الشهيرة في مجال التدخين وعرفت به (قواعد أحمد بابا في حلية التدخين) وجاء رد أحمد بابا عليها مفصلاً في كراسة أطلق عليها أسم : "اللمع في الإشارة لحكم التبغ والذي انتهى من تأليفه عام (١٠١٦هـ / ١٦٠٧م) ووعد بكتاب آخر يكون أكمل وأتم بعنوان : عين الإصابة في مسألة طابة ، وكانت فتوى أحمد بابا الذي كان من المدمنين على التدخين القائلين بحليته مادام غير منوم وغير مفسد للوضوء ، فهي ليست كالخمر ، ولا تتصف بصفاته أنظر أحمد بابا التبتكي : قواعد في حلية التدخين ، مخطوط ، معهد البحوث والعلوم الإنسانية نيامي "النيجر" رقم ٢٥١ ، ورقة ١ ، مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية ، ص ١٢٦ . أنظر الملاحق ، وكان هذا رد فتواه حين استفتاه قاض فاس على بن عمران ، وقاضي درعه أحمد البوسعيدى وغيرهما حين استفتوه في ذلك .

(١) حسن الصادق : جوانب عن التواصل الثقافي شمال جنوب ضفتي الصحراء الإفريقية ، مجلة المغرب الإفريقي ، مجلة متخصصة في التراث والدراسات الإفريقية ، جامعة محمد الخامس ، معهد الدراسات الإفريقية ، الرباط ، العدد ١ ، عام ٢٠٠٠م ، ص ٩٢ .

هؤلاء الطلاب الذين يأتون من بلاد السودان الغربي ، فقد أسس لهم رواق في الأزهر عرف برواق التكرور (١) .

ومن هؤلاء الطلاب الوافدين علي مصر فاتح بن عثمان التكروري المتوفى عام (٦٩٥هـ / ١٢٩٣م) والذي جاء من مراكش إلي مصر وتفقّه علي أيدي علمائها ثم جلس ليعلم الفقه في مسجد فتح بمدينة دمياط (٢) .

وهاهو الفقيه صبيح التكروري المتوفى عام (٧٣١هـ / ١٣٣٠م) وكان قد جاء إلي مصر وتفقّه علي الشيخ النجيب ، والشيخ شمس الدين بن العماد وغيرهما (٣) .

كما تعلم في مصر الشيخ محمد بن أحمد بن عثمان بن عبد الله بن سليمان الحراز العز التكروري المتوفى عام (٨٥٧هـ / ١٤٥٣م) التكروري الأصل و القرافي المدفن ، حفظ القرآن الكريم كله بمصر وتفقّه علي بعض مشاهير الفقهاء المصريين قبي عصره (٤) .

هذا بالإضافة إلي زيارة منسا موسي إلي مصر أثناء رحلة حجه الشهيرة التي كان لها عظيم الأثر في الاتصال الثقافي والعلمي بين السودان الغربي ومصر بعد أن قام بشراء الكثير من كتب الفقه المالكي ليوفر لأهل دولته منهل من الثقافة المصرية .

(١) عبد القادر زيادية : مرجع سابق ، ص ١٤٦ ، الشيخ الامين محمد عوض الله : مرجع سابق ، ص ١٩٨ .

(٢) علي مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ٤ ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط ٢ ، ١٩٨٠م ، ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

(٣) ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجليل ، بيروت ، يدون تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

(٤) السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مكتبة القدس بالقاهرة ، ١٣٥٣هـ ، ج ٩ ، ص ٢ ، ٣ .

وتبع هذا الاتصال الثقافي والعلمي رحيل الكثير من فقهاء السودان الغربي إلى مصر وإقامة مدرسة خاصة بهم بجوار الأزهر^(١).

كما ذكر ابن بطوطة أثناء زيارته للعاصمة مالي في عهد منسا سليمان أسم طيب مصري طلب منه دواء ليعافيه وأخذه وشفي ، ولذلك من الراجح وجود بعض المصريين الفقهاء في العاصمة المالية^(٢).

وإذا كانت الصلات العلمية بين السودان الغربي ومصر ترجع إلى زمن دولة مالي فقد تعمقت هذه الصلات زمن دولة صُنغي ونجد في مقدمتها الاتصالات مع الإمام عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ / ١٤٤٥-١٥٠٥م) الذي ذاع صيته العلمي وتعددت مؤلفاته والتي وصلت حوالي ثلاثمائة كتاب^(٣). كما كانت له صلات واسعة مع العديد من سلاطينها وعلمائها رغم عدم زيارة الإمام السيوطي لبلاد السودان الغربي حيث كان السفر والانتقال إنما لكتبه فقط^(٤).

كما كان للأمام السيوطي أيضاً مراسلات هامة مع علماء السودان الغربي منها الرسالة التي بعث بها الفقيه شمس الدين بن محمد اللمتوني في عام ٨٩٨هـ / ١٤٩٣م ، والتي كانت تحتوى على مسائل وتساؤلات فقهية متعددة تعبر عن الواقع الديني والثقافي والاجتماعي لمجتمع السودان الغربي وقد سماها : (مطلب الجواب بفضل بفصل الخطاب)^(٥) ، وجاء رد الإمام السيوطي بجواب أسماه :

(١) فيج : تاريخ غرب أفريقيا ، ترجمة وتحقيق السيد نصر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٨٢ ، ط١ ، ص ٥٧.

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٧م ، ج١ ، ص ٢٨٩.

(٤) عبد الله نهان : الامام السيوطى وفن السيرة الذاتية ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة العدد ٣٤ ، ١٩٩٠م ، ص ١٣١ ، ١٣٢.

(٥) السيوطى : الحاوى للفتاوى ، ج١ ، ص ٣٣٦ ، ٣٤٣.

(فتح المطلب المبرور ويرد الكبد المحرور في الجواب عن الأسئلة الواردة من التكرور (١). وقد أورد الإمام السيوطي فيها بعضاً من أرائه الفقهية في تلك المسائل (٢) مما يدل على عمق الصلات العلمية بين الإمام السيوطي وعلماء السودان الغربي .

كما التقى الإمام السيوطي بالأسكيا محمد الكبير أثناء وجوده بالقاهرة أثناء رحلة حجه ، فجلس الأسكيا محمد إليه مستفتياً ومتعلماً في مجلسه مما كان له أكبر الأثر في نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة من خلال تلك الفتاوى التي وجهها إليه الأسكيا محمد الكبير (٣) .

كما كانت هناك رسالة من الإمام السيوطي تدل على عمق هذه الصلات كما تدل أيضاً على مدى حرص السيوطي على إقامة العدل واتباع القواعد الإسلامية الصحيحة عند حكام وأمراء السودان الغربي سماها السيوطي : (رسالة إلى ملك التكرور) (٤) وتدل هذه الرسالة أيضاً على أن هؤلاء الحكام كانوا أصدقاء للإمام السيوطي ويعملون بمشورته وإرشاداته ، وكان لصدى الاتصالات العلمية بين السودان الغربي والإمام السيوطي أن ترددت آراء الإمام السيوطي الفقهية في العديد من مؤلفات علماء السودان الغربي (٥) .

ومن نماذج الاتصالات بين السودان الغربي ومصر تلك الرسالة التي أرسلها أحمد بابا إلى العالم المصري سالم السنهوري (٩٤٥-١٠١٥ هـ / ١٥٣٨-١٦٠٦ م) (٦)

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٦ .

(٢) المصدر السابق والصفحات .

(٣) كعت : مصدر سابق ، ص ١٢ ، ١٣ ، السعدي : مصدر سابق ، ٨٣ .

(٤) جلال الدين السيوطي : رسالة إلى ملك التكرور ، مخطوطة ، دار الكتب العامة ، القاهرة ، رقم ٤١٦ ، مجاميع ميكروفيلم رقم ٤٥٧٩ ، ورقة ١٣٩ ، وأنظر الملاحق .

(٥) مطير غيث : مرجع سابق ، ص ١٤٣ .

(٦) كان إماماً للمذهب المالكي بمصر ، وتفقّه على يد الشيخ محمد البتوفري ، وأخذ الحديث عن نجم

وعرفت هذه الرسالة بعنوان : أسئلة في المشكلات (١) وأرسلت قبل عام (١٠١٠هـ/ ١٦٠١م). وكان فحوى هذه الرسالة استفسار من الفقيه أحمد بابا لبعض ما استعصى لديه من موضوعات في مختصر خليل وابن الحاجب ، وتتضمن هذه الرسالة ستا وثلاثين مسألة ، وطلب الفقيه أحمد بابا من الفقيه السنهوري وغيره من علماء مصر أن يفتوا في تلك المسائل (٢) .

كما كان هناك رسالة أخرى من الفقيه أحمد بابا في عام ١٠١٤هـ/ ١٦٠٦م موجهة إلى علماء مصر وعنوانها : مسائل إلى علماء مصر (٣) يسألهم فيها عن أمور استوقفته بلغت واحدا وعشرين مسألة تدور حول مسائل فقهية وتصوف ونحو وأصول ، وطلب منهم أحمد بابا رأيهم مدعماً بأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح ، ثم بيان وجهة نظرهم في ما ذهب إليه في فهمه لهذه المسائل (٤).

ومن أكثر الأدلة على الاتصالات العلمية بين السودان الغربي ومصر ما ورد من ردود ومؤلفات على مسألة التدخين والتي تعرض لها الفقيه أحمد بابا والكثير من العلماء ومن ذلك نصيحة إبراهيم اللقاني المصري المتوفى عام (١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)

الدين الغيطي ويرى في الفقه والحديث وغيرهما ، وهو مؤلف حاشية على مختصر خليل ، أنظر أحمد بابا : مصدر سابق ص ١٩١ .

(١) أحمد بابا : مسائل في المشكلات ، مخطوط ، الخزانة العامة ، الرباط مع مجموعة رقم ٤٧٠ من الورقة ١١٨ ظ إلى الورقة رقم ١٤٠ و ، مطير غيث : مرجع سابق ، ص ١٤٥ . سوزي أباطة : دراسة حول مخطوطي " أسئلة في المشكلات " و " أسئلة إلى علماء مصر " لأحمد بابا التنبكتي ، ندوة البردي والمخطوطات العربية في أفريقيا ، معهد الدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، عام ٢٠٠١م ، ص ، سوزي أباطة : عائلة أقيت ، ص ١٦٥ .

(٢) مطير غيث : مرجع سابق ، ص ١٤٥ ، سوزي أباطة : مرجع سابق ، ص ١٦٥ .

(٣) أحمد بابا : مسائل إلى علماء مصر ، مخطوطة ، المكتبة الوطنية ، باريس ، مع مجموعة رقم . ARABe:٥٣٨٢ ، مطير غيث : مرجع سابق ، ص ١٤٥ . سوزي أباطة : مرجع سابق ، ص ١٦٥ .

(٤) مطير غيث : مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

وعرفت باسم نصيحة الإخوان باجتنب الدخان^(١) كما ألف على الاجهوري (غاية التبيان لحل شرب ما لا يغيب العقل من الدخان)^(٢) .

وتعددت الاتصالات بين علماء السودان الغربي وعلماء مصر يتضح ذلك عندما أحتدم الخلاف بين الفقيه العاقب بن عبد الله الانصمني الذي كان موجوداً قرب (٩٥٥هـ/ ١٥٤٣م) وبين بعض شيوخ بلده حول وجوب الجمعة بقرية أنصمن ، ولحل هذا الأمر بينهم أرسلوا إلى علماء مصر بفحوى هذا الخلاف بينهما ، وقد أفتى علماء مصر بصواب رأى الفقيه العاقب الانصمني^(٣) .

ومن مظاهر الاتصالات العلمية بين السودان الغربي ومصر هو استقرار بعض هؤلاء العلماء في مصر في محلة أو مدينة عُرفت بأسمهم وتعرف حتى الآن باسم بولاق الدكرور حيث كانوا يعيشون فيها بالإضافة إلى سكناتهم في نواحي مختلفة من أنحاء القاهرة حيث كانوا يشهدون حلقات العلم في الجامع الأزهر، ويسمعون من شيوخه البارزين ومنهم الفقيه عبد العزيز التكروري الذي رحل إلى مصر في أوسط المائة التاسعة ، وكان عالماً كثيراً ويقال إنه عَزَى لاهل مصر جميع مسائل مختصر خليل لأصولها عد ثلاثة منها^(٤) .

كما وصل الي مصر الفقيه أحمد بن عمر أقيت المعروف بالحاج أحمد (٨٦٤-٩٤٣هـ/ ١٤٥٩-١٥٣٦م) وهو في طريقة إلى الحج عام (٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)

(١) محمد حجي : الحركة الفكرية ، ص ٢٥٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٣) أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص ٣٥٣ ، أحمد بابا : كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، تحقيق على عمر ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ط ١ ، ٢٠٠٤م ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٢٧٥ .

حيث حضر دروسا علمية وفقهية على يد الإمام السيوطي وخالد الأزهرى وغيرهما^(١).

كما التقى القاضي محمود كعت ورفاق رحلة الحج^(٢) التي كانت مصاحبه للأسكيا محمد الكبير عام (٩٠٣هـ / ١٤٩٧م) بعلما مصر وجلسوا متعلمين في حلقات الأزهر العلمية على يد علمائها وخاصة على الإمام السيوطي^(٣).

وعندما جاء الإمام التازختي (٩٣٦-٨٧٤ / ١٤٧٠-١٥٢٩م) إلى مصر وهو في طريق حجه التقى بأشهر علماء مصر، مثل شيخ الإسلام زكريا وحضر دروس البرهانيين وابن أبى شريف وعبد الحق السباطي والقلقشندى وغيرهم^(٤).

كما جاء الفقيه محمود بن عمر أقيت (٨٦٨-٩٥٥هـ / ١٤٦٣-١٥٤٧م) إلى القاهرة عام (٩١٥هـ / ١٥٠٩م) والتقى بالفقيه إبراهيم المقدسي والشيخ زكريا والقلقشندى واللقائين وغيرهم وقام بإجازته الشيخ اللقاني^(٥) كذلك فعل ابنه العاقب بن محمود أقيت (٩١٣-٩٩١هـ / ١٥٤٩-١٥٨٢م)^(٦).

(١) المصدر سابق، ص ١٤١.

(٢) من رفاق رحلة الحج محمد تل، وألفا صالح جور، ومحمد تنك، والقاضي محمود يدبغ، والشيخ مور محمد، والقاضي محمود كعت، أنظر محمود كعت: ص ١٦.

(٣) محمود كعت: ص ١٢، ١٣، السعدي: مصدر سابق، ص ٨٣.

(٤) أحمد بابا: مصدر سابق، ص ٥٨٧.

(٥) المصدر السابق، ص ٦٠٧.

(٦) هاشم الدين اللقاني ٨٥٧-٩٣٥هـ / ١٤٤٢-١٥٢٨م وناصر الدين اللقاني (٩٥٨-٨٧٣هـ / ١٥٥١-١٤٦٨م) وهما من علماء المشهورين في الفتوى والتأليف وأنهت اليهما رئاسة العلم في مصر، أنظر أحمد بابا: مصدر سابق، ص ٥٩٠، ٥٩١.

وفي إثناء زيارة الفقيه أحمد بن أحمد أقيت (٩٢٩-٩٩١هـ/١٥٢٢-١٥٨٣م) إلى مصر التقى بالاجهوري^(١) والتاجوري^(٢) و اللقاني وغيرهم من فقهاء المالكية بمصر .

وفي القاهرة التقى الفقيهان أحمد و محمد بغيخ بعدد من فقهاء المالكية في أثناء الذهاب والعودة من رحلة حجها ومن هؤلاء العلماء ناصر اللقاني والتاجوري والزين البحيري والشريف يوسف والبرهمتوش الحنفي وحصلوا منهم علي علم كثير^(٣) .

ومن الادله علي الاتصالات العلمية والثقافية بين فقهاء السودان الغربي ومصر ما حدث أثناء عودة المختار بن محمد بن الفقيه المختار النحوي بن أندغ محمد الذي كان مادحا للنبي محمد ﷺ من رحلة حجه^(٤) فسلمه الإمام محمد البكري المصري المتوفى عام (٩٩٦هـ/١٥٨٧م) رسالة ليسلمها إلي الاسكيا نوح بن أسكيا داوود المتوفى عام (١٠٠٤هـ/١٥٩٥م)^(٥) .

وهكذا تعددت الاتصالات بين بلاد السودان الغربي ومصر واستمرت لعدة قرون وأسهمت في إثراء الحياة العلمية في هذه البلاد .

(١) الاجهوري : "عبد الرحمن بن علي الاجهوري " المتوفى عام ٩٥٧هـ/١٥٤٩م، نسبة الى أجهور من قرى الريف المصري ، وكان من المداومين على تدريس مختصر خليل، أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٢٦٢ .

(٢) التاجوري : " هو عبد الرحمن بن الحاج أحمد المغربي الطرابلسي " الشهير بالتاجوري ، وكان له اعتناء بكتاب التهذيب وأخذ الفقه عن الفقيهين الأخوين شمس الدين اللقاني وناصر اللقاني وغيرهما ، أنظر أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٢٦٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٠١ .

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص ٢٩ .

(٥) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٦٧، ١٦٨ .

(ج) الصلات العلمية مع بلاد الحجاز :

كانت رحلات الحج التي قام الكثير من أهل السودان الغربي إلى بلاد الحجاز لها دور هام في دعم الاتصالات العلمية والثقافية بين بلاد السودان الغربي وبين بلاد الحجاز ، حيث لم يكتف هؤلاء الحجيج بتأدية الشعائر الدينية فقط بل كانوا يقومون بزيارة بيت الله الحرام وزيارة قبر رسول الله ﷺ ويجاورون هناك ، وكان الترحيب بهم في بلاد الحجاز كبيراً^(١) ، وخير دليل على ذلك الفقيه محمد بن عبد الله التكروري الذي كان خطيباً في بلاده حج وجاور في المدينة المنورة وظل بها حتى توفي ودفن عام (٧٤٢هـ / ١٣٤١م) ، وكذلك الفقيه العالم الزاهد القاسم التكروري الذي حج وظل بالمدينة المنورة حتى توفي بها أيضاً عام (٧٤٧هـ / ١٣٤٦م)^(٢) .

وقد حرص بعض أبناء السودان الغربي علي الجلوس في حلقات العلم والحصول على الإجازات العلمية من علماء بلاد الحجاز^(٣) ومن هذه الإجازات الإجازة التي حصل عليها إبراهيم بن عبد الرحمن التكروري وكانت في عام (٩٨٨هـ / ١٥٨٠م) وكانت هذه الإجازة من الإمام النهروالي^(٤) .

(١) وما شجع على ذلك في الأراضي الحجازية حسن الجوار للغرباء ، فمن مكارمهم ومآثرهم أنه متى صنع أحد أفراد مكة وليمة ، بدا بإطعام الفقراء والمنقطعين والمجاورين في الليالي المباركة ، أنظر حسن مراد : المجاورون المصريون في الحرمين الشريفين ٦٤٨-٥٦٧هـ / ١١٧١-١٢٥٠م ، المجلة التاريخية المصرية ، عدد ١٩٩٥م ، ص ١٢١ ، ١٢٣ .

(٢) ابن حجر : مصدر سابق : ج٣ ، ص ٢٤١ ، ٢٨٧ ، محمد أمين : علاقات ملي وسنغاي في عصر سلاطين المماليك ، مجلة الدراسات الأفريقية ، جعة القاهرة ، العدد الرابع ، ١٩٧٥م ، ٢٩٩ .

(٣) وقد أشار المستشرق بوركهات إلي أن الحلقات الدراسية التي كانت تعقد يومياً في الحرم المكي كانت تضم جميع الجنسيات المسلمة ، أنظر

Burckhardt J. L.: Travels In Arabia , London, ١٨٢٩, vol, ١, p3٩٠-٣٩١.

(٤) النهروالي : هو " محمد قطب الدين بن أحمد علاء الدين بن أبي محمد محمد شمس الدين بن حميد الدين النهر والي ، مفتي مكة المكرمة ، أنظر النهروالي ، محمد قطب الدين بن محمد ، إجازة صادرة منه

كما أخذ الفقيه أحمد بن أحمد أقيت الإجازة أيضاً من الفقيه النهر والى أثناء تأدية فريضة الحج^(١) كما أخذ الفقيه أحمد بن أحمد أقيت (٩٢٩-٩٩١هـ/١٥٢٢-١٥٨٣م) أثناء تأدية فريضة الحج الإجازة من أستاذه الإمام بركات بن محمد الخطاب^(٢).

كما حصل الفقيه أحمد بابا التنبكتي على الإجازة من إمام المالكية الإمام يحيى بن محمد بن محمد الخطاب (٩٠٢-٩٩٥هـ/١٤٩٦-١٥٧٨م) وكانت هذه الإجازة عن طريق المراسلة^(٣)، إمام الفقيه محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي الشهير بأيد أحمد المتوفى عام (٩٣٦هـ/١٥٢٩م)^(٤) فقد منح الإجازة أثناء تأدية فريضة الحج على أيدي أبي البركات النويري وابن عمه عبد القادر وعلى ناصر الحجازي وأبو الطيب السبتي وغيرهم من علماء الحجاز^(٥). بما يدل على عمق الصلات العلمية بين السودان الغربي وبلاد الحجاز وقد ساعد على ذلك معرفة بعضهم البعض جيداً من هذا عندما سافر الفقيه صديق محمد تعالى إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج، واجتمع بالكثير من الفقهاء والصالحين وجد لديهم وخاصة ومنهم محمد البكري الذي كان على معرفة جيدة بعلماء تنبكت محبا لهم، وكان دائم السؤال عنهم^(٦).

أسانيد أحاديث الرسول ﷺ، إلى الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن الجنوى التكروري، وثيقة، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، رقم ٢٠٦٥، ورقة ١٣ب، أنظر الملاحق.

(١) التمرننى، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الجزولى: القوائد الجمّة في إسناد علوم الأمة، مخطوطة، الخزانة العامة الرباط، رقم د ٣٦٩٣، مطير غيث: مرجع سابق، ص ١٤٧.

(٢) أحمد بابا: مصدر سابق، ص

(٣) المقرئ: أحمد بن محمد: روضة الاس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراکش وفاس، المطبعة الملكية، الرباط، ط ٢، ١٩٨٨م، ص ١١.

(٤) أحمد بابا: مصدر سابق، ص ٥٨٧.

(٥) المصدر السابق والصفحة.

(٦) السعدي: مصدر سابق، ص ٦١.

وهكذا تنوعت تلك الاتصالات العلمية والثقافية بين بلاد السودان الغربي والحجاز ومصر والمغرب سواء كانت عن طريق الرحلة في طلب العلم أو عن طريق المراسلات للحصول على الفتاوى الفقهية المختلفة ، أو عن طريق أداء فريضة الحج ، وأدت هذه الاتصالات إلى تنمية الحياة العلمية في بلاد السودان الغربي بالإضافة إلى ترسيخ المفاهيم الصحيحة للعقيدة الإسلامية في هذه البلاد وسيادة روح الإخوة والمودة والترابط بين بلاد السودان الغربي والمغرب ومصر وبلاد الحجاز وكان لفقهاء المالكية في هذه البلدان الفضل الكبير في تحقيق هذه النتائج الهامة .

الخاتمة

يعد المذهب المالكي وفقهاء المالكية في مجتمعي مالي وُصنغي من المحاور الرئيسية التي قام عليها المجتمع في تلك الدولتين، ولذلك أظهرت هذه الدراسة أهمية الدور الحيوي الذي قام به فقهاء المالكية في كافة مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية . وقد لقي المذهب المالكي عناية واهتمام حكام تلك البلاد وأهلها ، وساعد حكامه وفقهاؤه علي نشره ودعمه بفضل ما بذلوه من جهود ساعدت أيضا علي انتشاره وسيادته .

وقد أوضحت الدراسة الدور المغربي في دخول الإسلام وانتشاره في بلاد السودان الغربي ودور كل الفرق والمذاهب الإسلامية في هذا الأمر حتى أصبح الإسلام الدين الرسمي في كافة للوحدات السياسية القائمة في تلك البلاد ، وذلك منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي . وأمتد دور المغاربة إلي نشر المذهب المالكي في السودان الغربي حتى أصبح مذهب تلك البلاد بعد أن تغلب علي بقية المذاهب والنحل الإسلامية الاخرى كالاباضية والخوارج الصفرية بالإضافة للمذهب الشيعي . وأصبح المذهب المالكي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي هو المذهب السائد في كافة الوحدات السياسية خلال هذا القرن مما أدى إلي علو شأنه في تلك البلاد.

كما تمخضت هذه الدراسة عن تحديد الأسباب التي أدت إلى انتشار المذهب المالكي وذيوعه في بلاد السودان الغربي وخاصة زمن دولة مالي الإسلامية التي كان لحكامها دور كبير في انتشار المذهب المالكي وذيوعه . وأتضح ذلك من خلال سلطان مالي منسا موسى الذي أكد على انتهائه للمذهب المالكي ومدى فخره بذلك

كما قام بتوثيق علاقته مع كبار فقهاء المالكية بمصر ، وقام بشراء الكثير من كتب الفقه المالكي ، كما قام بجلب عدد من فقهاء المذهب المالكي إلى بلاده ، كما قام بإرسال طلاب العلم إلى بلاد المغرب الإسلامي للتفقه في مذهب الإمام مالك .

هذا وقد أوضحت الدراسة استمرار ذبوع المذهب المالكي في دولة مالي بعد ذلك بسبب جهود منسا سليمان الذي جلب عدداً كبيراً من فقهاء المذهب المغاربة إلى بلاده ، وقام ببناء عدد من المساجد التي انتشرت بها حلقات تدريس الفقه المالكي وأكد لنا هذا ابن بطوطة الذي زار تلك البلاد وأكد لنا أيضاً على تواجد عدد ليس بقليل من فقهاء المذهب المالكي وخاصة من بلاد المغرب .

كما أبرزت الدراسة أن انتشار اللغة العربية في تلك البلاد كان له أثر واضح في ذبوع المذهب المالكي زمن دولة مالي حيث أعان هذا الأمر في قراءة كتب المذهب المالكي والتفقه فيه ، مما كان سبباً في ظهور عدد من فقهاء بلاد السودان الغربي في المذهب المالكي الذين تفقهوا على أيدي فقهاء مغاربة .

وبينت هذه الدراسة أيضاً أن السيادة للمذهب المالكي قد تحققت بشكل كامل وتام في زمن دولة صُنغي وخاصة زمن حكم الاساكي بسبب جهود بعض حكام دولة صُنغي وخاصة أسكيا محمد الكبير (٨٩٨-٩٢٤ هـ / ١٤٩٢-١٥٨٢ م) ، وابنه أسكيا داوود (٩٥٦-٩٩١ هـ / ١٥٤٩-١٥٨٣ م) اللذين عملوا على تشجيع فقهاء المالكية في دولتهم ومنحاهم حرية مطلقة ، مما مهد الطريق لفقهاء المالكية للتمكين لهذا المذهب في دولتها .

وأكدت الدراسة أن من أسباب سيادة المذهب المالكي في دولة صُنغي تولى عدد من فقهاء المالكية الخطط الدينية ، ويأتي في مقدمتها خطة القضاء ، والفتيا . وكان الملك يعين هؤلاء الفقهاء من (المفتون والقضاة) الذين كانوا يرضون بالإحكام الشرعية المستمدة من روح الإسلام وحده ووفق مذهب الإمام مالك .

ومن العوامل الخارجية التي أدت إلى توطين المذهب المالكي في تلك البلاد وأوضحته الدراسة فقه الإمام مالك بالإضافة إلى العامل الجغرافي فقد كان لهذا العامل دوره في توجيه المغاربة إلى بلاد السودان الغربي لنشر الإسلام والمذهب المالكي ، فقد تيسر الاتصال بينهم وبين أهالي تلك البلاد عبر الصحراء بالرغم من بعد الشقة وأخطار الرحلة لانعدام الحواجز الطبيعية . وإذ كان للعامل الجغرافي أثره في نشر الإسلام في تلك البلاد ، فقد كان لهذا العامل أثره أيضا في نشر المذهب المالكي في تلك البلاد ، فمن المعروف تمسك أهل المغرب بالمذهب المالكي والعمل على نشره وهو أمر من الشهرة بحيث لا يحتاج إلى بيان. كما كان لهذا العامل أثره في خروج أهالي السودان الغربي إلى المشرق من أجل أداء فريضة الحج والرحلة في طلب العلم

وقد تمخضت الدراسة أيضاً عن أبرز المكانة التي احتلها فقهاء المالكية في دولتي مالي وُصْنغى بالإضافة إلى الوضع الاجتماعي والنفوذ والتأثير الذي حظوا به بين العامة والخاصة، فقد ارتبطوا بعلاقات مع السلطة الحاكمة كانت في الأغلب علاقات طيبة وفي أحيان أخرى ساءت العلاقة بين الطرفين خاصة في عهد سني علي فقد اعتبر بعض فقهاء المالكية أنفسهم أوصياء على الشريعة والعرش في عهد سني علي ، مما جعلهم يهاجمون سياسته ، فاضطهدوا لذلك وفروا من مدينة تنبكت ، والبعض الآخر من الفقهاء حمتهم السلطة بسبب وضعهم الديني والاجتماعي، الذي أهلهم فيما بعد أن يلعبوا دور المفكرين في المجتمع كمعبرين عن النموذج الذي يجب أن يكون عليه النظام الاجتماعي والثقافي خاصة في عهد الأساكي. ولذلك كان لهم نفوذ كبير بسبب علاقاتهم القوية بالسلطة وخاصة في عهد هؤلاء الاساكي الأقوياء . فكانت لهم مواقف تبرهن على توجهيهم للسلطة ، وتبرهن كذلك على تخديهم لسلطة الحكام وإرادتهم إذا ما حادوا عن الطريق القويم ، فنجد أن الحكام خضعوا لهم واستجابوا لهم لدعم مشروعهم السياسي والديني الذي لا يقوم إلا على

أساس هؤلاء الفقهاء . وقد وضع أسكيا الحاج محمد قواعد هذا المشروع وتعامل مع هؤلاء الفقهاء في بلاده بذكاء شديد ، فسعى للتقرب إلى الفقهاء وصاحبهم وقلدهم جميع الأمور لدعم حكمه .

كما أوضحت الدراسة ظهور عدد من العوائل السودانية التي توارث أفرادها وظائف الخطط الدينية والقضائية مثل عائلة أقيت وعائلة بغيغ وعائلة أندغ محمد وعائلة الحاج .

وقد بينت الدراسة الدور الاجتماعي الذي لعبه فقهاء المالكية في السودان الغربي زمن دولتي مالي وُصْنُغِي فقد وقع عليهم بشكل واضح عبء الإصلاحات الاجتماعية ومحاولة الحفاظ على قيم المجتمع المسلم ومبادئه . وكانت هذه الإصلاحات ملقاة في المقام الأول على كواهل هؤلاء الفقهاء ، فقد كانت أعين الناس حكاما ومحكومين معقودة عليهم ولذلك لم يأل العلماء جهدا في سبيل إصلاح المجتمع وتقويمه والقضاء على بعض هذه العادات و المفاصد التي تخالف الشريعة الإسلامية .

كما أكدت هذه الدراسة علي أن الحركة العلمية في السودان الغربي استفادت من تشجيع حكام تلك البلاد للعلم والعلماء ، فقد دأب بعض سلاطين دولتي مالي وُصْنُغِي علي بناء المساجد أو المساهمة في إنشائها ، والتي لم يقتصر دورها علي المجال الديني فقط ، بل كانت أماكن لتلقي العلم والمعرفة . كما تعددت مظاهر اهتمام هؤلاء الحكام بالعلم والعلماء وقد ترتب علي هذا الاهتمام والتشجيع ظهور العديد من فقهاء المالكية في تلك البلاد . وقد أهتم هؤلاء الفقهاء بالعلم وحرصوا علي التعليم والتعلم . وكان الفقيه المعلم يعد أحد العناصر الأساسية للعملية التعليمية بفضل التكوين الثقافي لهؤلاء الفقهاء ذلك التكوين الذي مكنهم من القيام بدور تعليمي في مجتمعهم فقد ظهر منهم فقهاء ومحدثون ولغويون بارزون في مجال

التدريس والتأليف ساعد علي ذلك تعدد منابع التكوين العلمي والثقافي لفقهاء المالكية في السودان الغربي.

كما أكدت هذه الدراسة ما كان لفقهاء المالكية من أثر واضح في التعليم والتدريس ، فقد قاموا بتدريس عدد من العلوم المختلفة سواء كانت العلوم الشرعية أو علوم اللغة العربية ، والدارس للتاريخ الفكري للإسلام في السودان الغربي لا يمكنه تجاهل الدور المحوري للمؤلفات ذات الأصول المغربية والمشرقية في مناهج الدراسة في المساجد والكتاتيب. خاصة وأن مجتمع السودان الغربي أهتم بمختلف طبقاته باقتناء الكتب والمخطوطات ، والعمل على نسخها بدقة وبخاصة النادرة منها لدرجة أن أصبح للوراقين والنساخ مكانة مرموقة ومتميزة في وسط مجتمع السودان الغربي.

وأبرزت الدراسة مظاهر ازدهار الحياة الثقافية في بلاد السودان الغربي والذي تمثل في قيام الكثير من هؤلاء الفقهاء بإثراء الحياة الفكرية وذلك عن طريق مؤلفات وكتابات في شتى المجالات ومختلف المعارف سواء في الفقه أو اللغة أو التراجم أو التاريخ أو التصوف ، كما كان لهم بعض الرسائل والتعاليق التي أغنوا بها الحياة الفكرية في بلاد السودان الغربي وتمثلت في شروح وتعليقات أسهمت في دعم المذهب المالكي الذي كان سائداً في تلك البلاد.

كما أظهرت هذه الدراسة أهمية المكتبات الخاصة في مجتمع السودان الغربي والتي هي في الواقع مجرد نماذج لعشرات غيرها ، لأن محاولة حصرها ، يتطلب منا الوقوف على بيت كل عالم من أعلام السودان الغربي ، بل على كل مسجد من المساجد ، وكل مؤسسة من المؤسسات التعليمية المختلفة التي كانت تمتلئ بالكثير من الكتب والمخطوطات في السودان الغربي.

وأخيراً أبرزت الدراسة دور الصلات العلمية والثقافية بين فقهاء المالكية ببلاد السودان الغربي وفقهاء المالكية في كل من المغرب ومصر والحجاز حيث كانت صلات ضاربة الجذور، بحيث أثرت هذه الصلات تأثيراً مباشراً في بلاد السودان الغربي، وخاصة الصلات المغربية حتى وصفت الثقافة في السودان الغربي بأنها ثقافة مغربية علي أرض سودانية. كما كان للصلات المصرية والحجازية مع تلك البلاد أكبر الأثر في رفع شأن فقهاء السودان الغربي. وقد استمرت هذه الصلات بين السودان الغربي وبين كل من المغرب ومصر والحجاز من خلال رحلات الحج، والرحلات العلمية، وكذلك كتب الدراسة والإجازات العلمية والمراسلات. ويرجع ذلك إلى أن الأفكار والمفكرين والعلماء والعلوم في العالم الإسلامي كانت لا تعترف بالحدود.

وهكذا برزت الدراسة الدور الكبير الذي لعبه فقهاء المالكية في بلاد السودان الغربي في كافة مناحي الحياة خاصة الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية.

الملاحق

١_ الوثائق والمخطوطات.

٢_ الخرائط التوضيحية

٣_ الأشكال.

وثيقة رقم (١)

وثيقة أسكيا الحاج محمد لحماية أبناء العالم الصالح موري محمد هوكار عام (٩١٣هـ/١٥٠٧م)، ومنحهم امتيازات وإعفاءات من الضرائب^(١).

كان أسكيا الحاج محمد في احدي غزواته عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م، فتقدم له حفدة الشيخ الصالح موري هوكار وشكوا إليه سوء المعاملة التي يلقونها، وطلبوا منه أن يكتب لهم كتاباً بحمايتهم من أي اعتداء يقع عليهم أو ظلم يحيق بهم، وبالفعل كتب لهم هذا الكتاب الذي أملاه علي كاتبه علي بن عبد الله بن عبد الجبار اليميني.

(بعد البسملة.....)

" هذا كتاب أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ، السلطان العادل القائم بأمر الله ، أسكيا الحاج محمد بن أبي بكر أدام الله عزه ونصره ، وخلد البركة في عقبه ، ومن وقف عليه بأيدي جملة حفدة الفقيه الزاهد الصالح كوري محمد هوكار ، وهم مور الصادق حبيب وإسحاق وإنيازك ومحمد ورسماك وعلي بلقاسم ، بني الفقيه مور معمع بن مور معمك بن الفقيه مور هكار ، رحمه الله ونفعنا بعلمه ودينه ، أمين .

ومن وقف عليه ممن يؤمن بالله واليوم الآخر وبرسالة رسوله الصادق ، صلي الله عليه وسلم ، فليحترمهم ويوقرهم ويعرف مناقبهم وفضلهم وحرمة جدهم ، ويمسك كل جائر وفاجر ، جوره وفجوره من جندنا وأهل جيشنا وخدمنا الجائرين وعبيدنا ورسلنا ، فلا يقر بهم بضييم ولا بتحقيقير وتصغير ، ومن تعرض لهم بسوء وظلم ، يتقم الله منه علي كذا ، ونوصي كل من تنسل منا من أولادنا وحفائدا ، أن

(١) وثيقة أسكيا الحاج محمد الكبير لحماية أبناء العالم الصالح موري محمد هوكار عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م، ومنحهم امتيازات وإعفاءات من الضرائب ، محمود كعت: الفتاش ، ص ٧٢ ، ٧٥.

يبروا بهم ويحترمهم ويحسنوا إليهم، وقد أسقطنا لجميع وظائف السلطنة، وغرامته بحيث لا يطالبهم أحد بشي، حني الضيافة، وإن تعرض بينهم ظنه أو أدعي عليهم حقاً، فلا يحكم عليهم إلا أنا وحدي، أو من سيخلفني في هذا المقام من أولادي، ومن ظلمهم أو أخذ منهم أدني شئ ظلماً باطلاً من ذريتي، لأبارك الله له في ملكه وفسد عليه ملكه، وختم له بخاتمة السوء بحرمة الذي وقفت به علي قبر رسول الله صلي الله عليه وسلم، وقمت في داخل شبكة روضته صلي الله عليه وسلم، وكذلك أبحث لهم ولذريتهم، أن يزوجوا في مملكتي كلها من كانتا إلي شبردك، وهو الذي هو الحاجز بيننا وبين سلطان مل، من نساء أحبوها، ويكون ولدهم منها أحرراً، وأماهم تابعات لهم في الحرية..."

أمر أسكيا محمد باستدعاء من حضر من أبنائه، وقرئ عليهم الكتاب فقالوا كلهم "سمعنا وأطعنا" ثم أخذ أسكيا الكتاب بيده وطواه وجعله في يد كبيرهم وهو مور الصادق.

(٢) وثيقة رقم ٢.

مجهول : رسالة إلي نوح بن أبي بكر بن موسى تتحدث عن الأسكيا محمد الكبير
وصلاته بعلماء زمانه (١)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلي الله علي سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليماً
والله يدعو إلي دار السلام فسارعوا إلي مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات
والأرض يا إخوان الفقير نوح بن الطاهر بن أبي بكر بن موسى تلميذ سيدي المختار
بن أحمد الكتتي لعل الله يهديكم ويهدي بكم من دونكم من الأمم هذا تنبيه لكم
وإعلام تبصره وتذكرة ونصيحة لسلطان الغرب فاس ومراكش ومن معه من الرعية
من تنبكت وأروان وبوجبية وقودر وأهل سوس والاقصي وتوات وغدامس إلي
تونس والجزائر والبرابر إلي مصر وقبروان وتلمسان والأندلس ومن يليهم إلي منتهي
الإسلام بعد أتم السلام وأكملة وأعم الإكرام وأشمله أن الشيخ أمير المؤمنين أحمد
بن محمد بن أبي بكر الذي قام لإحياء دين الله والجهاد في سبيله في أرض ماسنا وما
والاها شرقاً وغرباً جنوباً وشمالاً هو الثاني عشر من الخلفاء المجددين لدين الله بعده
المهدي فإن قيل ابن المصداق قلت أنظر الفتاش في أخبار البلدان للشيخ الفقيه العالم
محمود كعت الكرمتي داراً التنبكتي مسكناً الوعكري أصلاً رحمة الله ونفعه ب
ويأ مثاله ويكل من له جاه عنده أمين وهو فلما كان ذكر قصص الأنبياء والسلطين
والملوك أكابر البلدان من عادة الحكماء والعلماء الأعيان اتخاذاً بسنة القرآن وتذكيراً
لما غير من الزمان ورداً للغبي عن الحيف والهوى وعونا للثقي علي مساعدة الإخوان
ومن الله علينا بأن أظهر لنا في زمننا هذا الخليفة العادل والسلطان الغالب والمنصور

(١) مجهول : رسالة إلي نوح بن الطاهر بن أبي بكر بن موسى تتحدث عن الاسكيا محمد الكبير وصلاته
مع علماء زمانه ، مخطوطة ، مكتبة ماحيدرة ، تنبكت (مالي) غير مصنفه .

القائم أسكيا الحاج محمد بن أبي بكر التورودي أصلاً الكوكوي داراً ومسكناً فأنار لنا المهدي بعد ظلم الدجى وأماط عنا الصدى بعد الجبن والردى فأنفسح له عهد الله البلدان شرقاً وغرباً وتداعت له الوفود فرداً وجمعاً.

فأذعنت له الملوك كرهاً وطوعاً فصرنا من بركاته بخير ونعمي بعد ما كنا في ضيق وبؤس فبدل الله تعالى ذلك بفضله كما قال لأكرم خلقه : (أن مع العسر يسراً) أو مع العسر يسراً أردت أن نجمع من أحواله الحلوان مع ذكر شي عال الملعون ما سهل علي اليد واللسان وإلي الله سبحانه التكوان وسميته (تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق انساب العبيد من الأحرار) اعلم رحمنا الله وإياكم أن الإمام العادل السلطان الفاضل أسكيا محمد لما تولي السلطنة أقام طريقة سنغي وجعل فيها قواعد السلطنة واستقامت المملكة خرج من ذلك كله وجعل يسأل العلماء العاملين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمشي علي أقوالهم رحمه الله حتى أتفق جميع علماء عصره علي أنه خليفة وممن صرح له بذلك الشيخ عبد الرحمن السيوطي والشيخ عبد الكريم المغيلي ، والشيخ شهورش الجنيني والشريف الحسن بن مولاي العباسي أمير مكة رحمه الله وأقام للمسلمين حقوقاً وحرمة علي نفسه وأمر لأهل موركير أن يتزوجوا ما يشاءون فيتبعهم أولادهم وهو موجود إلي الآن لم يتغير ببركته رحمه الله وأعطي الشريف أحمد الصقلي ابن أخي مولاي العباس أمير مكة بأنه الحادي عشر من الخلفاء الذين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل علي رأسه قلنسوة خضراء وعمامة بيضاء وأعطاه سيفاً وأشهد الحاضرين بأنه خليفة بلاد التكرور وأن كل من خالفه فيها فقد خالف الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فهيا للرجوع فلما وصل مصر وجد هناك الشيخ عبد الرحمن السيوطي فسأله عن الخلفاء الذين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم سيأتون من بعده فقال له الشيخ هم أثنا عشر خمسة منهم بالمدينة واثنان بمصر

وواحد بالشام واثنان بالعراق وقد مضى هؤلاء كلهم وبقي اثنان ببلاد التكرور أنت أحدهم ويأتي بعدك الثاني قبيلتك منسوبة بتورودو من أهل اليمن ومسكنك بكوكو أنت مؤيد منصور عادل كثير الفرح والعطاء والصدقة لا يعجزك موضع من مملكتك إلا موضع واحد يقال له برك بباء مضمومة مماله فرا ساكنة بعد كاف مضمومة مما له ثم يفتح الله ذلك الموضع بيد الخليفة الثاني بعدك يحبك تنام أول الليل ثم تصلي آخره ويصيبك عمي في آخر عمرك ويعزلك واحد من أبنائك ويرميك في بعض الجزر ثم يخرجك ابن آخر ومصدق جميع ما قلت علامة في فخذك اليسري كان من برص فأبره الله بغير علم أحد فقال أسكيا صدقت يا سيدي وقرة عيني وقال له الشيخ ولك أبناء كثيرة نحو مائة رجل كلهم يتبعون أمرك في دولتك ثم يعكسون الأمر بعدك والعياذ بالله حتى يصير الأمر ملكاً عضوضاً وحزن لذلك وسكت ملياً ثم تنفس الصعداء وزفر زفرة التكلاء ثم سأل الشيخ أيضاً هل يخرج من صلبه من يقيم الدين ويصلح أمره فقال له الشيخ ولكن يأتي رجل صالح عالم عامل تابع للسنة أسمه أحمد يظهر أمره في بعض جزائر سير ماسنة ولكن قبيلته وعلماء سنقره وهو يرثك في الخلافة والعدالة والصلاح والجود والتقوى والزهد والنصرة ويكون كثير التبسم والسنة دائم المرك في جلوسه وسبقك بكونه متبحراً في العلوم وأنت لا تعلم الأحكام والصلاة والزكاة والاستفسارات وهو آخر الخلفاء المذكرين ثم سأل الشيخ هل هذا الخليفة يجد الدين قائماً فيجده أو يجده خامداً فيوقده فقال له الشيخ بل يجد الدين خامداً فيكون كشرارة جمر وقعت في يابس الحشيش فينصره الله على جميع الكفار والمخالفين حتى تغمر بركته البلاد والأفاق والأقطار فمن رآه وتبعه كمن تبع النبي صلى الله عليه وسلم ومن خالفه فكأنما خالف النبي صلى الله عليه وسلم فتوسط الأولاد في زمنه لكنهم لا يزالون علي الجهاد وإلي فئاتهم قال الراوي عن شيخ القاضي حبيب فبسبب هذا الرجل المذكور والخليفة المنصور تغلط شي عال الملعون في قتل قبيلة سنقر فقتلهم حتى لم يبق منهم إلا طائفة قليلة. ثم سأل الشيخ أيضاً عن أمر أرض التكرور وما يؤول إليه آخره

فقال له الشيخ فهي أول أرض تخرب لأجل أيانهم الملوك وسأله عن أمر كاغ وما سبب خرابها فأخبره بما أخبر وسأله عن تنبكت وجني فأخبره عن أمرهما مما يسمح له إن شاء الله ثم سأله أيضاً عن أمر أربع وعشرين قبيلة الذين وجدهم بيد شي بار مملوكة له ورثهم عن آبائه فقال له الشيخ صفهم فوصفهم فقال له الشيخ أما نصفهم فملكه لك سائغ وأما النصف الآخر فتركهم أفضل لأن فيهم شبهة فقال للشيخ فما الذين ملكهم لي سائغ فقال له الشيخ الأولي جندكت قبيلة بجيم ودال مكسورتين بينهم نون ساكنة وكاف وتاء مفتوحتين والثانية قبيلة جم ول بجيم مفتوحة مماله وميم ساكنة فواو مفتوحة ولا م مماله مكسورة والثالثة جم تير والرابع كم والخامس سر مجني والسادس من كفار فمبر تنسب بحر كدبكر والسابع بتكرتب والثامنة تنسب بكمبر والتاسعة تنسب بمسميك والعاشرة تسمى بسرك والحادية عشرة تسمى بكر لكي والثانية تسمى بارب ثم قال للشيخ المذكور فما حال من أدعي من هذه القبائل أنه حر ابن حر وحره فقال الشيخ أما من ثبت أن أباه حر وأمه من هذه القبائل فملكه لك ساين وأما من ثبت أن أمه حرة وأباه من هذه القبائل فإن كان أقام في دار أبيه وعمل بعمله فلك أيضاً ملكه وإن كان خرج من دار الأب إلى دار إلام فليس لك ملكه لأن هذه القبائل لم يزل الملوك والولاة منذ زمن ملكي إلي شي بار يحذرون الناس عن مناكحتهم فوافق قول الشيخ أقوال العلماء الذين سألهم أسكيا قبل ذهابه إلى الحج رحم الله الجميع ثم بعد رجوع السلطان العادل أسكيا الحاج محمد رحمه الله حذر هو أيضاً علي تحذيره عن مناكحة هذه القبائل فكل من نكح فيهم امرأة ممن ليس من أهل موركير فولده ملك فكل امرأة نكحها رجل منهم فإن أحببت لولدها الحرية فلتخرجه من دار زوجها إلى دار أبيها وإلا فإن أقام الولد بدار الزوج وعمل بعمل الزوج فهو ابن المولد ملك وهذه بعد ما سأل الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي عن أمر هؤلاء القبائل فأخبره كما أخبره الشيخ عبد الرحمن السيوطي واتفق أقوالهما كما يقع الحافر علي الحافر ثم أمر الشيخ محمد بن عبد الكريم أسكيا الحاج محمد أن يكتب براءة إلى الخليفة الذي يجيء بعده ويطلب منه الدعاء

وقال له أسكيا الحاج محمد وهل تبلغ تلك البراءة فقال له الشيخ أرجو أن تبلغ إن شاء الله فأمر الكاتب علي بن عبد الله أن يكتب براءة ونصها : هذا كتاب أمير المؤمنين وقامع الفجار والكافرين أسكيا الحاج محمد بن أبي بكر إلي وراثته المسدد والقائم بأمره المويد أمير المؤمنين أحمد بن محمد المنصور فالسلام أشهي من كل مشهي وإكرام أنوار من الدر وأبهى ينخصك ويعم علي كافة من منك وإليك بروح وريحان فموجه إليك أيها الأخ البر الصالح أعلامك وتبشير بأنك آخر الخلفاء وقاهر الأعداء وهادي السعداء باتفاق العلماء ونحن نطلب منك الدعاء وأن أكون يوم القيامة في كريم زمرك كما نسأل الله تعالى العصمة من فتن الزمان ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياك في زمرة خير الوري آمين فدعا له الشيخ أن يبلغ الله هذه البراءة قايماً وجهه فأمن الحاضرون علي دعائه فقال الفقيه محمود وبعض قول الإمام ويرافقه ما روي عن الشيخ عبد الرحمن الثعالبي من أنه سيكون آخر الزمان في أرض التكرور خليفتان أحدهما يظهر في آخر القرن التاسعة والأخير يظهر في أول القرن الثالثة عشرة ينكرهما أهل أشد التكبير وينسبون أفعالهما إلي الظلم والباطيل فيقمع الله لهما كل جاهل جحود وكل عالم حسود ويستويان في جميع الأوصاف الحميدة إلا في العلم يفيض الله في يديهما الأموال العريضة المخزونة يصرفانها فيما يرضي الله قال الشيخ محمود كعت وليعلم كل من وقف علي هذه القصة التي ذكرناها التي لم نقصد بذكرها مباهاة ولا افتخار بل لما رأيناه من وشاهدناه من منكرة أهل الزمان أحوال السلطان مع اتفاق العلماء الأعيان علي انه من الخلفاء النبلاء والعلماء النجباء فلم يضره ذلك في دينه ولا في دنياه بحمد الله تعالى وكما لم يضره ولا يضير من يأتي بعده إن شاء الله أقوال الحساد وإيابة الجهال وسعاية الغدار الفساق انتهى محل الحاجة منه وأؤكد وأشدد نوح بن طاهر علي بلغه مكترين أن يأخذ منه نسخة ويرسها إلي من يظن عدم وصول ما فيه إليه نصيحة لله ولرسوله القائلين وهم أصدق القائلين إنها المؤمنين أخوة إنها الدين النصيحة وأؤكد وأشدد أيضاً علي حامله أن يجمع أهل كل بلدة أو قرية أو حلة من أهل الإسلام يمر

عليهم ويظن عدم سماعهم ويقرأه عليهم أو يخبرهم بما فيه علي حسب الإمكان والسلام والقادر علي إيصال مكتوب أسكيا محمد أمير المؤمنين أحمد بن محمد بن أبي بكر قادر علي إيصال مكتوبة إلي من كتب إليه ببركة الشيخ. أنتهي بحمد الله وحسن عونه علي يد كاتبه وصلي الله علي سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليماً .

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله
 اني ارجو انك تفضل بالقبول او تزيه او تعلقه من اهل الاسلاف
 او من اهل البيت او من اهل البيت او من اهل البيت او من اهل البيت
 او من اهل البيت او من اهل البيت او من اهل البيت او من اهل البيت
 والقادر على ايجال مكتوب باسكيا الى امير المؤمنين
 اهل بن محمد بن بكركا ر علي ايجال مكتوب الى
 كتبنا اليه بركة الشيخ اشمع محمد الله
 وحسن عونه علي يد كاتبه وصلى الله عليه
 سيدنا محمد بنين واهله وعقبه
 وسلم قلوبنا

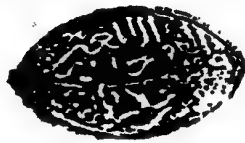
وثيقة رقم ٣

الصفحة الأخيرة من إجازة الإمام محمد قطب الدين أحمد النهر والي - مفتي مكة المكرمة - في أسانيد أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم للحاج إبراهيم بن عبد الرحمن التكروري الجنوي^(١)

" الحمد لله أجزت لصاحب هذه الاستجازة الفقيه الفاضل الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن التكروري الجنوي تقبل الله تعالى منه حجه وزيارته وغيادته أن يروي عنى هذه الأحاديث وهذه الكتب بأسانيدھا المذكورة وجميع ما يجوز لي روايته بشرط وأوصيه بتقوى الله تعالى وطاعته وعبادته وبأن يشركني في دعاءه الصالح لنفسه بأن يختتم الله بالخير في عافيه بلا وأن يجعل كلامنا آخر كلامنا لا اله إلا الله محمد رسول الله قال ذلك أفقر عباد الله تعالى قطب الدين بن علاء الدين الملّكي الحنفي القادري الحزقاني مفتي مكة المشرفة غفر الله له ولأسلافه ومشايخه وكافة المسلمين أمين " .

(١) النهر والي (محمد قطب الدين بن محمد المتوفي عام ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م) : إجازة سادرة منه أسانيد أحاديث الرسول ﷺ ، إلى الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن الجنوي التكروري ، وثيقة مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ، رقم ٢٠٦٥ ، ورقة ١٣ . ب .

الحمد لله الذي جعل لنا هذا الكتاب لا يتجمل به الحقيقة
 انما ضل الكاظم ابراهيم بن عبد الرحمن التكروري
 ركني تقبل الله تعالى منه حجه وزيارته وعبادته
 ان يروى عن هذه الاهاديث وهذه الكتب
 باسنادها المذكور وجميع ما يجوز في روايته
 بشرطه وادعيه بتقوى الله تعالى وطاعته وعبادته
 وبان لا يشركني في دعائه الصالح لنفسه بان يحتم الله
 بالخير فرعا فيه بلا بلا وان يجعل اخر كلامنا لا اله الا الله
 محمد رسول الله طاب ثابته وخ اخر عباد الله تعالى
 قطب الدرر عبد الله المكنى القادري الخزاعي
 مفتي كم المستدق محمد بن عبد الله ولا سلامه
 دكاخ الميراجير



ملحق رقم ٤

فترات حكم سلاطين دولة مالي (١):

- ١_ سندياتا أو ماري جاطة (٦٢٨-٦٥٣ هـ / ١٢٣٠-١٢٥٥ م)
- (يبدأ عصر دولة مالي من عام ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م أي بعد ثمانية أعوام من حكم سندياتا أو ماري جاطة).
- ٢_ منسا ولي (علي بن ماري جاطة) (٦٥٣-٦٦٩ هـ / ١٢٥٥-١٢٧٠ م)
- ٣_ منسا علي بن ماري جاطة (٦٦٩-٦٧٣ هـ / ١٢٧٠-١٢٧٤ م)
- ٤_ خليفة بن ماري جاطة (٦٧٣-٦٧٤ هـ / ١٢٧٤-١٢٧٥ م)
- ٥_ أبو بكر بن بنت ماري جاطة (٦٧٤-٦٨٤ هـ / ١٢٧٥-١٢٨٥ م)
- ٦_ ساكوره (مغتصب العرش) (٦٨٤-٧٠٠ هـ / ١٢٨٥-١٣٠٠ م)
- ٧_ قو بن ماري جاطة (٧٠٠-٧٠٥ هـ / ١٣٠٠-١٣٠٥ م)
- ٨_ محمد بن ماري جاطة (٧٠٥-٧١٠ هـ / ١٣٠٥-١٣١٠ م)
- ٩_ أبو بكر بن أخت ماري جاطة (٧١٠-٧١٢ هـ / ١٣١٠-١٣١٢ م)
- ١٠_ منسا موسي بن أبي بكر (٧١٢-٧٣٨ هـ / ١٣١٢-١٣٣٧ م)
- ١١_ مغان الاول بن موسي (٧٣٨-٧٤١ هـ / ١٢٣٧-١٣٤٠ م)

(١) إبراهيم طرخان : دولة مالي الإسلامية ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

- ١٢_ منسا سليمان أخو موسى (٧٤١-٧٦٢هـ / ١٣٤١-١٣٦٠م)
 - ١٣_ قنبتا بن سليمان (٦٦٣هـ / ١٣٦٠م)
 - ١٤_ ماري جاطة الثاني حفيد منسا موسى (٧٦٢-٧٧٦هـ / ١٣٦٠-١٣٧٤م)
 - ١٥_ موسى الثاني بن ماري جاطة الثاني (٧٦٢-٧٧٦هـ / ١٣٦٠-١٣٧٤م)
 - ١٦_ مغان الثاني أخو موسى الثاني (٧٨٩-٧٩١هـ / ١٣٨٧-١٣٨٨م)
 - ١٧_ صندكي (مغتصب العرش) (٧٩٠-٧٩٣هـ / ١٣٨٨-١٣٩٠م)
 - ١٨_ مغان الثالث (من أسرة كيتا) (٧٩٣هـ / ١٣٩٠م)
- (٣) ملحق رقم ٥ :
- فترات حكم سلاطين دولة صُنغي :
- ١_ سني علي (٨٦٩-٨٩٩هـ / ١٤٦٤-١٤٩٣م)
 - ٢_ أسكيا الحاج محمد الأول (٨٩٩-٩٣٤هـ / ١٤٩٣-١٥٢٨م)
 - ٣_ أسكيا موسى بن أسكيا محمد (٩٣٤-٩٣٧هـ / ١٥٢٨-١٥٣١م)
 - ٤_ أسكيا محمد الثاني (محمد بنكن) (٩٣٧-٩٤٣هـ / ١٥٣١-١٥٣٧م)
 - ٥_ أسكيا إسماعيل بن أسكيا محمد الأول (٩٤٣-٩٤٦هـ / ١٥٣٧-١٥٣٩م)
 - ٦_ أسكيا إسحاق الأول (٩٤٦-٩٥٦هـ / ١٥٣٩-١٥٤٩م)
 - ٧_ أسكيا داوود بن أسكيا محمد الأول (٩٥٦-٩٩١هـ / ١٥٤٩-١٥٨٢م)

- ٨_ أسكيا محمد الثالث بن أسكيا داوود (٩٩٥-٩٩٠هـ / ١٥٨٢-١٥٨٥م)
- ٩_ أسكيا محمد الرابع بن داوود (٩٩٥-٩٩٦هـ / ١٥٨٦-١٥٨٨م)
- ١٠_ أسكيا إسحاق الثاني بن داوود (٩٩٦-١٠٠٠هـ / ١٥٨٨-١٥٩١م)

٢- الخرائط التوضيحية :

١- طريق القوافل الرئيسية بين السودان الغربي وبلاد المغرب .المصدر: مهدي رزق الله ، حركة التجارة والإسلام، ص٨٠٧.

٢- السودان الغربي وتوزيع أنهاره ومدنه في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي. المصدر:

Fage, J.D., An Introduction to west African History, London ١٩٦٩, p٢١.

٣- أهم المراكز الحضرية في بلاد السودان الغربي. المصدر: أمطير غيث، مرجع سابق، ص٤١٣.

٤- إمبراطورية غانة المصدر: عبد الله عبد الرازق إبراهيم، الصوفية والمجتمع في غرب أفريقيا، ص٢٩٠.

٥- أهم دول السودان الغربي في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي.

المصدر: مهدي رزق الله ، حركة التجارة والإسلام، ص٨٠٨.

٦- مالي وأهم مدن السودان الغربي عام ٧٥١هـ / ١٣٥٠م المصدر: الشبكة العالمية للانترنت.

٧- مالي في عهد منسا موسى .المصدر: عبد الله عبد الرازق إبراهيم، الصوفية والمجتمع في غرب أفريقيا، ص٢٩٤.

٨. طريق حج السلطان منسا موسى إلى مكة في ذهابه وإيابه عامي

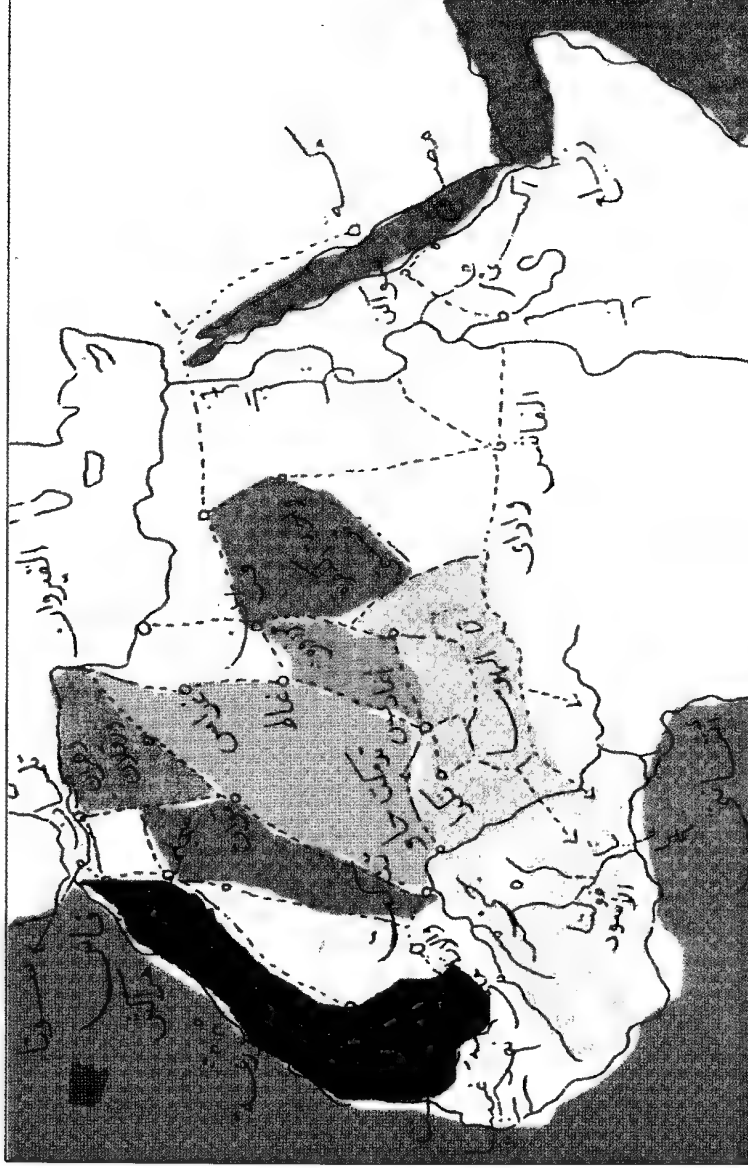
٧٢٤-٧٢٥هـ / ١٣٢٤-١٣٢٥ م. المصدر: إبراهيم الشامي الحج وأثره في دولتي مالي وصنغي، ص ٢٨٤.

٩.. إمبراطورية صنغي. المصدر: عبد الله عبد الرازق إبراهيم، الصوفية والمجتمع في غرب أفريقيا، ص ٢٩٦.

١٠- طريق مقترح لطريق الحج الذي اتخذته أسكيا الحاج محمد عام (٩٠٣هـ / ١٤٩٦ م) إلى الحج. المصدر: إبراهيم الشامي الحج وأثره في دولتي مالي وصنغي، ص ٢٨٥.

خريطة رقم (1)

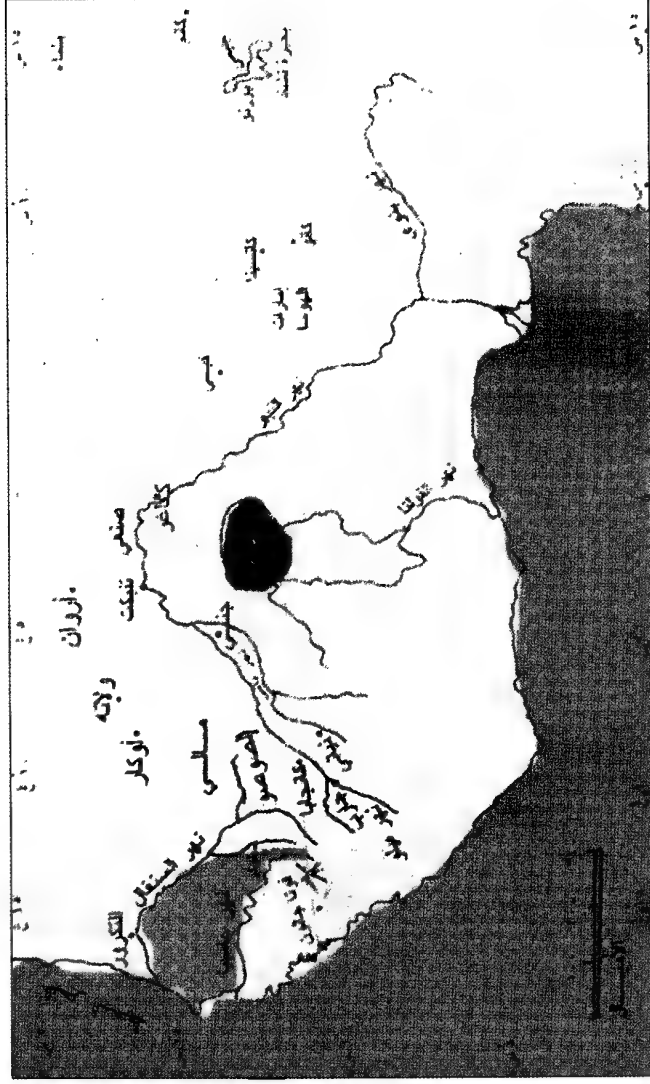
طريق القوافل الرئيسية بين السودان الغربي وبلاد المغرب



المصدر: مهدي رزق الله ، حركة التجارة والإسلام، ص ٨٠٧.

خريطة رقم (2)

السودان الغربي وتوزيع أنهاره ومدنه في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي



المصدر:

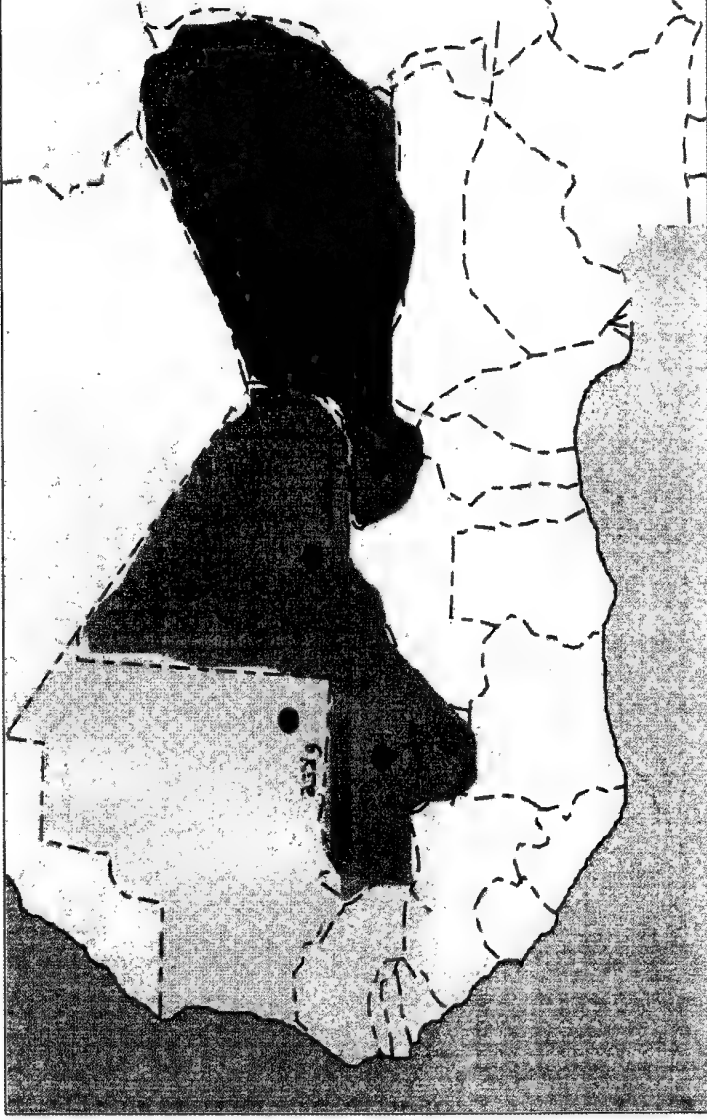
Fage, J.D., An Introduction to west African History, London 1969, p21.

خريطة رقم (3) مالي في عهد منسا موسى



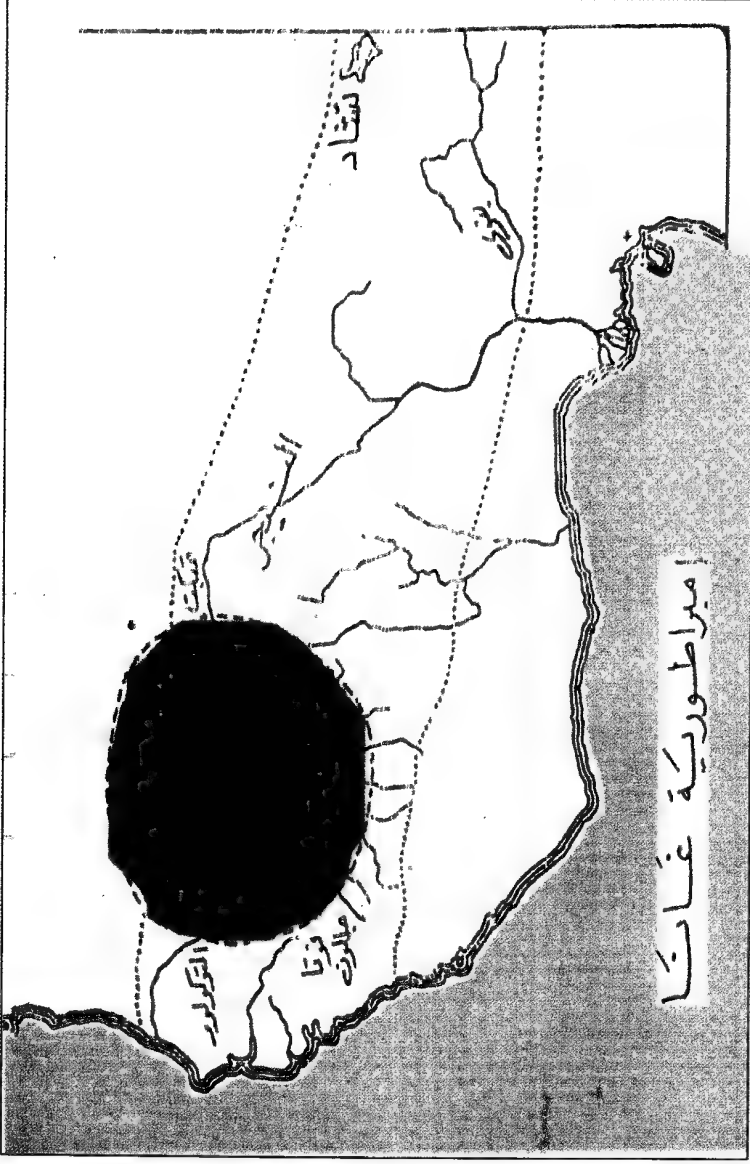
المصدر: عبد الله عبد الرازق إبراهيم، الصوفية والمجتمع في غرب أفريقيا، ص ٢٩٤.

خريطة رقم (4)
أهم المراكز الحضرية في بلاد السودان الغربي



المصدر: أمطير غيث، مرجع سابق، ص ٤١٣.

خريطة رقم (5)
إمبراطورية غانة



المصدر: عبد الله عبد الرازق إبراهيم، الصوفية والمجتمع في غرب أفريقيا، ص ٢٩٠.

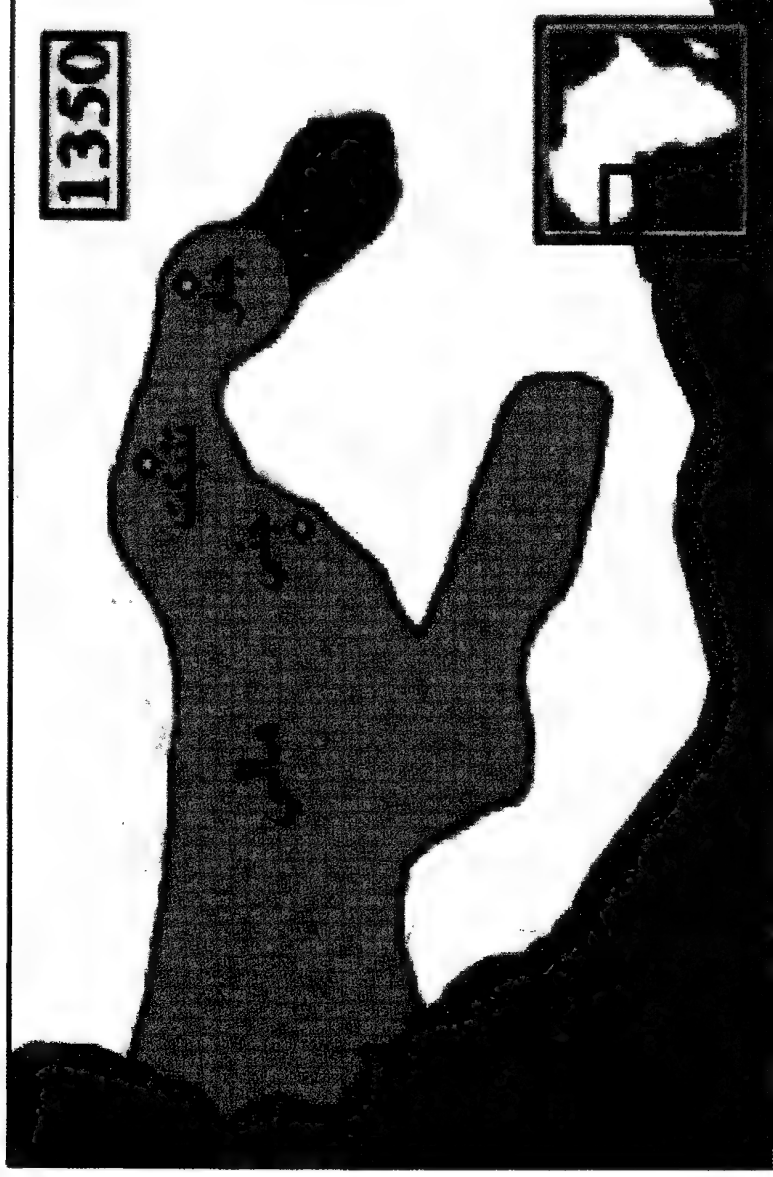
خريطة رقم (6)
أهم دول السودان الغربي في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي



المصدر: مهدي رزق الله ، حركة التجارة والإسلام، ص 808.

خريطة رقم (7)

مالي وأهم مدن السودان الغربي عام ١٣٥٠م

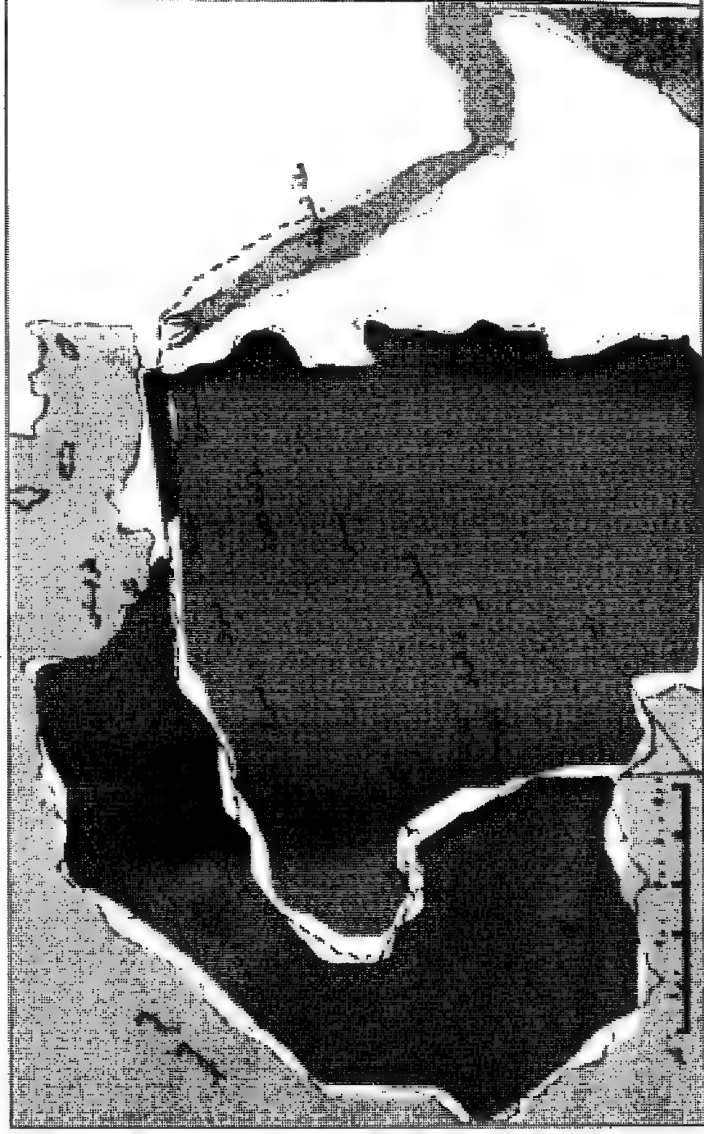


المصدر: الشبكة العالمية للإنترنت.

خريطة رقم (8)

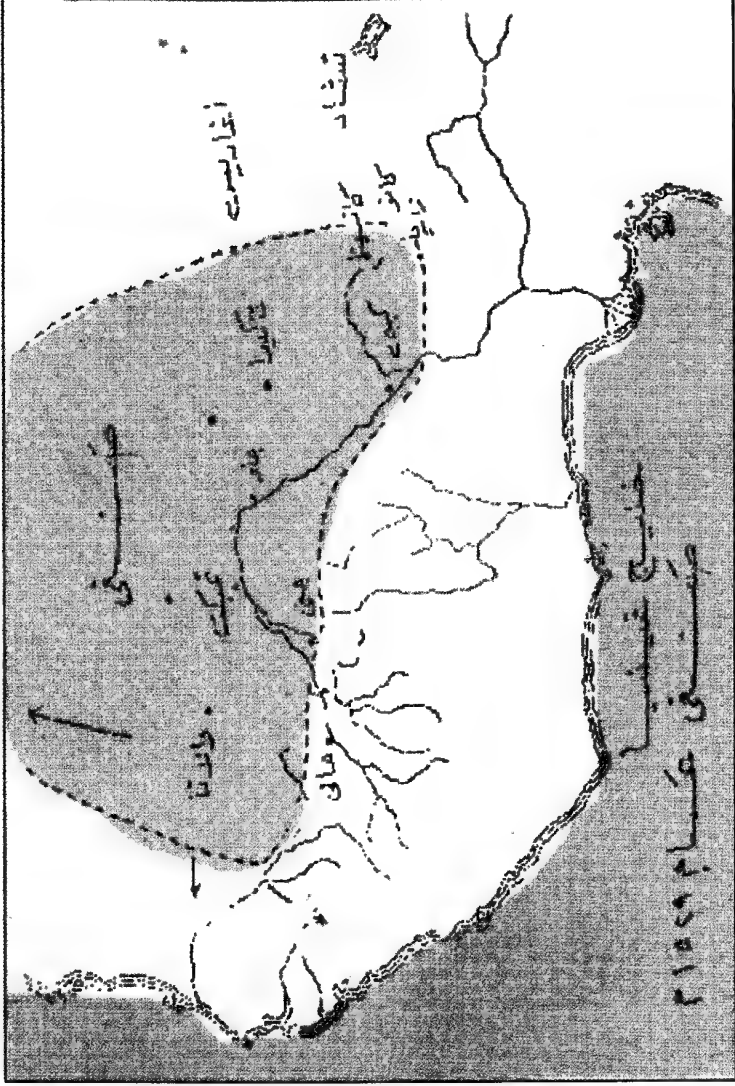
طريق حج السلطان منسا موسى الى مكة في ذهبيه وإيليه عالمي

٧٢٤ - ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ - ١٣٢٥ م



المصدر: إبراهيم الشامي الحج وأثره في دولتي مالي وصنفي، ص ٢٨٤.

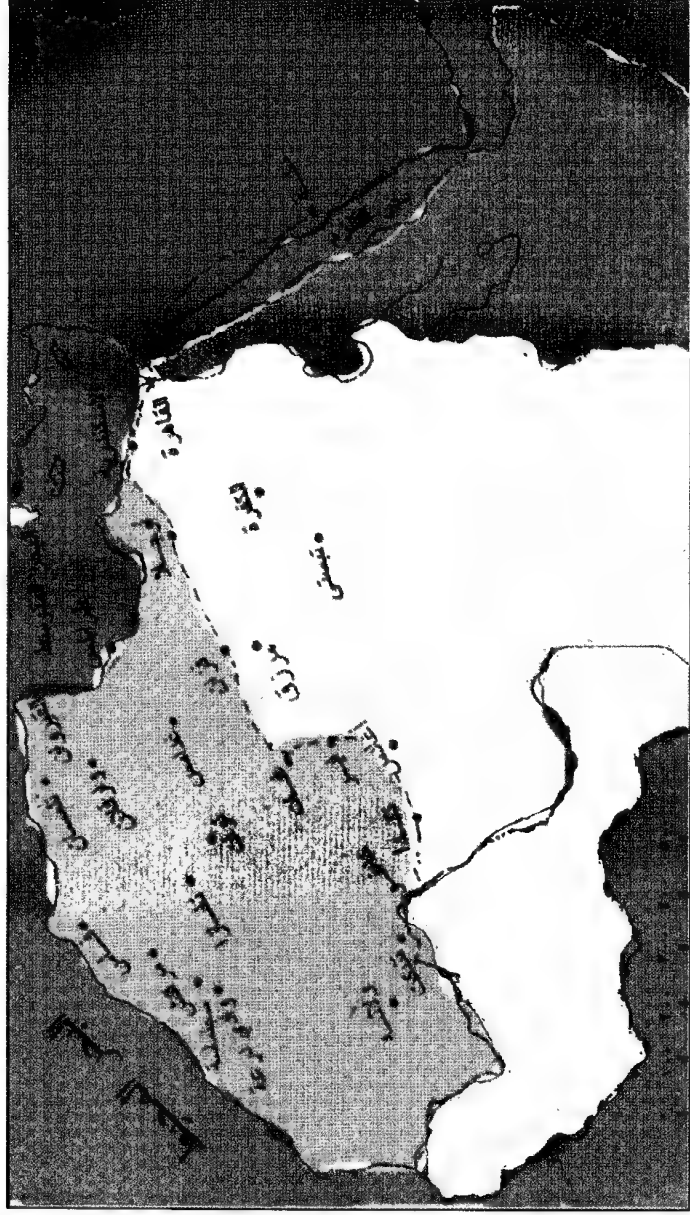
خريطة رقم (9)
إمبراطورية صنفى



المصدر : عبد الله عبد الرازق إبراهيم، الصوفية والمجتمع فى غرب أفريقيا، ص ٢٩٦ .

خريطة رقم (10)

طريق مقترح لطريق الحج الذي اتخذهُ أسكيا الحاج محمد عام (١٤٩٦هـ/١٩٠٣م) إلى الحج



المصدر: إبراهيم الشامي، الحج وأثره في دولتي ملتي وصنفي، ص ٢٨٥.

الاشكال

لوحة رقم (1)



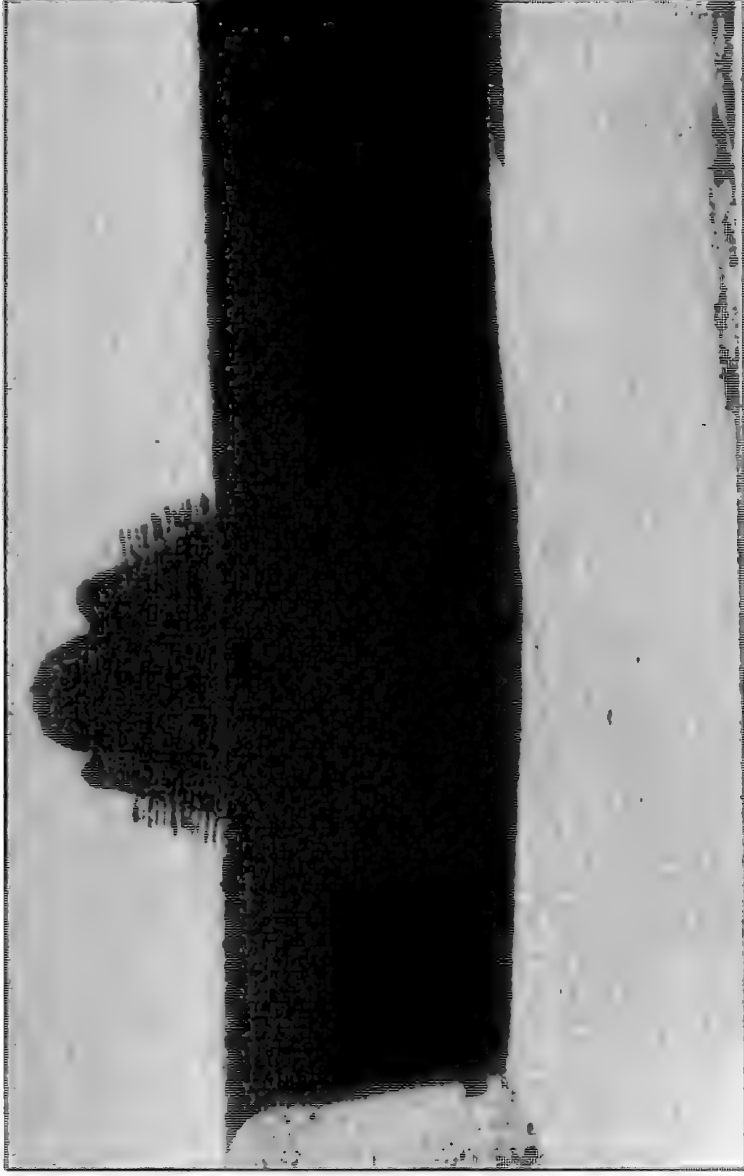
مسجد جنكري بير
المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

لوحة رقم (2)



منارة مسجد جنكري بير - تديكت
المصدر: أ.د. / حسين مراد - رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة

لوحة رقم (3)



منارة مسجد جنكري بير
المصدر: أ.د. حسين مراد - رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة

لوحة رقم (6)



سقف مسجد جنكري بير - تنبكت
المصدر: أ.د./ حسين مراد - رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة



منارة مسجد سنكري - تنبكت
المصدر: أ.د. / حسين مراد - رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة



منارة مسجد سنكري بير تبككت

المصدر: أ.د/ حسين مراد — رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة



منارة مسجد جامع تنبكت
المصدر: أ.د. حسين مراد - رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة



جامع سنكري - تنبكت

المصدر: أ.د. / حسين مراد - رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة

لوحة رقم (11)



مسجد سنكري
المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

لوحة رقم (12)



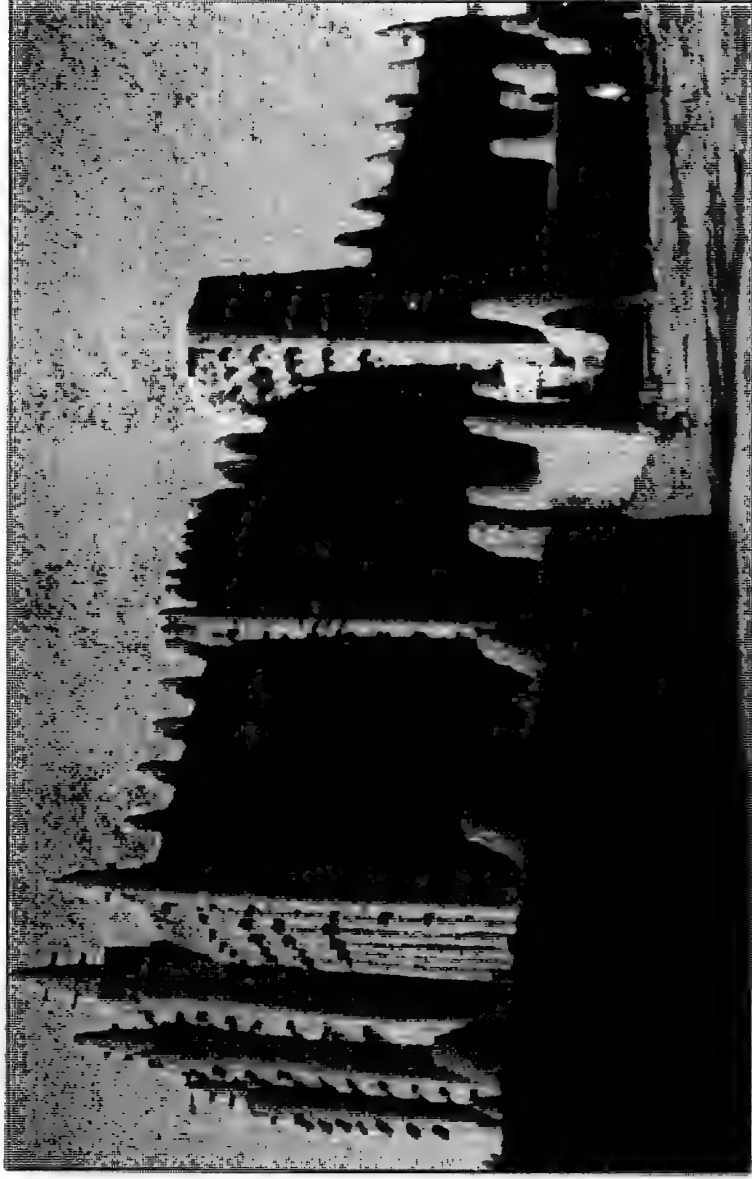
مدرسة بجواز مسجد سيدي يحيى - تبتكت
المصدر: أ.د. / حسين مراد - رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة



سور مسجد سيدي يحيى

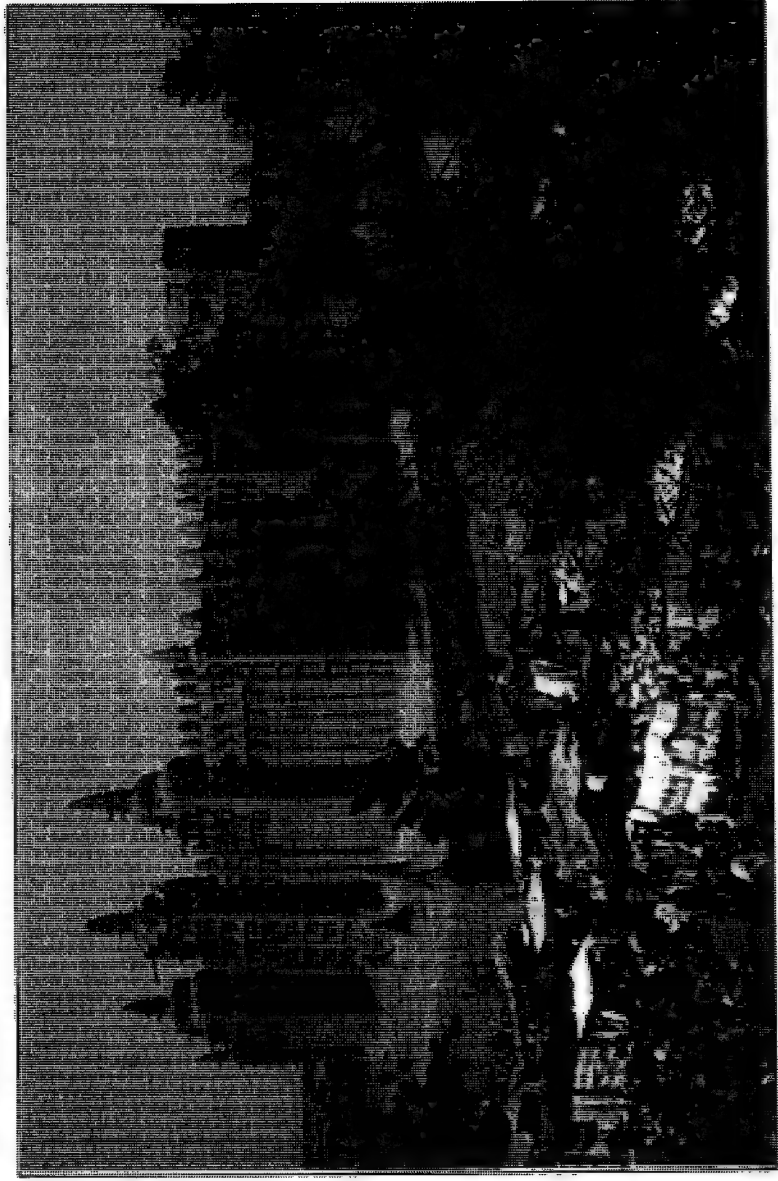
المصدر: أ.د. / حسين مراد - رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة

لوحة رقم (14)



مسجد جنى
المصدر : الشبكة العالمية "الإنترنت"

لوحة رقم (15)



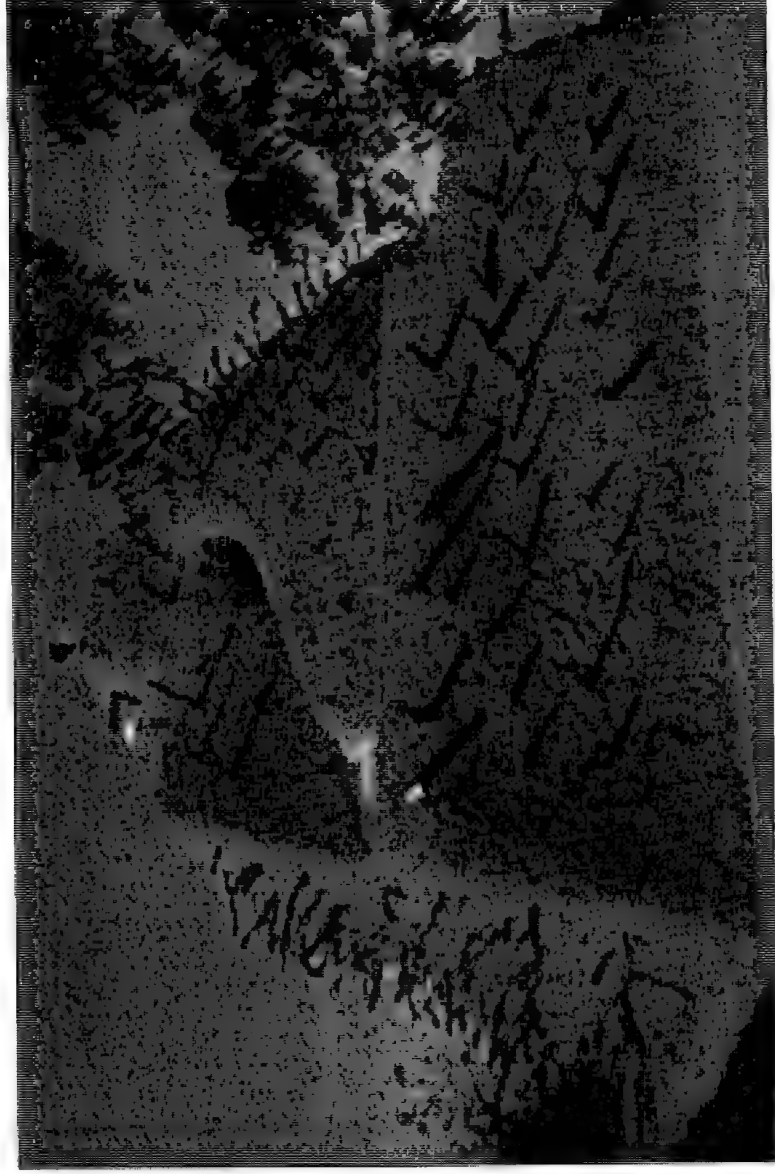
أسواق مدينة جنى
المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

لوحة رقم (16)



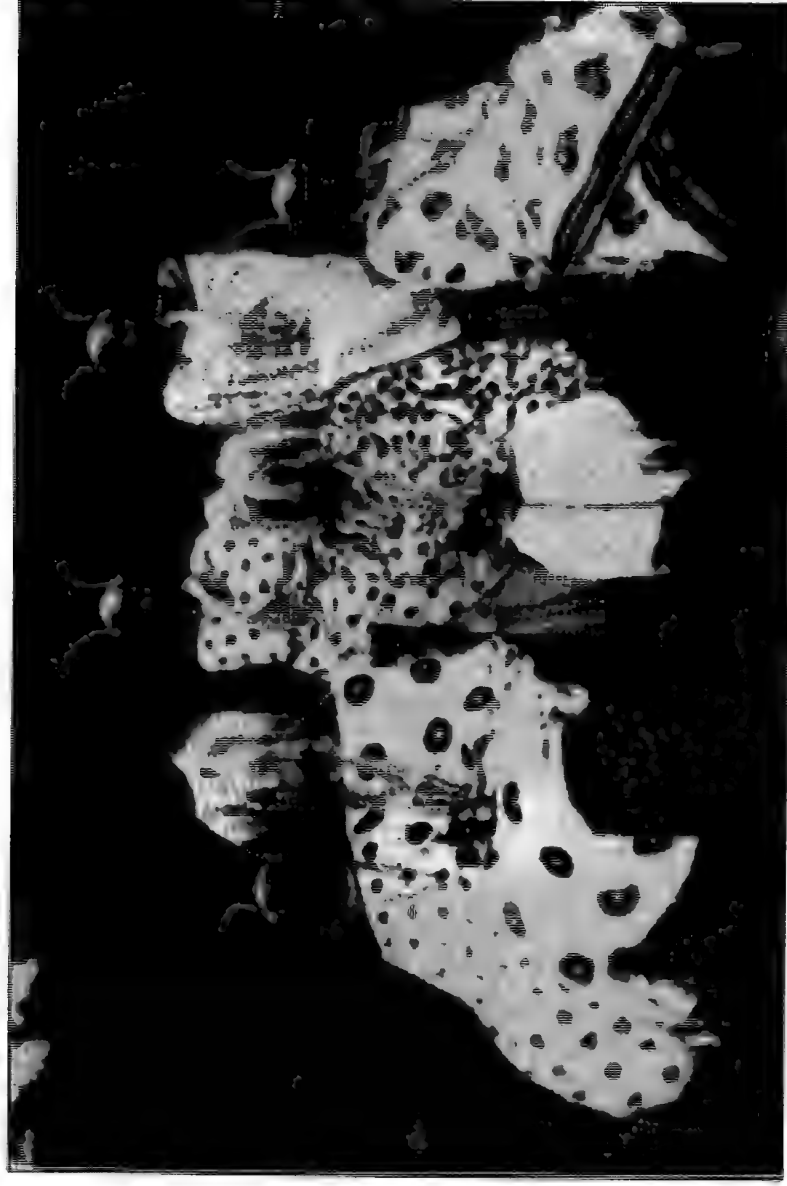
منسا موسى يبدو ممسكاً بسبيكة ذهب (من خريطة أفريقيا وأوروبا) في عام (1395م)
المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

لوحة رقم (17)



ضريح الأسكيا محمد في جاو
المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

لوحة رقم (18)



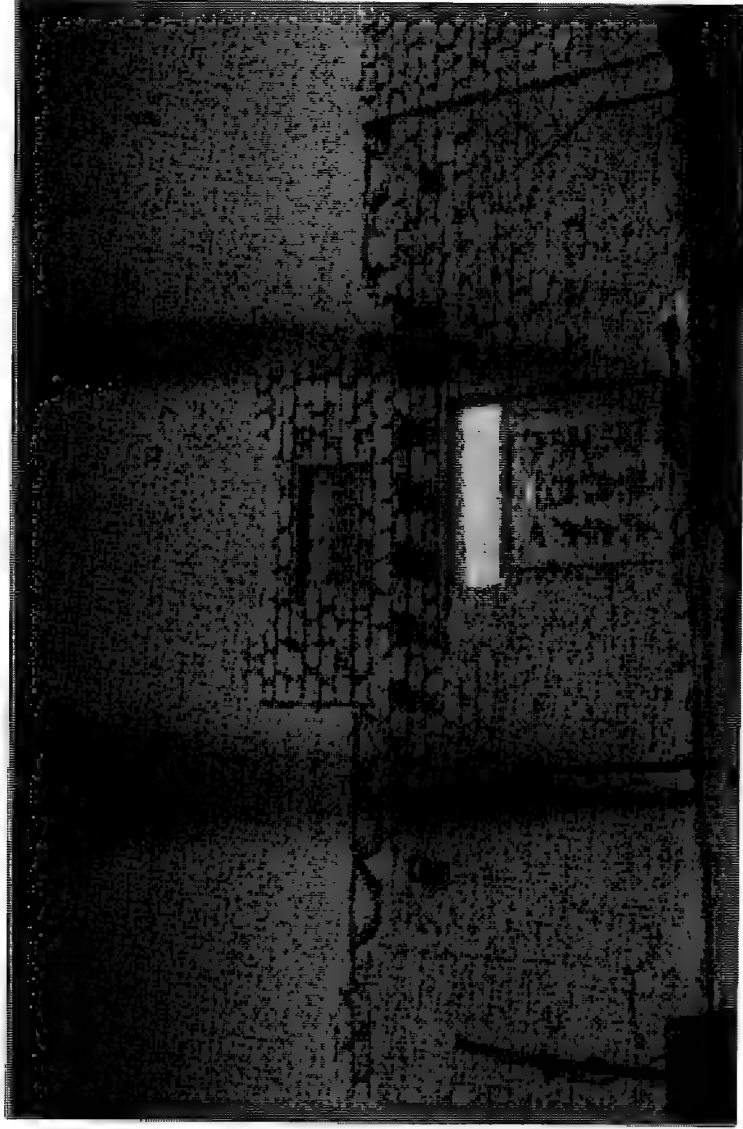
ملوك دولة الموشي الذين حاربهم أسكيا محمد بعد عودته من رحلة حجه
المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

لوحة رقم (19)



أحد الصبية يتعلم القرآن في إحدى الكتاتيب
المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

لوحة رقم (20)



منزل أحمد بابا التبيكتي
المصدر: أ.د. / حسين مراد - رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة

٣- الأشكال :

- ١- مسجد جنكري بير، المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت".
- ٢- منارة مسجد جنكري بير، المصدر: أ.د/ حسين مراد: رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة.
- ٣- منارة مسجد جنكري بير- تنبكت، المصدر: أ.د/ حسين مراد
- ٤- منبر مسجد جنكري بير، المصدر: أ.د/ حسين مراد
- ٥- محراب مسجد جنكري بير- تنبكت، المصدر: أ.د/ حسين مراد
- ٦- سقف مسجد جنكري بير- تنبكت، المصدر: أ.د/ حسين مراد
- ٧- منارة مسجد جامع تنبكت، المصدر: أ.د/ حسين مراد
- ٨- منارة مسجد سنكري- تنبكت، المصدر: أ.د/ حسين مراد
- ٩- منارة مسجد سنكري، المصدر: أ.د/ حسين مراد
- ١٠- جامع سنكري- تنبكت، المصدر: أ.د/ حسين مراد
- ١١- مسجد سنكري، المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"
- ١٢- مدرسة بجواز مسجد سيدي يحيى- تنبكت، المصدر: أ.د/ حسين مراد
- ١٣- سور مسجد سيدي يحيى، المصدر: أ.د/ حسين مراد
- ١٤- مسجد جني، المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"
- ١٥- أسواق مدينة جني، المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"
- ١٦- منسا موسى يبدو ممسكاً بسيكة ذهب (من خريطة إفريقيا وأوروبا) في عام (١٣٩٥م)
- المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"
- ١٧- ضريح الأسكيا محمد في جاو، المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"
- ١٨- ملوك دولة الموشي الذين حاربهم أسكيا محمد بمد هودته من رحلة حججه، المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"
- ١٩- أحد الصية يتعلم القرآن في إحدى الكتاتيب، المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"
- ٢٠- منزل أحد بابا التنبكتي، المصدر: أ.د/ حسين مراد

مكتبة البحث (قائمة المصادر والمراجع)

أولاً الوثائق والمخطوطات:

أحمد بن أحمد بن عمر أقيت المتوفي عام ٩٩١هـ / ١٥٨٤م:

١_ مناخ الأحباب من منح الوهاب ضمن مجموعة بالخزانة العامة بالرباط ، رقم ١٨٩٠ / ٥ .

أحمد بابا التنبكتي: (أحمد بن أحمد بن عمر أقيت) المتوفي عام (١٠٣٦هـ / ١٦٢٧م): أحمد بابا التنبكتي: (أحمد بن أحمد بن عمر أقيت التنبكتي المتوفي عام ١٠٣٦هـ / ١٦٢٧م):

٢_ إجازة منه للإمام أبي الفضل بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي ، وثيقة بالخزانة العامة ، الرباط ، مجموع رقم ٣٦٩٣

٣_ إجازة للخطيب أبي زيد الوقاد التلمساني ، وثيقة بالخزانة العامة ، الرباط ، مجموع ٣٦٩٣ .

٤_ أسئلة إلى علماء مصر ، مخطوط ، المكتبة الوطنية ، باريس ، مع مجموعة رقم . ٥٣٨٢ ARABe

٥_ أسئلة في المشكلات ، مخطوطة الخزانة العامة الرباط مع مجموعة رقم ٤٧٠ من الورقة ١١٨ ط إلى الورقة رقم ١٤٠ و .

أحمد بابير الارواني :

٦_ جواهر الحسان في أخبار ملوك السودان ، مخطوطة معهد البحوث والعلوم الإنسانية نيامي النيجر ، رقم ١٠٦ ، ص ١٣ ب .

محمد محمد المفتي (مرحبا):

٧_ فتح الحنان المنان بأخبار السودان ، معهد البحوث والعلوم الإنسانية ، نيامي (النيجر) ، رقم ١٠٨ .

النهر والي : (محمد قطب الدين بن محمد)

٨_ إجازة صادرة منه أسانيد أحاديث الرسول ﷺ ، إلى الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن الجنوي التكروري ، وثيقة مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، رقم ٢٠٦٥ ، ورقة ١٣ - ب .

الوسيانى : (أبو الربيع سليمان بن عبد السلام المتوفي عام ٤٧١هـ / ١٠٧٨م)

٩_ سير أبي الربيع الوسيانى ، مخطوطة بالهيئة المصرية العامة دار الكتب المصرية رقم ٩١١٣ ح ميكرو فيلم رقم ٨٤٥٢ .

ثانياً المصادر العربية المطبوعة :

ابن ابي زرع (ابو الحسن علي بن عبد الله المتوفى عام ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م):

١- الانيس المطرب: روض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، اويسالة، ١٨٤٣م.

ابن الأثير (علي بن محمد المتوفى عام ٦٣٠هـ / ١٦٣٣م):

٢- اللباب في تهذيب الأنساب، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الجزء الأول، ٢٠٠٠م.

أحمد بابا: (أحمد بن أحمد بن عمر أقيت التنبكي المتوفى عام ١٠٣٦هـ / ١٦٢٧م)

٣- تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء ، تحقيق سعيد سامي ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط ، جامعة محمد الخامس ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

٤- نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامه ، مكتبة الدعوة الإسلامية ، طرابلس ليبيا ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م

٥- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، تحقيق علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

الادريسي (محمد بن محمد بن عبد الله إدريس المتوفى عام ٥٦٠هـ / ١١٦٤م):

٦- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، طبع مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل ، ١٨٦٣م .
الاروانى (أحمد بيير):

٧- السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية ، دراسة وتحقيق الهادي مبروك الدالي ، جمعية الدعوة الإسلامية ، العالمية ، ليبيا ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠١م
الاصبهانى (أبو نعيم أحمد بن عبد الله):

٨- حليه الأولياء ، طبقات الأصفياء ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، الجزء السادس ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

الافرانى (أبو عبد الله محمد الصغير اليفرنى المراكشي):

٩- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي عشر ، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

الأنصاري أبي عبد الله محمد الرصاع المتوفى عام ٨٩٤هـ / ١٤٨٩م):

١٠_ شرح حدود ابن عرفة المرسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية ، تحقيق محمد أبو الاجفان ، الطاهر المعموري ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ م.

الانصارى أحمد النائب :

١١_ (النهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، منشورات مكتبة الفرجاني ، طرابلس ، ليبيا ، الجزء الأول ، بدون تاريخ

ابن بطوطة (هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي " المتوفى عام ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) :

١٢_ تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار التراث ، بيروت ، بدون تاريخ .

البكري (أبي عبيد عبد الله بن محمد البكري المتوفى عام ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) :

١٣_ المسالك والممالك ، حققه جمال طلبه ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٢ م.

البرتلي (أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق المتوفى ١٢١٩ هـ / ١٢١٩ م) :

١٤_ فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ، محمد حجي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج الجوزي المتوفى عام ٥٩٧ هـ) :

١٥_ صفوة الصفوة ، تحقيق محمود فخوري ، محمد رواسي ، دار المعرفة ، بيروت الطبعة الرابعة ، بدون تاريخ .

الجزيري (عبد القادر بن محمد ، أنهى من تأليفه عام ٩٧٦ هـ / ١٥٦٨ م) :

١٦_ درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطرق مكة المعظمة ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ .

ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني المتوفى عام ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) :

١٧_ تهذيب التهذيب ، حيدر آباد ، الدكن الجزء السابع ، ١٦٢٥ هـ .

١٨_ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، الجزء الثاني بدون تاريخ .

الخطاب الرعيني (أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي المتوفى عام ٩٥٤ هـ / ١٥٤٧ م) :

- ١٩_ مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ، الجزء الأول ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ م.
- الحميري (محمد بن عبد المنعم الحميري المتوفى في عام ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م):
- ٢٠_ الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥ .
- ابن حوقل (أبى القاسم بن حوقل النصيبى المتوفى عام ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م):
- ٢١_ صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٩٢ م.
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون أبو زيد المتوفى عام ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م):
- ٢٢_ المقدمة ، تحقيق حامد أحمد الطاهر ، دار الفجر للتراث ، الطبعة الاولى ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
- ٢٣_ العبر وديوان المبتدأ والخبر وأيام العرب والعجم ، اعتنى به وراجعه درويش الجويدي المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد المتوفى عام ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م):
- ٢٤_ وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، دار الطباعة ، المديرية المصرية ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٢٧٥ هـ.
- الدرجيني: (الشيخ أبى العباس أحمد بن سعيد الدرجيني المتوفى عام ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م):
- ٢٥_ طبقات المشايخ بالمغرب تحقيق إبراهيم طلاي ، الجزائر ، الجزء الثاني ، ١٩٤٧ م.
- الذهبي (شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الدمشقي المتوفى عام ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م):
- ٢٦_ تذكرة الحفاظ ، مطبعة التوفيق ، دمشق ، ١٣٤٧ هـ .
- ٢٧_ سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، الجزء الثامن ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- الرازي: (أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم بن إدريس)
- ٢٨_ الجرح والتعديل ، مطبعة دار المعارف العشائية بحيدر آباد ، الدكن ، الهند ، الطبعة الاولى ، ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م..
- الريق (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق) :

٢٩_ قطعه من تاريخ إفريقيا والمغرب ، تحقيق عبد الله العلي الزيدان ، عز الدين عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م .

الزبيدي : (مرتضى الزبيدي بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق المتوفى عام ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م)

٣٠_ تاج العروس ، الجزء العاشر ، المطبعة الخيرية بمصر ، بدون تاريخ .

الزهري (محمد بن أبي بكر الاندلسي كان حيا في سنة ٥٤١-٥٥٦هـ / ١١٤٦-١١٦٠م) :

٣١_ كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد صادق الحاج ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين المتوفى عام ٧٧١هـ) :

٣٢_ قاعدة في الجرح والتعديل ، تحقيق عبد الفتاح أبو غرة ، دار الوعي ، حلب ، الطبعة الثانية ، ١٩٣٧م .

السخاوي (محمد بن عبد الرحمن المتوفى عام ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) :

٣٣_ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م . ٣٢_ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الجزء الثالث ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م .

السعدي : (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي كان يعيش بعد عام ١٠٦٥هـ / ١٤٩٦م) :

٣٤_ تاريخ السودان ، طبعة هوداس وينوه ، مطبعة بردين ، مدينة أنجي ١٨٩٨م .

السيوطي : (جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي المتوفى عام ٩١١هـ / ١٥٠٣م)

٣٥_ طبقات الحفاظ ، تحقيق علي محمد عمر ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

٣٦_ تزيين الممالك بمناقب سيدنا الإمام مالك ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ .

٣٧_ الحاوي للفتاوى ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٤م .

٣٨_ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الجزء الاول ١٩٧٧م .

الشماخي : (أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي المتوفى عام ٩٢٨هـ / ١٥٢٢م)

٣٩_ كتاب السير ، تحقيق محمد حسن ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس ، الجزء الثالث ، بدون تاريخ .

أبن الصغير المالكي (المتوفى اواخر القرن الثالث الهجري\التاسع الميلادي) :

٤٠_ إخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق محمد ناصر ، وإبراهيم بخاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٦ .

ابن عذارى: (أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي)

٤١_ البيان المغرب في أخبار الأندلس المغرب ، مكتبة صادر ، بيروت ، الجزء الأول ، ١٩٥٠ م .

ابو العرب تميم: (محمد بن أحمد بن تميم القيرواني المتوفى عام ٣٣٣هـ / ٩٤٤م)

٤٢_ طبقات علماء إفريقية وتونس ، تحقيق علي الشابي ، ونعيم حسن ، الدار التونسية للنشر ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ م .

ابن العربي : (أبو بكر بن عبد الله)

٤٣_ أحكام القرآن ، تحقيق علي محمد البجاوي ، صادر الجبل ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

العمري: (ابن فضل الله العمري شهاب الدين أبى العباس أحمد بن يحيى المتوفى عام ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م)

٤٤_ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق محمد عبد القادر خريسات ، عصام مصطفى هزايمة ، يوسف أحمد بني ياسين ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة ، الجزء الرابع ، ٢٠٠١ م .

عياض: (أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي المتوفى عام ٥٤٤ هـ / ١٢٥٠ م)

٤٥_ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك ، تحقيق أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، الجزء الأول ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

الغبريني : (العباس أحمد المتوفى عام ٧٠٤ هـ / ١٣٢٦ م)

٤٦_ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق رابح بونار ، الوطنية للنشر والتوزيع ، وطبعة المطبعة الثقافية الجزائر ، ١٣٢٨ هـ .

الفاسي : (محمد بن أحمد الحسيني الفاسي المتوفى عام ٧٧٥-٨٣٢هـ) :

٤٧_ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

القشتالي : (أبي فارس عبد العزيز القشتالي المتوفى عام ١٠٣١ هـ / ١٦٢١ م) :

٤٨_ مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء ، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الكريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشتون الإسلامية ، الرباط ١٩٧٧ م.

القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي المتوفى عام ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م

٤٩_ صبح الأعشى في صناعة الانشا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، الجزء الخامس ، بدون تاريخ.

ابن قنقد (أبي العباس أحمد الخطيب المتوفى عام ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م) :

٥٠. أنس الفقير وعز الحقيير ، تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور ، الرباط ، المركز الجامعي للبحث العلمي ١٩٦٥ .

ابن القيم الجوزية : (شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر المتوفى عام ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م).

٥١_ أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل ، بيروت ، الجزء الاول ، ١٩٧٣ م.

ابن كثير : (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى عام ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)

٥٢_ البداية والنهاية ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ ، ج٩ .
مالك بن انس :

٥٣_ الموطأ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، بدون تاريخ ، من مقدمة المحقق ، ص ٣٠٥ .

المالكي : (أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي المتوفى عام ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م) :

٥٤_ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، الجزء الاول ، ١٩٩٤ م.

مجهول : (كان حيا في أواخر القرن السادس الهجر / الثاني عشر الميلادي)

٥٥_ الاستبصار في عجائب الامصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر للشتون الثقافية العامة ، بغداد ، بدون تاريخ.

محمد بلو : "أبو عثمان بن فودي المتوفى (١٢٥٣ هـ / ١٨٣٢) :

٥٦_ أنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، تحقيق بهيجة الشافلي ، منشورات معهد الدراسات الأفريقية ، الرباط ، ١٩٩٦ .

محمود كعت : (محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت الكرمني التنبكتي الوعكري) :

- ٥٧_ تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، نشر هوداس و دولافوس ، باريس ، ١٩١٣ .
- ابن مرزوق "محمد بن مرزوق التلمساني المتوفى عام ٧٨١هـ / ١٣٧٩م" :
- ٥٨_ المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريأخيوسوس يعبرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٨١م .
- المغيلي : (محمد بن عبد الكريم المغيلي المتوفى عام ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م) :
- ٥٩_ أسئلة الاسكيا وأجوبه المغيلي ، تقديم عبد القادر زبادية ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤م .
- ٦٠_ مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، تقديم وتحقيق رابح بونار ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٦٨م .
- المقري : (أحمد بن محمد التلمساني ١٠٤١ / ١٦٣١)
- ٦١_ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ .
- ٦٢_ روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس ، المطبعة الملكية ، الرباط ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م .
- المقريزي : (تقي الدين أحمد بن علي المتوفى عام ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) :
- ٦٣_ الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك تحقيق د . جمال الدين الشيال ، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م .
- ٦٤_ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، الجزء الثاني ، ١٩٨٧م .
- ٦٥_ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الجزء الثاني ، ماين عام ١٩٣٦-١٩٥٨م .
- ابن منظور (ابو الفضل جمال الدين ابن منظور ٦٣٠-٧١١هـ / ١٢٣٢-١٣١١م) :
- ٦٦_ لسان العرب ، الجزء الثالث ، مادة (قضى) ، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .
- النفوسى : (سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠م)
- ٦٧_ الإزهار الرياضية في أمة وملوك الاباضية ، مطبعة الإزهار البارونية ، دار الحكمة ، لندن ، الجزء العشرون ، بدون تاريخ

- الوزان: (الحسن بن محمد الوزان الزياني ٩٥٧.٨٨٨ هـ / ١٤٨٣-١٥٥٠ م)
- ٦٨- وصف أفريقيا ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٥ م.
- الوفرائي: (محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله)
- ٦٩- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي عشر، الطبعة الثانية ، الرباط ، مكتبة الطالب ، بدون تاريخ .
- الونشريسي: (أبو العباس أحمد بن يحيى المتوفى عام ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م)
- ٧٠- المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، حقق تحت أشرف ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الجزء التاسع ، بدون تاريخ .
- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح المتوفى عام ٢٨٤ هـ / ٩٨٢ م):
- ٧١- كتاب البلدان ، تحقيق دى خوى ، لندن ١٨٩٢ م .
- المراجع العربية والمعرية :
- إبراهيم على طرخان (دكتور) :
- ١- إمبراطورية غانة الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ م.
- ٢- دولة مالي الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣ م.
- إبراهيم القادري بوتشيش (دكتور) :
- ٣- مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ، دار الطليعة بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ م.
- أبو بكر إسماعيل (دكتور) :
- ٤- الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الاولى ١٩٧٧ م.
- أحمد الشكري (دكتور) :
- ٥- الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية ١٩٩٠ م.
- أحمد مختار العبادي (دكتور) :
- ٦- تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٩ .
- إسماعيل العربي (دكتور) :
- ٧- الصحراء الكبرى وشواطئها ، الشركة الوطنية ، الجزائر ١٩٨٣ م.
- أمطير سعد غيث أحمد (دكتور) :

- ٨_ الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دار المدار الإسلامي، لبنان الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
إيفان هريك :
- ٩_ بروز الدولة الفاطمية، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الثالث، اليونسكو، باريس ١٩٩٤.
بوفل :
- ١٠_ الممالك الإسلامية في غربي إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء، ترجمة زاهر رياض، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.
توماس أرنولد :
- ١١_ الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين وآخرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠.
جميلة أحمد التكتيك (دكتور):
- ١٢_ مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الاسكيا محمد الكبير ١٤٩٣/١٥٢٨م، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سلسلة الدراسات التاريخية رقم ٢٦، ليبيا، ١٩٩٨م.
جوزيف كي-زيريو :
- ١٣_ تاريخ أفريقيا السوداء، ترجمة عقيل الشيخ حسين، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ٢٠٠١م.
الحبيب الجناحاني (دكتور):
- ١٤_ المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية (ق ٣-٤هـ/ ق ٩-١٠م) الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٨.
حسن إبراهيم حسن (دكتور):
- ١٥_ انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى وشرقي القارة الإفريقية وغربيها، مطبوعات معهد الدراسات العربية، مصر ١٩٥٧م.
حسن أحمد محمود (دكتور):
- ١٦_ الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ١٧_ قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٧م.
حسن الصادقي (دكتور):

١٨_ جوانب عن التواصل الثقافي شمال جنوب ضفتي الصحراء الإفريقية ، مجلة المغرب الإفريقي، مجلة متخصصة في التراث والدراسات الإفريقية ، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، العدد ١ ، عام ٢٠٠٠ م .

حسين مراد (دكتور) :

١٩_ الأوقاف مصدرا للدراسة مجتمع فاس في العصر المريني ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جمعة القاهرة ٢٠٠٢ م .

٢٠_ الصلات بين المغرب والسودان الغربي (خلال القرن ٦-٢ هـ / ٨-١٢ م) ندوة الإسلام في أفريقيا الكتاب الحادي عشر ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ليبيا ، ٢٠٠٦ .
سعد زغلول عبد الحميد (دكتور) :

٢١_ تاريخ المغرب العربي ، دار المعارف بالإسكندرية ، ١٩٧٩ م .

سوزي أباطة (دكتور) :

٢٢_ دراسة حول مخطوطي " أسئلة في المشكلات " و " أسئلة إلى علماء مصر " لأحمد بابا التنبكي ، ندوة البردي والمخطوطات العربية في أفريقيا ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، عام ٢٠٠١ م .

سينيكي مودي سيسوكو :

٢٣_ الصنغى من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر ، موسوعة تاريخ أفريقيا العام ، الجزء الرابع ، اليونسكو ، باريس ١٩٨٨ م .

الشيخ الأمين عوض الله (دكتور) :

٢٤_ العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطينين الإسلاميتين مالي وسنغى ، جدة ، دار المجمع العلمي ، ١٩٧٩ م .

صباح إبراهيم الشخلى وعادل محي الدين الالوسى (دكتور) :

٢٥_ تاريخ الإسلام في أفريقيا وجنوب شرق آسيا ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ١٩٨٩ .
عارف أحمد عبد الغنى :

٢٩_ تاريخ أمراء المدينة المنورة ، مكتبة كنان ، لبنان ، بدون تاريخ .

عبد الرحمن زكى :

٣٠_ الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا ، مجموعة محاضرات ألقى في معهد الدراسات الإسلامية ، مطبعة يوسف القاهرة ، بدون تاريخ .

- ٣١_ تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقية الغربية ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦١ م.
- عبد العزيز الشناوي :
- ٣٢_ الأئمة الأربعة حياتهم ومواقفهم وأراؤهم ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م.
- عبد القادر زيادية :
- ٣٣_ الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في أفريقيا الغربية جنوب الصحراء ، دراسات ونصوص ، الجزائر ، ١٩٨٩ م.
- ٣٤_ مملكة سنغاي في عهد الاسقيين ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، بدون تاريخ .
- عثمان برايا باري :
- ٣٥_ جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي ، دار الأمين للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
- عز الدين عمر موسى :
- ٣٦_ دراسات إسلامية في غرب افريقية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- عمر الجيدى :
- ٣٧_ محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ، منشورات عكاظ ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ م.
- عمر رضا كحالة :
- ٣٨_ معجم المؤلفين ، مطبعة الترقى ، دمشق ، الجزء الثامن ، ١٩٥٧-١٩٦١ م.
- علي مبارك :
- ٣٩_ الخطط التوفيقية ، الهيئة المصرية للكتاب ، الجزء الرابع ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٠ م.
- عمر رضا كحالة :
- ٤٠_ معجم المؤلفين ، مطبعة الترقى ، دمشق ، الجزء الثامن ١٩٥٧-١٩٦١ م.
- فاى منصور على :
- ٤١_ أسكيا الحاج محمد وإحياء دوله السنغهاى الإسلامية (٨٨٩-٩٣٥ هـ / ١٤٩٣-١٥٢٩ م) منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، الجماهيرية العظمى ، طرابلس.

٤٢_ من تاريخ الإسلام في مالي وسنغهاي ، ندوة الثقافة الإسلامية واللغة العربية ، حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر ، ١٩٩٧ م.

فيج . جي . دي :

٤٦_ تاريخ غرب أفريقيا ، ترجمة وتحقيق السيد نصر ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ .

كارل بروكمان :

٤٧_ تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية عبد الحلیم النجار ، دار المعارف المصرية ، الجزء الثالث ، الطبعة الخامسة ، بدون تاريخ .

الحسن البوي :

٤٨_ الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية ، المملكة المغربية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .

مادهو بانيكار :

٤٩_ الوثنية والإسلام ، ترجمه وتعليق أحمد فؤاد بلبع ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٨ م .

محمد أبو زمرة :

٥٠_ تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

محمد الفاسي وإيفان هريك :

٥١_ مراحل تطور الإسلام وانتشاره في إفريقيا ، لبنان ، المجلد الثالث ، موسوعة تاريخ إفريقيا العام اليونسكو ١٩٩٤ .

محمد بن الحسن الحجوى :

٥٢_ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، مطبعة المكتبة العلمية ، المدينة المنورة الجزء الرابع ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

محمد بن تشريفه :

٥٣_ من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩ م .

محمد حجي :

٥٤_ الحركة الثقافية في عهد السعديين ، الجزء الأول ، ١٩٧٦ م .

محمد زينهم محمد :

٥٥_ الإمام سحنون ، دار الفرجاني ، القاهرة ١٩٩٢ .

محمود الغربي :

٥٦_ بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ١٩٨٢ .

محمود إسماعيل (دكتور) :

٥٧_ سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ، دار الثقافة الجديدة ، تونس ، الجزء الأول ، ١٩٧٨ .

٥٨_ فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٨ م .

٥٩_ الخوارج في المغرب الإسلامي ، دار البيضاء ، المغرب ١٩٧٣ م .

مسعود عبد الله الوزاني :

٦٠_ التواصل الإنساني وأثره في وحدة العقيدة بين شمال الصحراء وبلدان السودان الغربي حتي عصر المرابطين ، ندوة الثقافة الإسلامية واللغة العربية ، حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر ، ١٩٩٧ م .

مسعود عمر محمد :

٦١_ تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، طرابلس ، ليبيا ، ٢٠٠٣ م .

مصطفى أبو ضيف عمر :

٦٢_ أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري المرابطين والموحدين ويني مرين ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٢ م .

مهدي رزق الله أحمد :

٦٣_ حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقيا قبل الاستعمار وأثارها الحضارية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ م .

مهدي ساني صالح :

- ٦٤_ بعض مكونات الفكر الإسلامي وقضاياها في أفريقيا وجنوب الصحراء ، ندوة الثقافة الإسلامية واللغة العربية ، حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر ، ١٩٩٧ م .
ميشيل إيزارد :
- ٦٥_ شعوب وممالك منعطف نهر النيجر وحوض الفولتا ، تاريخ أفريقيا العام ، المجلد الرابع اليونسكو ١٩٨٨ م .
نجم الدين الهتاتى :
- ٦٦_ المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الـ ٥ / الـ ١١ م ، تبر الزمان ، تونس ، ٢٠٠٤ .
نعيم قداح :
- ٦٧_ حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٥ م .
نقولا زيادة :
- ٦٨_ المغرب والسودان في أيام المنصور الذهبي ، بيروت ، ١٩٦٧ م .
٦٩_ معاهد العلم الإسلامية في السودان الغربي في العصور الوسطى ، المؤسسة الجامعية ، المغرب ، ١٩٨٧ .
ويستفيلد :
- ٦٧٠_ جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها ، ترجمة عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠ م .
الدوريات :
- إبراهيم طرخان (دكتور) :
- ١_ إمبراطورية صنغى الإسلامية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، المجلد الثامن ، الرياض ١٩٨١ م .
- ٢_ الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الثاني ، دار النصر للطباعة ، ١٩٦٩ م .
ابو بكر إسماعيل ميكا (دكتور) :
- ٣_ تاريخ الثقافة الإسلامية والتعليم في السودان الغربي ، مجلة الدارة ، العدد الثاني ، الرياض ، ١٤١٤ هـ .

حسين مراد (دكتور):

٤_ دولة كانو الإسلامية ، تطورها السياسي والحضاري حتى نهاية القرن ٩هـ / ١٥م ، بحث في مجلة الدراسات الإفريقية ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، رقم ٤٧ ، عام ١٩٩٧ .

٥_ المذهب المالكي في السودان الغربي ، مجلة الوقائع التاريخية ، مركز البحوث والدراسات التاريخية ، جامعه القاهرة ، يناير ٢٠٠٦ .

٦_ دولة أودغست الإسلامية من القرن الثاني إلى الخامس للهجرة ، القرن الثامن إلى الحادي عشر للميلاد) ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، العدد ٤٦ ، ٢٠٠٨ .

٧_ المجاورون المصريون في الحرمين الشريفين ٥٦٧-٦٤٨هـ / ١١٧١-١٢٥٠م ، المجلة التاريخية المصرية ، القاهرة ، عدد ١٩٩٥م .

رشيد الزواوي (دكتور):

٨_ التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي ، مجلة الحضارة الإسلامية ، العدد الاول ، ١٩٩٣ .

سوزي أبابطة محمد (دكتور):

٩_ عائلة أقيت وإسهاماتها الثقافية في تنبكت ، مجلة الدراسات الإفريقية ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، القاهرة العدد ٢٦ ، لسنة ٢٠٠٤ .

١٢_ القضاء في صنغاي في عهد الاساكي (٨٩٨-٩٩٩هـ / ١٤٩٣-١٥٩١م) مجلة المؤرخ المصري ، قسم التاريخ كلية الآداب جامعة القاهرة ، العدد ٢٨ ، يناير ٢٠٠٥م .

شوقي عطا الله الجمل (دكتور):

١٣_ الحضارة الإسلامية العربية في غرب أفريقيا سماتها ودور المغرب فيها ، مجلة المناهل المغربية ، العدد السابع ، السنة الثالثة ، ١٩٧٦ .

صباح إبراهيم الشبخلى (دكتور):

١٤_ النشاطات العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي ، مجله معهد الدراسات والبحوث العربية ، القاهرة ، بغداد ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

صلاح الدين المنجد (دكتور):

١٥_ مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٣م .

عبد الله نيهان (دكتور):

١٦_ الإمام السيوطي وفن السيرة الذاتية ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة العدد ٣٤ ، ١٩٩٠ م .

قمر الدين محمد فضل الله (دكتور) :

١٧_ لمحة تاريخية عن مملكة سنغي الإسلامية ، مجلة الدعوة الإسلامية ، العدد الخامس ، طرابلس ، ١٩٨٤ .

كرم الصاوي باز (دكتور) :

١٨_ الصراع بين العرش والعلماء في سنغاي ، في الفترة من (٨٦٩-٨٩٩ هـ / ١٤٦٤-١٤٩٣ م) ، مجلة الدراسات الإفريقية ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، العدد ٢٢ ، ٢٠٠٠ م .

ماهر عطية شعبان (دكتور) :

١٩_ جامعة سنكري في تنبكتو ودورها الحضاري والثقافي في القرن السادس عشر ١٩٤٢ / ١٥٩٠ م ، مجلة الدراسات الإفريقية ، العدد الرابع والعشرين ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٢ .

محمود مكّي (دكتور) :

٢٠_ وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلدان ٧ ، ٨ ، القاهرة ، عام ١٩٥٩-١٩٦٠ .

ميشيل برت :

٢١_ فتويان من أواخر القرن الرابع الهجري ، تتعلقان بالتجارة عبر الصحراء ، بحث في مجلة البحوث التاريخية ، مركز جهاد الليبيين ، المجلد الأول ، السنة الثالثة ، يناير ١٩٨١ م . رسائل علمية .

إبراهيم على يوسف الشامي :

١_ الحج وأثره الحضاري في دولتي مالي وصنغاي (٦٣٦-١٠٠٠ هـ / ١٢٣٨ / ١٥٩١ م) ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م .

أحمد إلياس حسين :

٢_ العلاقات بين مملكة غانا والمغرب العربي فيما بين القرنين الثاني والخامس الهجريين / الثامن والحادي عشر الميلاديين ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة ، ، قسم التاريخ ، ١٩٨٢ م .

أحمد سيد حسين درويش :

٣_ دور المرأة السياسي والحضاري في دولتي مالي وصنفي (٦٣٦-١٠٠٠هـ / ١٢٣٨-١٥٩١م)
رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة ، ٢٠٠٧م.
السيد أحمد السيد الباز :

٤_ الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنفي
(٦٣٨-٩٩٩هـ / ١٤٠-١٥٩١م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات
الإفريقية ، جامعة القاهرة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
حسن جلال الدين :

٥_ مملكة مالي الإسلامية وأهم مظاهر الحضارة بها رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث
والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة ، ١٩٧٨م .
حسين حسان محمد حسين :

٦_ الحركة العلمية والتعليمية في الأزهر ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، بكلية اللغة العربية
بجامعة الأزهر ، ١٩٩١م .
حسين سيد عبد الله مراد :

٧_ دولة بني مدرار في سجللماسة بالمغرب الاقصي (١٤٠-٢٩٧هـ / ٧٥٧-٩٠٩م) ، رسالة
ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٦م .
عبد الباقي محمد أحمد كبير :

٨_ المرابطون ودورهم في نشر الاسلام في غرب أفريقيا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بكلية
اللغة العربية بجامعة الأزهر ، ١٩٨٨م .

٩_ الدول الإسلامية في غرب أفريقيا في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، رسالة
دكتوراه غير منشورة ، بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، ١٩٨٨م .
عبد العزيز العلوي :

١٠_ التأثيرات الدينية والفكرية المغربية على السودان الغربي الوسيط ، رسالة دكتوراه غير
منشورة ، المملكة المغربية فاس ١٩٩٩م .
عبد العظيم السعيد حسن :

١١_ السيوطي وجهوده في إثراء الحركة الثقافية الخارجية ، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية
بجامعة الأزهر ، ١٩٩٢م .
عبد سلطان :

١٢_ العناصر المغربية في السودان الغربي دورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى نهاية دولة صنهاجة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ١٩٩٩ م .

عصمت هانم عبد اللطيف دندش :

١٤_ دور المرابطين في نشر الاسلام ، رسالة ماجستير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ١٩٧٥ م .

علي أحمد قياد الغامدي :

١٥_ فقهاء المالكية بمصر في القرن السابع الهجري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، ١٩٨٩ م .

علي البدري أحمد :

١٦_ الإمام مالك وأثره في الفقه ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، بكلية الشريعة ، بجامعة الأزهر ، ١٩٩٠ .

محمد أنور توفيق :

١٧_ دولة سنغاي الإسلامية تطورها الاقتصادية والاجتماعي والحضاري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧ م .

محمد عثمان أبو بكر :

١٧_ الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي وأثره السياسي والثقافي ، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، ١٩٩٢ م .

فاي منصور علي :

١٨_ دولة مالي الإسلامية في عصرها الذهبي علي عهد منسا موسي (١٣٣٧-١٣١٢هـ / ١٣٣٧-١٣١٢م) رسالة ماجستير غير منشورة ، بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، ١٩٨٤ م .

وداد نصر محمد السيد الطوخي :

١٩_ مدينة تنبكت منذ نشأتها حتى دخول السعديين ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ .

الكتب الاجنبية :

Bovill (E.W.) :

١_ The golden Trade of the Moors , London , ١٩٦١.

Burckhart. J .L:

٢_ Travels in Arabia , vol.١, London, ١٨٢٩.

Cuoq ,B :

٢_ La Famîl' Aqit de Tombouctou,Revue des Belles Lettres Arabes,١٩٧٨N.٤١,premier Smestre,.

Cuoq , J :

٣_ Histoire de L' Islamisation de L' Afrique de L'Ouest Des Rignes a la fin du xvie Siecle,Paris,١٩٨٤.

Clarke.B :

٤_ West Africa and Islam, London ١٩٨٢.

David Conrad and Humphrey Fisher :

٥_ The Conquest That Never Was: Ghana and the Almoravids ١٠٧٦. The External Arabic Sources History in Africa, African Studies Association, Vol. ٩ (١٩٨٢) .

Davidson, B :

٦_ Old Africa Rediscovered ,London ,١٩٥٩.

Elias . Saad. N :

٧_ Social History of Timbuktu ,the Role of Muslim Scholars and Notables ١٤٠٠-١٩٠٠, Illinois, ١٩٧٩.

Fernando , Paolo :

٩_ Histoire Contre Memoire Epigraphie_Chroiques Tradition Orale et Lieux d'Oubli Dans Le Sahel Malien , Publications De L'institute Des Etudes Africaines Rabat ١٩٩٣.

Hunwick j ,o :

١٠_ Les Rapports Intellectuels Entre Le Maroc Et L' Afrique Sub-Saharienne A Travers Les Ages, Publications De L'institute Des Etudes Africaines Rabat ١٩٩٠.

Hiskett ,M :

١١_ The Development Of Islam in West Africa, Longman, London ١٩٨٤.

Joseph ki_Zerbo :

١٣_ Histoire de l' Afrique d' Hier A Demain, Hatier ,Paris, ١٩٧٢.

Levtzion , N :

١٤_ Western Maghrib and Sudan ,in the Cambridge History of Africa, vol.٣, Cambridge , London , ١٩٧٧.

١٥_ Islam in West African Religion Society and Politics to ١٨٠٠, Varioum,London, ١٩٩٩.

Lewis ,L.M.:

١٦_ Islam in Tropical Africa , (Oxford , ١٩٦٠).

Lewicki ,T :

١٧ Arabic External Sources For The History Of The Africa To The South Of Sahara ,٢ed, London, ١٩٦٩.

Mauny Raymond :

- ٢٠_ Tableau Geographique De l'ouest Afrique Au Moyen -Age ,Dapres Les Sources Ecrites, La Tradition Et l' Archeology, Memoire De l' Ifan ,N.٦١, Dakar, ١٩٦١.
- Michael A .Gomez :
- ٢١_ Timbuktu Under Imperial Songhay :A Reconsideration Of Autonomy ,The Journal Of African History ,Vol.٣١,No. ١, (١٩٩٠).
- Moreou , R :
- ٢٢_ Africaines Muslumans ,Inades Edition Prence Africaine', ١٩٨٢.
- Oliver(R) &Fage (J.B.) :
- ٢٣_ A Short History Of Africa , Benguin Book , ١٩٧٣.
- Sauvaget j :
- ٢٤_ Les Epitaphes Royales De Gao, Al - Andalus, Vol. XIV .Fasc I, Madrid , ١٩٤٩.
- Smith (A.):
- ٢٥_ The Early States Of Central Sudan, New York, ١٩٧١.
- Trimingham , J .S :
- ٢٦_ History Of Islam In West Africa. Oxford, ١٩٧٠.

الدوريات الأجنبية :

- A. El Alaoui,:
- ١_ Le Maghreb Et Le Commerce Trans-saharien (Milieu Du Milieu Du XIV^e s.), Thèse De ٣^{ème} Cycle, Bordeaux, ١٩٨٣.
- Abd-Al-Aziz Abd-Allah Batran:
- ٢_ A Contribution To The Biography Of Sheikh Muhammad Ibn,Abd-Al-kariam Ibn Muhammad, Autonomy ,The Journal Of African History, Vol. ١٤, No.٢١١٩٧٣.
- Adam Ba konare :
- ٣_ Les Relations Politiques Et Culturelles Entre Le Maroc Et Le Mali A Travers Les Ages , Ryaume Du Maroc ,University Mohammed V, Publications De L'Institut Des Etudes Africaines ,Rabat .
- Ali Ould Sidi :
- ٤_ Monuments And Traditional Know-how: The Example of Mosques In Timbuktu, ISSN ١٣٥٠-٠٧٧٥, No. ٢٢٩-٢٣٠ (Vol. ٥٨, No. ١-٢, ٢٠٠٦) UNESCO ٢٠٠٦, Published By Blackwell Publishing, Oxford, (USA).
- Alpha,S:|
- ٥_ Les Familles latuna de Sonkore Cherif, revue Sonkore N ٤ , ١٩٩٣ , Etude sur L'islam au Soudan.
- Brent Singieton:
- ٦_ A Select Bibliography Of The Songhay Empire , Africa , vol .٣١٧٠٠٤.
- Brenner:
- ٧_ Histories Of Religion In Africa , Journal Of Religion In Africa,vol.٣٠,Fasc.٢,May,٢٠٠٠.
- Clssoko ,S .M .L :
- ٨_ Intelligentsia De Tombuctou,Blfan, ١٩٦٩.
- Garrard ,T,F:

٩_ Myth And Metrology: The Early Trans-Sahran Gold Trade, The Journal of African History, vol. ٢٣, No. ٤ (١٩٨٣).

Hunwick, J :

١٠_ Songhay Borno And Hausaland In Sixteenth Century, Book History Of West Africa, Vol. ٢, Second Edition ,London ١٩٧١.

١١_ Secular Power And Religious Authority In Muslim Society: The Case Of Songhay , The Journal Of African History , Vol. ٣٧, No. ٢. ١٩٩٦.

١٢_ Gao And The Almoravids Revisited : Ethnicity ,political Change And The Limits Of Interpreting ,The Journal of African History ,Vol. ٣٥, No. ٢\١٩٩٤.

١٣_ The Mid-Fourteenth Century Capital of Mali The Journal of African History, Vol. ١٤, No. ٢ (١٩٧٣).

Kaba.L.

١٤_ Islam And Revolution In Songhay Reconsidered ١٤٦٤-١٤٩٣, The Journal Of African History, Vol. ٢٥, No. ٢, ١٩٨٤.

Lamin Sanneh:

١٥_ The Origins Of Clericalism In West African Islam, The Journal of African History, Vol. ١٧, No. ١ (١٩٧٦).

Michaal A .Gomez :

١٦_ Timbuktu Under Imperial Songhay: A Reconsideration Of Autonomy ,The Journal of African History , Vol. ٣١, No. ١ (١٩٩٠).

R. W. Niezen:

١٧_ The Community Of Helpers Of The Sunna': Islamic Reform Among The Songhay Of Gao (Mali) Africa, Journal Of The International African Institute, Vol. ٦٠, No. ٣ (١٩٩٠).

١٨_ Scribe, Griot, and Novelist: Narrative Interpreters of The Songhay Empire by Thomas A. Hale, Journal of Religion in Africa, Vol. ٢٢, Fasc. ٢ (May, ١٩٩٢), BRILL.

Samba Gadjigo:

١٩_ Scribe, Griot, and Novelist: Narrative Interpreters of the Songhay Empire by Thomas A. Hale , Research in African Literatures, Vol. ٢٢, No. ٤ (Winter, ١٩٩١) Indiana University Press.

Sulayman S. Nyang:

٢٠_ Islam And Politics In West Africa, A Journal of Opinion African studies Association ,vol. ١٣\١٩٨٤.

الرسائل الاجنبية :

Alice Louise Willard:

١_ The Songhay in The West African World-System, A Dissertation Submitted to The Johns Hopkins University in Conformity With The Requirements For The Degree Of Doctor Of Philosophy, Baltimore, Maryland, ١٩٩٩.

Mariam Konate Deme :

٢_ The Role And Function Of The Supernatural In The African Epic, A Dissertation Submitted to The Temple University, Graduate Board, ٢٠٠٤.

Nobiakai AL-Nuraslaam,:

٣_ An Investigation of Malinke Historiography from Sundiata to Almamy Samori Toure, Howard University, Washington D.C, ٢٠٠٥.

Stephen Charles Cory:

٤_ The Caliphate and Political Legitimacy In Early Modern Morocco, A Dissertation submitted in partial Satisfaction of the Requirements For The Degree Of Doctor Of Philosophy In History, University Of California, Santa Barbara, ٢٠٠٢.

Usman Muhammad bugajE :

٥_ The Tradition Of Tajdid In Western Bilad AL -Sudan : Astudy Of The Genesis ,Development And Patterns Of Islamlc RevlaLism In The Region .٩٠٠-١٩٠٠AD ,Thesis submitted To The Graduate College Of The University Of Khartoum, in Partial Fulfillment Of The Requirements For The Degree Of Doctor Of Philosophy, Department Of Afro-Asian Studies Institute Of African And Asian Studies University of Khartoum ١٩٩١.

فهرس

٣	شكر وتقدير للأستاذ الدكتور حسين سيد عبد الله مراد
٥	المقدمة
١٩	التمهيد: بدايات ظهور المذهب المالكي في السودان الغربي
٥٩	الفصل الأول: المذهب المالكي انتشاره وسيادته زمن دولتي مالي وُصنغي
٩٩	الفصل الثاني: عوامل انتشار المذهب المالكي وسيادته في بلاد السودان الغربي
١٣٣	الفصل الثالث: فقهاء المالكية والحياة السياسية في بلاد السودان الغربي
١٨٥	الفصل الرابع: فقهاء المالكية والحياة الاجتماعية في بلاد السودان الغربي
٢٢٧	الفصل الخامس: فقهاء المالكية والحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي
٢٧٧	الخاتمة
٢٨٣	الملاحق
٣٣٨	مكتبة البحث